حوليات جامعة بشار

Annales de l'Université de Bechar

مجلة تعنى البحوث الأكاديمية

ردمد : 1112-6604

تأسست سنة 2004

مدير المجلة

د. سليماني عيد القادر

رئيس التحرير

أ. د. تحريشي محمد

هيئة التحرير

أ. د. شريطي عبد الكريم

أ. د. دراوي بلقاسم

العدد 12

السنة 2012

العنوان البريدي: مديرية المجلة جامعة بشار ص ب 417

08000، بشار، الجزائر

الهاتف/الفاكس: 213 (0)49815244

العنوان الإلكتروني: www.univ-bechar.dz/hawliyat.html

البريد الإلكتروني: Hawliyat@mail.univ-bechar.dz

Annales de l'Université de Bechar	حوليات جامعة بشار

مدير المجلة د. سليماني عيد القادر	رئيس التحرير أ.د. تحريشي محمد	هيئة التحرير أ.د. شريطي عبد الكريم أ.د. دراوي بلقاسم

الهيئة الاستشارية
العلوم - التقنيات - العلوم الاجتماعية

أ/د. د. العابد	أ/د. ص. حسيني	أ/د. ص. طالب	د. م. بن حمو
أ/د. ص. العربي	أ/د. ع. خالفي	أ/د. ب. دادة موسى	د. أ. بوعشرية
أ/د. ع. بلغاشي	أ/د. ف. خلفاوي	أ/د. ع. مرتاض	د. ع. بودي
أ/د. ع. بن عباسي	أ/د. م. رحلي	أ/د . ع. معروف	د. ع. توهامي
أ/د. ف. بوصالي	أ/د. ع. رحماني	أ/د. م.ط. مفتاح	د. ي. توهامي
أ/د. م. حبار	أ/د. ع. رحموني	أ/د. ع. يوسفي	د. ل. كرومي
أ/د. ع. حلماوي	أ/د. ع. سعيدان	د. ع. برقة	د. ع. عميش
أ/د. ع. حموين	أ/د. ع. سنقوقة	د. ش. بن عشيبة	د. س. غزالي

قواعد النشر بالمجلة

قـواعد عامـة

تنشر مجلة حوليات الجامعة البحوث و الدراسات العلمية، الفكرية و الأدبية في جميع التخصصات مكتوبة باللغة العربية، الفرنسية و الإنجليزية و تكون المقالات مصحوبة بملخصين أحداهما بلغة المقال و الآخر بإحدى اللغتين المتبقيتين،و عدد الكلمات 150 (أو ستة أسطر أقصى تقدير) مع ذكر الكلمات الأساسية أو المفتاحية.

كيفية تقديم المقالات

يجب ألا يزيد عدد صفحات البحث عن 10 صفحات و بمسافة واضحة بين السطر و السطر، و أن يترك هامش بثلاث سم على كل جانب و من الأعلى و من الأسفل الصفحة. يكتب المقال بطريقة منظمة: مقدمة النتائج، المناقشة و الخاتمة. الملخص بلغة المقال و بلغتين مختلفتين إن أمكن.

حجم الخط

العنوان Simplified Arabic 14 G العناوين الجزئية Simplified Arabic 12G
المتن Simplified Arabic 12 الهوامش Simplified Arabic 10
الإحالات و المراجع مفصلة و بجميع المعلومات تكون في آخر المقال Simplified Arabic 12

التوثيق و التهميش

يجب أن تذكر المراجع داخل النص للإشارة إلى رقمها في الفهرس بين قوسين، مثال(5) يشير إلى المصدر أو المرجع المستخدم في البحث

عندما يشتمل المرجع على أكثر من مؤلفين يذكر اسم المؤلف الأول متبوعا بعبارة"آخرون".

إذا كان المرجع مقالا تذكر أسماء المؤلفين، اسم المجلة و رقمها، سنة النشر و عدد الصفحات المستغلة في البحث.

أما بالنسبة للكتب فيذكر في الإحالة إلى المرجع اسم المؤلف، عنوان الكتاب، اسم الناشر، مكان النشر، سنة الطبع و رقم الصفحات المستخدمة من الكتاب.

عندما يكون المرجع أشغال الملتقيات العلمية فإن الإحالة تتضمن اسم المؤلف أو أسماء الباحثين، السنة للتعريف بالملتقى، و تحديد مكانه و فترته، اسم الناشر و الصفحة الأولى الخاصة بمناقشة النتائج.

الفـــهرس

القراءة و النص.....4

آدولف أبيا Appia 1862–1928.....د. عبدالله حسن الغيث 15

نسيج التكرار بين الجمالية والوظيفة في الشعر الأندلسي أنموذجا.....د. عبد اللطيف حني21

التداولية..... عبد الحفيظ تحريشي 32

إشكالية تطور ظاهرة إجرام المرأة في المجتمع الجزائري..... أ. بوشايب رويمل نوال 40

الحاضنة و الشغل في التشريع والفقه المقارنين .... د. سعداوي محمد 63

النظام القانوني لمكافحة التدخين .....مصطفاي أسماء 71

تقييم منافـع مستخدمـي الطـرق.....أ. دغمان زوبير 86

ثقافة المنظمة و مدى فعالية التغيير الثقافي فـي تطبيق الجودة الشاملة..... .....
.....أ. ناصري نفيسة، د.بوثلجة جمال عبد الناصر، أ. مومن مزوري 100

التنشئة الاجتماعية للتلميذ المراهق والنظام الايديولوجي بالوسط الريفي..... أ. ميهوبي اسماعيل 110

المرأة الجزائرية وتحدياتها.....أ. دريدي نورة 122

البعد البشري والبعد البيئي للتنمية..... أ. أسيا غزال 129

قراءة مقاصدية في المنهج النبوي وأعمال الصحابة.....أ. زلافي عبد الحميد 143

حوليات جامعة بشار
Annales de l'Université de Bechar
العدد ***N° 12, 2011, 12***
ISSN : 1112-6604

القراءة و النص

أ. بن لحسن عبد الرحمن

جامعة بشار

القراءة

لعل القبض على القراءة ليس بالأمر الهين ولا بالحكم النهائي، وإنما قراءة قراءة التي يمكنها أن تتعدد إلى أكثر من مفهوم حسب رؤية القارئ، وذكائه الثاقب، وحسب طرائق المعالجة لهذه القراءة أو تلك، ولا يمكن بأية حال من الأحوال الوصول والكشف النهائي عن مقاصد المبدع أو الشاعر، والأغراض والدوافع التي يسعى إليها، وإنما مجرد رأي قد يكون صائباً وقد يكون خاطئاً، ومن الحيف والغرور والظلم الجزم بالحكم عليه أو الظفر به... وفي هذا المضمار يقول عبد الملك مرتاض " من السذاجة أن نزعم أننا نبلغ من النص الذي نقرأه منتهاه إذا وقفنا من ما حوله مسعانا على منظور نفساني فقط، أو منظور اجتماعي فقط، أو بنيوي فقط مثلاً... من أجل ذلك تميل الاتجاهات المعاصرة إلى التركيب المنهجي لدى قراءة نصها، مع محاولة تجنيس التركيبات المنهجية حتى لا نقع في التلفيقية، وقد دأبنا نحن في تعاملنا مع النصوص التي تناولناها على محاولة المزاوجة أو المثالثة أو المرابعة بين جملة من الأجناس باصطناع القراءة المركبة التي لا تجتزئ بمنظور أحادي إلى النص لأن مثل ذلك المنظور مهما كان كاملا دقيقا، فلن يبلغ من النص كل ما فيه من مركبات لسانية، وإيديولوجية، و جمالية، ونفسية." (1)

والنص " عالم ضخم متشعب، متشابك، معقد " (2) حتى وإن كان هذا التشابك وذاك التعقيد يقعان بعيداً عن منشئه، ولكنه عالم متشعب، وإذا كنا قد سجلنا رفض "عبد الملك" للمنهج الجاهز الذي يأتي به صاحبه إلى النص كما يحمل الميكانيكي علبة أدواته، فلأن المعاشرة النصوصية

أكدت للباحث أن الأداة الواحدة التي كانت صالحة في عين الموضع، في نص مقارب أو مشابه تصبح عاجزة كل العجز أمام الموقف الجديد، وكأن المواقف وإن تشابهت تركيباتها وأدواتها البنيوية، يستحيل أن تتشابه شحناتها العاطفية، والدلالية، لذلك كان إجراء المنهج الواحد في نصوص متعددة مختلفة امتهانا لحق هذه النصوص، واعتسافا شديد الغلطة، يركبه ذوق هجين على جهل مطبق بحقيقة النص و الأثر. لقد كتب " عبد الملك " في كتابه البنيوي الشكلاني –كما ينعته البعض–: " إن النص الأدبي عالم منغلق، ولكنه قابل للانفتاح، بيد أن مفتاحه لا نأخذه في يدنا و نمضي لنفتح أبوابه و نستكنه أسراره، و إنما نبحث عن هذا المفتاح في ثناياه ذاتها." (3) ويرجع هذا الأخير اختلاف القراءات وتنوعها عند القراء: " لاختلافنا في الذوق، ولاختلافنا في مستويات المخزون الثقافي، ولاختلافنا في درجات التحسس بالجمال العظيم " (4) كما يجعل اختلافنا في إدراك اللوحة الزيتية يعود– باعتبار قراءة – إلى السن و اللغة والتجربة و الثقافة والأيديولوجية و الميول والهوايات... هو التصنيف الذي يوحي بوجود مستويات للقراءة تقابلها مستويات للقراء وكما يقابل المستوى في هذا الشطر المستوى المماثل في الشطر الثاني، فإن الحديث عن القراءات يأخذ صفتين: صفة الدرجة، وصفة اللون، مادامت الدرجة تعني الثقافة، و الذوق والسن و التجربة، و الاهتمام الإيديولوجي.

لقد حاول " حميد لحميداني" رسم تقابلات بين مستويات المعرفة، ومستويات القراءة التابعة لها، وتحديد الوظيفة القائمة وراء كل قراءة، متجاوزا اعتبارات الذوق، والسن، والتجربة فكان هذا الجدول:

مستويات المعرفة	مستويات القراءة	الوظيفة
– المعرفة الحدسية	–القراءة الحدسية	– التذوق، المتعة
– المعرفة الأيديولوجية	– القراءة الأيديولوجية	– المنفعة
– المعرفة الذهنية	– القراءة المعرفية	– التحليل
– المعرفة الابستمولوجية	– القراءة المنهاجية	– التأويل، المقارنة، إدراك الأبعاد

ويستدرك الباحث على جدوله قائلا: ".....ولا ينبغي الاعتقاد بأن هذه القراءات جزر متباعدة، بحيث لا يمكن أن تلتقي أو تتداخل فيما بينها. فالقراءة المعرفية قد لا تستغني عن القراءة الحدسية، ولكن حدس الناقد ليس في مستوى حدس القارئ العادي، أو حدس دارس الأدب المتهيب من المنهج، ومن كل معرفة منظمة. هناك إذن

التقاء ممكن بين جميع المستويات، وإن كان التمايز بينها تفرضه هيمنة إحداها في كل مستوى من مستويات تلقي النص الأدبي. (5)

وهو استدراك لا يوحي بتعدد القراءات وتلونها، بقدر ما يشير إلى قراءة واحدة، ينتقل فيها الاهتمام من المتعة إلى المنفعة إلى التحليل ثم التأويل، وهو تصور يمكن قبوله – من زاوية الجشطالت – على اعتباره تدرجا قائما، يقدم الحدس لتلمس سطح الصنيع بحثا عن ثغرات التولج إلى صميمه.

بيد أن حديث " عبد الملك " لا يلامس القراءة الواحدة، و إنما يتجه صوب الاختلاف فيها، فيرده إلى الذوق، والثقافة و السن، و الاهتمام الأولي وهي خانات يمكن أن تصنف فيها قراءة عددين، كأن يجعل لكل قارئ خانة، على اعتبار اختلافه ضرورة عن غيره، حتى وإن تساوت الدرجات بينها ذوقا، وثقافة، وسنا،... وأمام تعذر مثل هذا التصنيف يلتفت "عبد الملك" إلى جهة القراءة ليجعلها ألوانا يعرضها كاشفا عن وظيفة كل واحدة منها .(6)

ومن هنا نقول أن قراءة القراءة لا تسعى – أبدا– إلى إصدار الأحكام، وتقويم القراءات لأن ذلك من شأن النقد وحده، ولكنها تعمل جاهدة على تثمين القراءة الأولى، وإعانة القراء على تلمس مواطن الجدة فيها، وتمكين تعدد الأصوات ووجهات النظر، وفتح حدود النص على شعرية الانفتاح، وإنتاجية الغموض غير أن " قراءة القراءة " ليست هي " نقد النقد " لأنها تسعى إلى " الحد من غلواء السلطة الصارمة القاصمة التي كان النقد يتصف بها عبر تاريخه" (7) ومن هنا نقول:إن القراءة هي الإسهام في النفاذ إلى دواخل النص الشعري ورصد قوانين التي تديره وتبني شعريته، وهي قوانين متكتمة على نفسها في صميم ذلك النص ذاته، متسترة في أقاصيه وأغواره تتراءى أحيانا إيماء ولمحا تم تتوارى في نبعها (أقاصي النص وأصقاعه) فتستعصي، تبعا لذلك على التحديد والضبط، ولما كان النص لا يمنح من شعريته إلا بالقدر الذي يحجب، "فإنه من الطبيعي أن تظل تلك القوانين مقفلة على نفسها، متسترة غاية التستر وأنه من الطبيعي أيضا أن يتطلب الكشف عنها تسليما من الدارس بأن النص ليس شيئا مواتا، بل إنه كيان زاخر بالحركة طافح بالهدير و الاندفاعات، أي أنه ليس مجرد وعاء الذي يحمل معاني تمنح نفسها للقراءة مهما كانت عادية ومتعجلة، بل إنه هو الذي يبتني معانيه، من صميمه يستلها ومن حركاته، حركات كلماته وصوره ورموزه يبني دلالته، وإيقاعه و شعريته". (8)

من ذلك أن الكلمات في النص ليست مجرد وسائل يستخدمها الشاعر كما اتفق، وليست مجرد خواء يسكنه معنى محدد معلوم، إنها ليست مجرد جسد (لفظ) تسكنه الروح (المعنى) ذلك أن المعنى إنما ينتج ويكون فيما يتم إنتاج الكلمات ونهوض النص أي تأسسه وحضوره بيننا، لأن معاني النص ليست في ظاهر لفظه، وسطحه ليس غوره، إنه عبارة عن حشود من الأبعاد المتناوبة، بعضها يطفح به السطح، فيما يظل البعض الآخر رابضا في العمق، متسترا يستعصي على المسك وينتظر الكشف. وبذلك فإن قراءة النص بالاستناد إلى منهج مسبق معلوم أو نظرية محددة مسقطة عليه من خارجه، أمر في غاية الخطورة، إذ أنه يجعل الدارس يمارس على النص نوعا من القهر والإقصاء، إذ الدارس سيبحث فيه عما يفي بحاجات ذلك المنهج المسبق،

و ما يستجيب لرغبات تلك النظرية سواء كانت تلك النظرية مستمدة من نظرية العرب القدامى في الشعر والشعرية أو وافدة من المناهج المبتدعة في الثقافة الأوروبية، ويكون وقتها قد ألغى النص فيما هو يدعي أنه إنما يقوم بقراءته ومحاصرة شعريته.

ومن هنا يتبين لنا أن القراءة ليست فعلا بريئا، وينكشف لنا في الآن نفسه أنها عبارة عن فعل لا يمكن أن يفتح مجراه إلا داخل حشود من المخاطر تظل تترصده، وحشود من المزالق تظل تجتذبه من المحتمل أن يتردى فيها، فيمكن أن تمارس القراءة على شعرية النص المدروس ضربا من الحجب في أغلب الأحيان، فيما هي تدعي الكشف عنها، " ذلك أن شرط تشكل النقد وشرط نهوضه كإسهام في عملية الإبداع إنما هو الوقوع على سر قوة النص المدروس والوقوف على مكوناته البانية لشعريته وحركاته الحاضنة لهويته، حركات رموزه وصوره وإيقاعه ". (9) وكذلك " إن القراءة ليست مجرد شرح للنص المدروس أو تقييم له، بل إنها تعني الوقوف عند الأسئلة المركزية التي يثيرها حضور نص ما في ثقافة ما عبر مجمل تاريخها". (10)

و من هنا " إن النص الشعري الأصيل المؤسس سواء كان قديما أو معاصرا إشكالي بطبيعته، إنه بمعنى أكثر وضوحا يمتلك طريقتين في الوجود والحضور:

الطريقة الأولى هي التي بموجبها يكون متنزلا في التاريخ مستجيباً لمتطلبات لحظته التاريخية، وهذا بالتدقيق ما يجعله يفي بحاجات معاصريه، إنه يتضمن من الأبعاد حشوداً تفي بمتطلبات تلك اللحظة، تأتي الطريقة

الثانية متناقضة للأولى تماماً وهي التي تؤمن للنص بقاءه واستمراره، فلا يطاله البلى، وتضمن له الإفلات من سلطان التاريخ فيوجد تبعاً لذلك وجوداً لا تاريخيا... يظل يفتن قراءه ومتلقيه عبر أكثر من عصر هذا ما يفسر بقاء نصوص امرئ القيس والمتنبي والمعري مثلا، واستمرارها عالقة من ذاتنا كالوشم في قاعها، دائمة الفعل... تفتن شعراء الحداثة أنفسهم " (11)

و بالتالي يصعب تحديد مفهوم القراءة، ذلك أن (القراءة) مصطلح بعيد عن التحديد والانضباط، وهي تتراوح بين تهجي الحروف، وقراءة الأدب عبر مستويات متعددة: فقارئ التسلية يعد قارئاً، وكذلك قارئ الروايات البوليسية، وقارئ الفلسفة، وقارئ الكتاب المدرسي، ولكن نتائج هذه القراءات تختلف، ومع تسليمنا بضرورة القراءة في أي مجال كان، وفي أي زمان ومكان، فإننا ندعو(القراءة الفاحصة) الصبورة، المتأملة الكاشفة عن القيم اللغوية والوصفية في النص الأدبي، وعن الرموز المستخدمة فيه، وعن المعنى الحقيقي الكامن في النص، وعندئذ نكون قد امتلكنا النص، بعد أن يكون هو قد امتلكنا في مرحلة القراءة، وبالطبع فإن هذه القراءة الصعبة ينبغي أن ترفدها ثقافة واسعة.

هكذا يمكن القول إن القراءة إذا لم تتم على نحو من التأمل، والشرود، والتذكر، والتداعي، فهي ليست أكثر من تتبع للسواد على البياض أو التقاط لأفكار النص فحسب، والمطلوب هو أن تكون الكلمات المكتوبة محرضاً ومثيراً لانطلاق الفكر والذهن في آفاق المعرفة وراء تفرعات الموضوع، أما الاكتفاء بما هو مكتوب، فليس أكثر من قراءة أحادية تستمد دون أن تتفاعل، وتذخر من أجل قراءات مستقبلية.

إن " القراءة" الواعية للنص الأدبي هي وحدها القادرة على سبر كوامنه عن طريق تفكيك جسد النص، من أجل إعادة بنائه من جديد، وبشكل آخر، ومثل هذه القراءة، وإن اعتمدت التذوق الجمالي، فإنها ترفض الانطباعية الساذجة، وتعتمد الموضوعية، من أجل اكتشاف جماليات النص ومفاتنه " وهكذا تتداخل في نظرية القراءة ثلاثة حقول هي:

1- (النص): باعتباره مجموعة من الدوال التي ينبغي تأويلها ذلك أن النص لا وجود له إلا بوجود القراءة، M.Otten وإن التأويل لا يبدأ إلا بعد أن يستحوذ القارئ على النص، ويرى ميشيل أوتان. في مقاله (سيميائية القراءة) أن ما يحسن تحديده في النص يتمحور حول قطبين هما: مواضع اليقين، ومواضع الشك، أما مواضع

اليقين فيه الأمكنة الأكثر وضوحا وجلاء في النص، وهي التي ينطلق منها القارئ لبناء التأويل، وتختلف مواضع اليقين باختلاف العصور الأدبية، وباختلاف سياقات التلقي (12).

2-(نص القارئ) : المكون من نصوص سابقة ومعاصرة، ومن رموز لا متناهية أصلها موجود أو مفقود، فكل معارف القارئ ورموزه ورغباته تشترك في عملية التأويل التي تعقب القراءة، وإذا كان التصور الكلاسيكي للقارئ يركز على ضرورة السيطرة على الرمز اللغوي، فإن المنظور المعاصر للقراءة يظهر قصور هذا الموقف، على اعتبار أن لغة الأدب هي لغة (رمزية) يشيع فيها الاستشهاد والمحاكاة، وأن القارئ مدفوع إلى استخدام مجموعة غير محددة من الرموز الثقافية التي تشكل جزءاً كامناً في(نص القارئ).

3-(العلاقة بين النص والقارئ) : فمن خلالها يتم توضيح هذا اللقاء، واستخلاص النتائج وتفسير الدلالات، وفهم أي نص يقتضي فرضية تتضمن أن هناك معرفة ضمنية بالنص، أو بمجموعة من النصوص السابقة المقروءة والمفهومة من قبل.

وللقراءة جانبان: وجداني و إدراكي، وقراءة العمل الأدبي تتم بمشاركة هذين الجانبين،

ومعلوم أننا لا نستطيع أن نستمر في قراءة العمل الأدبي إذا لم نشعر بشيء من الاندماج الوجداني معه، ونحس بأننا مشاركون فيه، كمعجبين أو ساخطين. و هذه المشاركة الوجدانية هي(إدراك) في الوقت نفسه " (13).

ومن هنا تصبح القراءة عملاً إبداعياً يوازي إبداع النص نفسه. ولهذا طالب النقاد بقراء ممتازين فقال أيزر بـ (القارئ الضمني أو المضمر)، وقال وولف بـ (القارئ المرتقب) الذي يضعه الكاتب في اعتباره أثناء الكتابة، وطالب ريفاتير بـ(القارئ المتفوق) وفيش بـ(القارئ المثالي)، وبارت بـ(القارئ غير البريء) الذي يختزن عدداً لا نهائياً من النصوص والإشارات، والواقع أن القارئ هو مفتاح الأثر الأدبي الخالد الذي لا يستمر خلوده إلا لأنه يظل قادراً على إحداث ردود فعل واقتراح تأويلات لدى القراء، فخلود الآثار الأدبية يأتي من فاعليتها في نفوس القراء في كل زمان ومكان.

" فالقراءة عملية بصرية ذهنية تحول الرمز صورة والسياق معنى، والمعنى معان، فثمة معنى لكل حالة، زد على ذلك تبدل الدلالة في الاقتران، مثلا(آه من شوقي) تتبدل دلالة هذه العبارة بالاقتران، فإذا قيلت للأب، إذا قيلت للأخت الصغرى، للزميلة، للخطيبة، فالسياق يغير شحنات الدلالة، فلا بد من مناسبة بين القراءة والدلالة،

باعتداد المعنى حصيلة التقاء نصين اثنين: نص القراءة، نص القارئ، ففعل القراءة عملية ممارسة يتفاعل القارئ مع النص استنادا إلى معارفه وتقاليده ورغبته أيضا، بحيث تجري القراءة وفق المستويات التالية:

1- النص في حد ذاته بوصفه مجموعة دوال ينبغي تأويلها.

2 – نص القارئ باعتداده نصا.

3- التقاء النص وقارئه لإنتاج الدلالة ". (14)

ولقد تطرق حبيب مونسي بخرجة أخرى في كتابه " فعل القراءة – النشأة والتحول " إلى استنباط تعدد القراءة في قوله: " لقد عرض القرآن الكريم طبيعة هذا الفهم في آيات كريمات، وفي قوله عز وجل " **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** " (15) ويترتب الشكر على نعمة مسداة. ولم يقدم الله – عز وجل – المعرفة جاهزة، وإنما قدم منافذها حساسة، ورتب أولوياتها، فجعلها سمعاً يشترك فيه جميع الناس أمام الصوت، وجعلها أبصاراً تتعدد للمنظور الواحد من طرف الفئة من الناس، وكأن كل بصر سيسلك زاوية خاصة تجعل إبصاره خاصا به، يختلف عن غيره، وكما عدد البصر عدد الأفئدة لأنها مناط الخصوصية في كل ذات، بيد أن ما يجعلنا نعتقد أنها منافذ قراءة أولية، هو مقابلها لدلالات محايثة لها على النحو التالي:

السمع ← التلقي(الخبر– الرواية – المشافهة...)

الأبصار ← القراءة(الخط – العلامة – النصية...)

الأفئدة ← الفقه(معرفة الأسباب، وإدراك العلل...)

ولم يجعل الله – عز وجل – هذا اللون من القراءة مرتبطاً بمكتوب، ولكنه ربطه بالعلم (**لا تعلمون شيئاً**) وسبق القراءة – على هذا النحو – يجعل الكتابة تقييداً في حدود الخط، وضيق مجاله " (16)

و الناتج أن " القراءة " تستوجب بدورها " قراءة " اصطلح عليها" تحليل عملية الفهم" في نظريات التلقي، والتي هي أقرب ما تكون إلى " تاريخ الأدب " بصورة جديدة وأقرب ما تكون إلى التحليل النفسي للذهنيات والمواقف والفهم.

هكذا نرى أن مفهوم القراءة غير محدد نظريا ومنهجياً، ولا يمكن تعرفه أو التعريف به إلا ضمن حالة إنجاز تترجم علاقة ما بالنص، فهو تبعاً لذلك لا يخصص النقد بمنهج أو نظرية، ولكنه يقحمه في مجالات تحاول أن تشمل النقد أو تريد من النقد أن يحتويها، مما يضيف إلى الإشكال الأصلي تعقيدات جديدة أقوى مظاهرها دخول مصطلح " النقد" ضمن شبكة مفهومية خاصة بمصطلح " القراءة " وهذه الشبكة الدالة على إمكانات تعريف إذا اقترنت بالنقد خلقت احتمالات القول:

1- **بالترادف:** إن النقد قراءة والقراءة نقد؛

2- **التماهي:** لا وجود لقراءة دون اعتبارها نقداً، ولا وجود لنقد إلا لأنه قراءة؛

3- **التفرع:** القراءة شكل من النقد، والنقد شكل من أشكال القراءة؛

4- **التعارض:** القراءة بديل النقد؛

5- **الخلافية:** القراءة ممارسة لا صلة لها بالنقد، ممارسة علمية نوعية.

إن هذه الاحتمالات يمكن أن يحتملها النقد ويدعمها بسبب الإشكال الأصلي الذي شرحناه سابقاً، ولعل تواتر مصطلح قراءة في تسمية عدد من الممارسات التي تنتسب إلى النقد ما يؤكد ذلك، بحيث تصير " القراءة " عدة وأجهزة للنقد، وللتعامل مع النقد نفسه لقراءة القراءة (17)

¶ ومن ثم فمفهوم القراءة متعدد ليس له أدوات واضحة ولا مرجعية قارة، ولا موضوع خاص، ويمكن أن يظهر في كل مرة ضمن احتمال مفهومي ضمن الاحتمالات المذكورة، مما يعني أن اقترانه بالنقد يزيد في تقوية درجة الإشكال ولا يحله قط، وجلاه في صورة بدائل مثل: قراءة تشريحية، قراءة سيميولوجية، قراءة بنيوية، قراءة نقدية، قراءة سياسية، قراءة سوسيولوجية، قراءة أسلوبية، قراءة موضوعاتية... الخ... وكل قراءة تعمل ضمن خطاطة أولية:

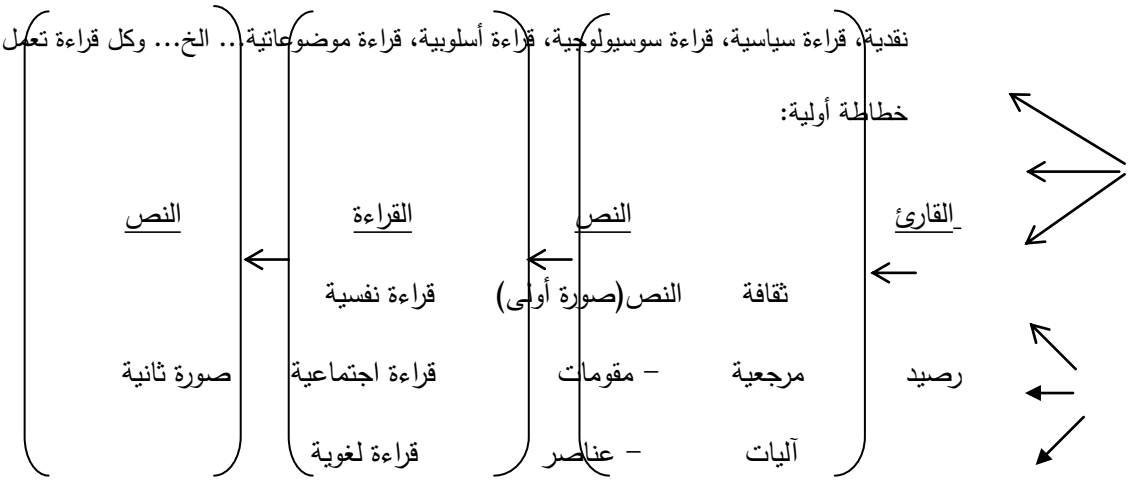

سياق قراءة سياسية

استيراتيجية أفق انتظار قراءة تشريحية

أهداف

هذا إضافة إلى أن كلمة قراءة حظيت ببريق خاص تنعكس عليه آثار الحداثة النقدية الغربية التي أغرت عدداً من النقاد العرب ومنظري النقد بالاهتمام بالقراءة ونماذج القراءة، مما سرب إلى النقد العربي مفاهيم توتر المعرفة النقدية، وخاصة حين شغف عدد من الدارسين والكتاب بتقديم خطابات لتعريف القراءة، والقراءة النقدية على وجه مخصوص.

" إن هذا النوع من خطابات التعريف لقضايا القراءة ومناهجها، اكتفى بخطاب العرض وتقديم التصورات الأساسية المتداولة في الآداب الأوروبية وخصوصاً لدى الذين مارسوا أنواع القراءة من أمثال " رولان بارت" في كتابه S/Z ومقالات "طودوروف" و " ريفاتير"، وعرجوا بعد ذلك على أنواع أخرى من القراءات التي تعاملت مع النص من منظور سوسيولوجي(إسكاربيت) أو سوسيولوجي تكويني (غولدمان) أو سياسي(لينهارت)، وانتهت أحياناً إلى مدرسة كونستاس ممثلة في

الباحثين الألمان أمثال " ياووس" و" ايزر" (18).

إن التعدد الذي يتحقق من " القراءة " هو تعدد مقاربات أي خلق قراءات، كل واحدة متفردة بأسئلتها ورؤيتها وأدواتها، غير ملزمة بشروط مسبقة سوى ما يمكن أن يبوح به النص، فهي قراءة متفردة بنصها وقواعدها الخاصة التي تعطيها المعقولية.

وكون القراءة هنا – ترجمة اكتشاف " النص" – فهي تحاول أن تميز نفسها على أشكال النقد المألوفة التقويمية والتفسيرية، لكنها لا تبتعد كثيراً عنها ولا تؤسس منهجا يمكن اقتفاؤه ورسم حركته بالضبط ، لأنها تفتقر إلى أدوات واضحة، ولا تسمي إجراءاتها بدقة، فهي قراءة واقفة بين النقد التقليدي والنقد البنيوي الشكلي، وتجتمع فيها القيمة والشكل أو التشكيل الجمالي والمعرفة، إذ الاكتشاف ليس منهجاً وإنما هو غاية تتأثر بأساليب

وإجراءات لا حصر لها " ويقتضي ربطه بآليات منهجية مخصوصة كالتي يقترحها من يتبنى البنيوية كما هي، أو يتبنى التشريحية كما يفهمها، فتكون القراءة جملة خطوات منهجية مثل:

1- قراءة عامة لكل أعمال الشاعر، وهي استكشافية تذوقية؛

2- قراءة تذوقية(نقدية) مصحوبة برصد المحاولات مع محاولة استنباط النماذج الأساسية التي تمثل(صوتيمات) العمل، أي النوى الأساسية؛

3- قراءة نقدية تعمد إلى فحص " النماذج " بمعارضتها مع العمل، على أنها كلمات شمولية تتحكم في تصريف جزئيات العمل الكامل الذي هو مجموع ما كتبه الشاعر؛

4- دراسة النماذج على أنها وحدات كلية؛

5- وبعد ذلك تأتي الكتابة، وهي إعادة البناء التي يتحقق بها النقد التركيبي، إذ يصبح النص هو التفسير والتفسير هو النص ". (19) و هكذا يمكننا أن ندعي أن مفهوم " قراءة القراءة " إلى يومنا هذا ما زال مفهوما يشيد ويبنى. فهو في بدء الأمر وغايته، مثل كل المفاهيم التي لها حياة تنتقل من التسميات والتصورات العامة، وتمر بمراحل الصقل والاختبار قبل أن تستقر على مدلول اصطلاحي مخصص .

ف " نقد القراءة، هذه مسألة تكاد تكون غائبة عن مجال اهتمامنا الأدبي. وفي ظني أنها قضية أساسية ملحة لا بكونها نوعا من نقد النقد وحسب، بل إن للقراءة أيضا جماليات خاصة تفقد – حتى تفقدها – جدواها وقيمتها ". (20)

مستويات القراءة

قبل التطرق إلى آلية هذه القراءة، لابد أن نقف عند بعض القضايا و التي توضح لنا المعالم العامة لعملية القراءة والشرح، وتكون معبرا للوصول إلى هذه الآليات التي وظفها الشارح في عمله، فلنا أن نتساءل كيف تتم عملية القراءة (شرح)؟، ما هي مكانة المتلقي ودوره في إبداع النص الأدبي؟.

فكانت الشروح الشعرية، ومازلت موردا خصبا للنقاد ولدارسي الأدب، يرجعون إليها كلما دعتهم إلى ذلك ضرورة، بل لنقل إنها من أهم مصادر التراث الذي خلفه السابقون، ويمكن العودة إليه عند القيام بأية دراسة، لأن للاتجاهات التي قادته دورا مهما في إثرائه، وللرجال الذين اهتموا بهذه الاتجاهات دور هام كذلك، فهناك من

اهتم بجانب النحو كالنحاس، وهناك من اعتنى باللغة كابن الأنباري، وهناك من كان اتجاهه نقديا أكثر من باقي الاتجاهات كالمرزوقي وغيره، وعلى الرغم من هذا فإننا لانعدم عند أي طرف جانبا من تلك الاتجاهات، فشروح المرزوقي على سبيل المثال حوت اللغة والنحو وأمورا أخرى. (21)

وهكذا تتعدد مستويات القراءة من قارئ إلى آخر، حسب ثقافة القارئ الفنية، وخبرته الجمالية، حتى لقد قيل إن هناك عددا من القراءات يساوي عدد القراء أنفسهم، بل إن بعضهم ليذهب إلى أن القارئ الواحد نفسه يقدم في كل قراءة قراءة جديدة تختلف عن قراءته الأولى، وذلك بحسب الزمان والمكان والسن، ويؤكد تودوروف أن القراءة كفعالية موضوعها النص، وهدفها إظهار أنساقه وبنياته، ووظيفتها، ينبغي ألا تقتصر على تقديم اهتمام متساو بجميع عناصر النص، بل ينبغي أن تعطي اهتماما أكثر لبؤر النص المهيمنة،

لا انطلاقا من موقعها في نفس المؤلف، أو اعتمادا على معايير خارجية، وإنما من دورها في النص الأدبي. وإذا كان الأدب لا يتحقق إلا بالقارئ، فإن القراءة تصبح عملية تقرير مصيري بالنسبة للنص، ومصير النص إنما يتحدد حسب استقبال القارئ له، والقراءة فعالية ثقافية ذات نوعية هامة، ومادام ينتج عنها تقرير مصير النص، فإن من الضرورة أن نعرف أنواعها التي تستطيع تحقيق مهمتها بقدر من الكفاءة يؤهلها للحكم الصحيح.

"ولعل إسهام تودوروف في مقالة(كيف نقرأ؟)(تودوروف– شعرية النثر ص: 235)

لا يقل عن إسهام بارت في هذا المجال، وقد عرض تودوروف ثلاثة أنوع من القراءة هي:

1– القراءة الإسقاطية: Projectivité وهي نوع من القراءة التقليدية، لا ترتكز على النص، ولكنها تمر من خلاله، ومن فوقه، متجهة نحو المؤلف، أو المجتمع، وتعامل النص كأنه وثيقة لإثبات قضية شخصية أو اجتماعية أو تاريخية، والقارئ فيها يلعب

دور المدعي العام الذي يحاول إثبات التهمة.

2– قراءة الشرح أو التعليق: Commentary وهي قراءة تلتزم بالنص، ولكنها تأخذ منه ظاهر معناه فقط، وتعطي المعنى الظاهري حصانة يرتفع بها فوق الكلمات، ولذا فإن شرح النص فيها يكون بوضع كلمات بديلة أو تكريراً ساذجاً يجتر نفس الكلمات بخلاف القراءة التي تقوم على عبور النص إلى ما وراءه.

3- القراءة الشاعرية : Poetica وهي قراءة النص من خلال شفراته، بناء على معطيات سياقه الفني. والنص هنا خلية حية تتحرك من داخلها، مندفعة بقوة لا ترد لتكسر كل الحواجز بين النصوص، والقراءة الشاعرية تسعى إلى كشف ما هو في باطن النص، لتقرأ فيه أبعد مما هو في لفظه. وهذا ما يجعلها أقدر على تجلية حقائق التجربة الأدبية، وعلى إثراء معطيات اللغة. (22)

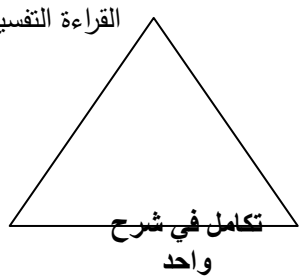

قد نجد هذه الأنواع الثلاثة في شرح واحد، يجول الشارح بينها، فتارة يفسر ويشرح، وتارة يحكم ويقرر، وتارة أخرى يحتمل ويقترح...

ولا يمكنه الاستغناء عن هذه الثلاثة، فلا بد أن يمر عليها ولو عرضاً، وتلتمسها في الشروحات.

وهكذا تبدو القراءة جهداً تحويليا يتمثل الرموز والعلامات. وتبدو القراءة العميقة التي ينبغي التفسير اجتهاداً وفتحاً وانتهاكاً، ويبدو النص غير ذي وجود بمعزل عن القارئ الذي يعطيه قيمته عندما يفك مغاليقه، لقد أصبح للقراءة ثقلها في إبراز هوية النص وتجسيد بنيته. فالنص نداء والقراءة تلبية لهذا النداء. وقد تدرج الاهتمام بالقراءة من مركزية مؤلف النص وعصره، ومن تصور القارئ مستهلكاً للنص في المناهج النقدية التي تدرس الأدب من خارجه، إلى نقل هذه المركزية إلى النص وحده، لينفعل به القارئ كما في المناهج النقدية ما بعد الحداثية، تلك التي لم تعد ترى القراءة مسحاً بصرياً للنص، أو تفسيراً معجمياً لألفاظه، أو استنباطا لمعانيه. وإنما هي فعل خلاق ونشاط إبداعي كالكتابة نفسها.

لقد جاء الاهتمام بالمتلقي ودوره الفاعل في إبداع النص الأدبي رد فعل على هيمنة المؤلف في المناهج النقدية الحديثة، وعلى سلطة النص في المناهج المعاصرة، فتنبه نقاد(ما بعد الحداثة) إلى أهمية القارئ،

على الرغم من أن بذور هذا الاهتمام قد وجدت قبل هذا لدى ت. س. إليوت الذي يقول: "إن وجود القصيدة هو في منطقة ما بين الشاعر والقارئ." (23) ولدى سارتر الذي شبه العمل الأدبي بخذروف دوار بين المؤلف والقارئ. (24) ورأى أن القارئ يكشف ويخلق في الوقت نفسه، فيكشف بوساطة الخلق، ويخلق بوساطة الكشف. والعمل الأدبي بالنسبة للقارئ معين لا ينضب.

والقارئ يقرأ ويعيد القراءة دون أن يمسك بالمقروء بشكل نهائي. والعمل الأدبي ذاته قابل للخلق بوساطة القراءة.ودون قراءة يظل العمل الأدبي مجرد علامات على الورق.

وهكذا حظيت عملية القراءة في هذا العصر باهتمام لم تحظ به من قبل، في النقد القديم، على يد النقاد الألمان، والبنيويين الفرنسيين. ثم جاء التفكيكيون فأخذوا بمقولة بارت (موت الكاتب) ليبقى القارئ وحده، وجهاً لوجه، أمام النص الأدبي، وقالوا إن كل قراءة هي أساءة قراءة، تلغيها القراءة التالية. وإن كل تفسير هو تفسير خاطئ يلغيه التفسير اللاحق.

وهكذا انتقلت سلطة الأدب من (الكاتب) و(النص) إلى (القارئ) الرأس الثالث للمثلث الذهبي الأدبي. بعد أن أعلن "موت الكاتب". هكذا أصبح النص لا وجود له دون قارئ يمنحه بنياته وعلاقاته ودلالته، وأصبح النص بناء ينتظر القارئ الذي يخلق منه الذي يريده، ولم يعد القارئ مجرد متلق سلبي، أو مستهلك خاضع لسلطة النص، وإنما هو خالق النص. وبهذا تصبح القراءة عملية إنتاجية، لا عملية تلق دون فعل، ولهذا جاءت (جماليات التلقي) لتؤكد تعدد قراءات النص الواحد، ولا نهائية دلالته، حتى لدى القارئ الواحد.

ومن هنا نقول كذلك: هل يقرأ قارئ الشعر من أجل أن يفهم شيئاً معينا؟، أومن أجل أن يعمق معرفته، ويوسع ثقافته؟ أم يقرأ من أجل صقل ذوقه، وإمتاع روحه، وإيناس قلبه؟ أم أنه يقرأ الشعر من أجل أن يتناص، ويتشرب، ويتساءل ويملأ الفراغ الذي لم يتمكن النص المقروء من ملئه، ويبحث – مع الشاعر– عن النص الغائب وعن اللامقول وعن اللامفكر فيه أثناء الكتابة؟

وكثيراً ما يقع الاختلاف بين التأويل بحثاً عن مقصدية التأليف (الناص)، وبين التأويل من حيث هو بحث عن مقصدية الإبداع (النص)، وبين التأويل من حيث هو فرض– أو إملاء– لمقصدية القراءة (تلقي النص).

ويحتدم النقاش الكلاسيكي من حول الاختلاف بين برنامجين اثنين:

ا- هل يجب البحث في النص كما كان المؤلف يريد قوله؟

ب- أم هل يجب البحث في النص كما يقوله المؤلف فعلاً، بمعزل عن مقصديات هذا المؤلف ؟ وإذا وقع التسليم بالاحتمال الثاني، فإن الاعتراض سيحدث حينئذ بين:

ا- هل يجب أن نبحث في النص كما يقوله هو بالإحالة على نسقه السياقي، وبالإحالة على وضع أنساق الدلالة التي يحيل عليها؟

ب- أم هل يجب البحث في النص كما يجده فيه المتلقي بالإحالة على أنساق دلالته، و/أو بالإحالة على رغباته، أو ميوله، أو مشيئاته؟

وإن من الجائز وجود جماليات للاتأويلية القائمة على محدودية النص الشعري المتوافق مع سيميائية التأويل المرتبطة بمقصدية المؤلف. كما يمكن أن توجد سيميائية للتأويل القائم على أحادية النصوص التي تنفي على كل حال الوفاء لمقصدية المؤلف مع حق الإحالة على مقصدية الإبداع.

وفعلا، فإنه يمكن قراءة نص ما، على أساس أنه قابل للتأويل إلى ما لا نهاية له من الوجوه، بينما مؤلفه لم يقدمه إلا على أساس أنه وحيد المعنى، كما هو الحال بالقياس إلى قراءة جاك دريدا لنص صارل. كما يمكن قراءة نص ما على أنه قابل للتأويل إلى ما لا نهاية بينما هو وحيد المعنى فيما يعود إلى مقصدية الإبداع. بينما يمكن قراءة نص ما على أنه وحيد المعنى من حيث كان مؤلفه يريد أن يؤول بلا حدود . ويمكن قراءة نص مفتوح على أساس أنه وحيد

المعنى، وتخضعه مع ذلك لتأويلات مختلفة من حيث وجهة نظر مقصدية الإبداع. (25)

ويمكن أن نستنتج من هذه الصور المتعددة لتأويلية النص عبر مراحله المختلفات، أن القراءة الأدبية ما يكون ليكون لها حدود معينة تنتهي لديها، كما يزعم ذلك "ڤريماس".

إن النص الخصيب مفتوح على عدة قراءات والتي كلما توالت عليه زادته خصوبة وأعماقا وأبعادا وغزارة... وثراء. (26)

وهذا يعني أن كل قراءة تؤدي بالضرورة إلى إبداع (نص)– شفوي أو كتابي– يبوح عن نفسه ويستدعي قراءة للكشف عن كنهه. والنص – كما يقول ثعلب في المجالس:– (النص كشف وإظهار، وكل مظهر فهو منصوص)، فالنص من هذا المنظور: كشف وإظهار، ويأتي الدارس أو الناقد ليقوم بكشف الكشف، أي بالقراءة، وهذه الثنائية على غرار ما ذهب إليه عبد المالك مرتاض ومونسي حبيب متبادلة الأسبقية، فقد أنطلق من القراءة لأبدع نصا، وقد أنطلق من الكتابة لأقرأ نصا، غير أن

هذه الثنائية تظهر في شكل معادلتين متعاكستين على النحو التالي:

فكر(تحليل الظاهرة) + قراءة ــ نص(كتابة)

نص(كتابة) + قراءة ـــ فكر (تحليل)

وهذا يعني أن القراءة في المعادلة الأولى هي التركيب الإبداعي، وفي الثانية هي التحليل الكشفي. (27)

هوامش البحث:

1 – أدونيس – سياسة الشعر – دار الآداب – بيروت 1985 ص: 49.

2– ينظر: محمد تحريشي– النقد الأدبي في شروح الشعر العربي ص: 45.

3– عبد الملك مرتاض– التحليل السيميائي للخطاب الشعري– مجلة علامات ج5 م2ص:145–1992

4– عبد الملك مرتاض –النص الأدبي ص: 42.

5– عبد المالك مرتاض – النص الأدبي ص: 53.

6–عبد المالك مرتاض – القراءة بين قيد النظرية وحرية التلقي ص: 15.

7–حميد لحميداني– مستويات التلقي، القصة القصيرة نموذجا مجلة، دراسات سيميائية أدبية عدد:6 –1992 المغرب ص:99.

8 – ينظر: حبيب مونسي – كتاب فعل النشأة والتحول ص: 152، 153

9– عبد الملك مرتاض – القصة في الأدب العربي ص: 184.

10– محمد لطفي اليوسفي – كتاب المتاهات والتلاشي في النقد والشعر ص: 05.

11– محمد لطفي اليوسفي – كتاب المتاهات والتلاشي في النقد والشعر ص: 06، 07.

12- نفسه ص: 07.

13 - محمد لطفي اليوسفي- كتاب المتاهات والتلاشي في النقد والشعر ص: 08.

14- ميشيل أوتان: (ترجمة: محمد خير البقاعي مجلة البحرين الثقافية عدد 06 عام 1995)

15 - محمد عزام – النقد بين النص والتلقي – جريدة الأسبوع الأدبي العدد 920 تاريخ : 2004/08/21.

16 - عبد الله الصائغ – الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية ص: 293.

17- سورة النحل - الآية: 78.

18- حبيب مونسي – كتاب فعل القراءة – النشأة والتحول ص: 155، 156.

19 - محمد الدغمومي – نقد النقد و تنظير النقد العربي المعاصر ص: 272.

20 - محمد الدغمومي – نقد النقد ص: 274.

21 - عبد الله محمد الغذامي- الخطيئة والتكفير – نادي جدة الأدبي – جدة 1985 ص: 89.

22- ينظر: تودوروف- الأدب الفرنسي اليوم، جامعة كمبردج 1982 وكذلك محمد عزام- النقد بين النص والتلقي.

23- ت. س. إليوت- فائدة الشعر وفائدة النقد، تر: يوسف نور عوض، بيروت 1982 ص: 38.

24- سارتر- الأدب الملتزم، تر: جورج طرابيشي، بيروت 1961 ص: 120

25- عبد المالك مرتاض- مجلة إبداع ص: 8 العدد: الثالث 1996.

26-جان بول سارتر- ما الأدب، استشهد به حسين الواد ص: 56.

27- جيلالي حلام- في القراءة والمنهج، مجلة إبداع ص: 60.

حوليات جامعة بشار
Annales de l'Université de Bechar
N°12, 2011, العدد 12
ISSN : 1112-6604

آدولف أبيا Appia 1862-1928

د. عبدالله حسن الغيث

مخرج مسرحي وصاحب نظرية «**سويسري نفذ عدداً كبيراً من مشروعات الديكور وأخرج بعض أوبرات فاجنر وكان لكتاباته عن فن المسرح أثر هام**»[1].

وواضح أن آبيا اهتم بجزئيتين أساسيتين هما الديكور أي المنظر المسرحي وهو ما سيستتبعه استخدامات الإضاءة بالطبع وكذلك النصوص الموسيقية خاصة أعمال فاجنر وهي ما تعطيه فرصة لتحقيق مسرحه الشاعري.

فقد «**نشر آبيا في 1891 كتيباً بعنوان إخراج درامات فاجنر ضمت بالفعل تفصيلاً لمشاهد (سيناريو) الحلقة وفي 1895 نشر أهم أعماله الموسيقي الذي أوضح فيه تفاصيل اقتراحاته لبعث الحياة في فن التصميم المنظري وفي هذا الكتاب دعى أبيا إلى مسرح الجو بدلاً من مسرح المظهر**»[2].

لقد ساهم كريج بجهد تنظيري كبير لكنه في الجزء التطبيقي كانت إسهاماته محدودة للغاية لكن آبيا ساهم بجهد وافر في الجانب التطبيقي فهو في خلال تاريخ المسرح يعتبر مفكراً ومنظراً مسرحياً.

ويعتبر أسلوب كل من جوردون كريج وآدولف آبيا الطليعي هو نتاج منطقي للتيار الذي سبقهم وهو تيار الرمزية ذلك التيار الذي كان قد ساد الأدب والمسرح كما كان عند آبيا دوراً بارزاً نتيجة الأعمال الموسيقية لفاجنر. لقد وجده فيهم مفتاح تحرر الفنان ؟؟؟ المشاهد.

([1]) أوديت أصلان، فن المسرح، سامية أسعد، الأنجلو، القاهرة، ب.ت، ص362.

([2]) جيمس روس، إيفانز: المسرح التجريبي من ستانسلافسكي إلى اليوم، فاروق عبد القادر، دار الفكر المعاصر، القاهرة، ب.ت، ص48.

يعد آدولف آبيا واحداً من أهم المسرحيين الذين تركوا أثراً كبيراً في تطور حركة المسرح في العالم. فلم يكن آدولف آبيا مجرد فنان له تركيز على عنصر واحد من عناصر العرض المسرحي فهو المخرج ومصمم الديكور بل هو الذي نادى بشاعرية المسرح منطلقاً من رؤيته لأعمال فاجنر الموسيقية معتبراً أن كافة عناصر العرض هي عناصر تساهم في تحقيق فكرة شاعرية المسرح ولذلك أولى اهتمامات كبيرة بالديكور والإضاءة وهو ما يجعله يتقرب في أعماله من مفهوم السينوجرافيا المعاصر.

ورغم أن آبيا يرتبط اسمه باسم المخرج ومصمم الديكور والمنظر المسرحي كريج إلا أن هناك اختلافاً أساسياً بينهما حيث نجد أن كريج «**إحساسه بالجمال مزيفاً في العزلة الإنجليزية وكان جمهوره الإنجليزي يرى رغبته في الاهتمام بالمسرح بوصفه كياناً يحتوي بداخله الجماليات الخاصة به يراها الجمهور شديدة الراديكالية. وبالنسبة لأبيا كان العيش في ظل نيتشه وشيللر وشوبنهور وجوته وفاجنر والمناقشة والتحليل والنظريات الجمالية، كانت بالفعل قوة ثقافية مهمة. كان دين أبيا الأساسي لفاجنر الذي اشتقت لغته من النصوص النظرية مثل العمل الفني في المستقبل يتسرب بصعوبة إلى نثره**»[3].

ولقد كانت إضافات أبيا للمسرح في عنصر الديكور تنطلق من رؤيته للمسرح ورفضه للواقعية الشديدة التركيز حيث كان يرى «**القليل أو الخفض في تقديم المسرح الواقعي خاصة في الرسم الواقعي لخشبة المسرح حيث يشار فقط إلى عناصر العرض ولا يتم التعبير عن الحياة الداخلية للدراما**»[4].

الموسيقـــى:

كما قلنا كانت أول دراسة لأبيا بعنوان إخراج الدراما الفاجنرية «**وهذه الدراسة تنصب بشكل كامل على دور المخرج في صياغة العرض المسرحي لذلك اعتبر من أهم من ساهموا في تشريع وتوصيف وتنظير وظيفة المخرج المعاصر**»[5].

لقد وجد أبيا نفسه في هذا النوع من الأعمال فقد «**وجد حريته في الموسيقى لتشديدها على الجانب العاطفي أكثر من الجانب الواقعي وبذلك أمدت الموسيقى الفنان بنموذج يستطيع التقرب منه إلى أن تكون**

([3]) جان ميلنج، جرهام لي: نظريات حديثة في الأداء المسرحي، ترجمة إيمان حجازي، إصدارات مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، القاهرة، الدورة 16، 2004، ص49.

([4]) المرجع السابق، ص49.

([5]) سعد أردش: المخرج في المسرح المعاصر، عالم المعرفة، الكويت، وزارة الإعلام، ص106.

إعداداته معبرة على مستوى مماثل. فكان لابد من تحرير الصورة المسرحية (المشاهد) من ضرورة إعادة إنتاج خلفيات الفعل كان عليها أن تغير مظهرها، حتى يجسد كل عنصر منها العواطف المراد إثارتها كجزء لا يتجزأ من شكلها ولونها وصميمها العام»[6].

والواضح أن الموسيقى بإيقاعها وهارمونيتها ولغتها الساحرة التي تأخذ الإنسان إلى عالم خيالي آخر بعيداً عن ذلك العالم الواقعي والتي تجعل الإنسان يحلق في خيالات هذا العالم بجوارحه وعواطفه هي الأسباب التي جعلت فاجنر يتجه إليها وهي الأسباب التي جعلت أبيا يحذو حذوه بعيداً عن الأسلوب الواقعي وتطويراً للأسلوب الرمزي. فكما يقول أبيا «**الموسيقى تجد تعبيرها في قلوبنا مستعملاً المصطلح التقليدي ليخلص الجوهر العاطفي لوجودنا وهذا ما يحدث مباشرة حتى أن التعبير عنه مقدس غير ملموس فحين تتخذ الصور المسرحية أشكالاً فضائية تمليها إيقاعات الموسيقى لا تعود ؟؟؟ بل على الضد تغدو متصفة بصفة الحتمية**»[7].

وأبيا ينطلق في مفهوم الدراما الموسيقية من كونها تستطيع الوصول إلى الحقيقة عن طريق إدراك الألوان والأصوات والكلمات.

وبذلك فإن أبيا يصل عن طريق الموسيقى إلى فكرة هامة هي فكرة العمل الفني المتكامل.

العمل الفني المتكامل والفن الحي:

يقول أبيا ليس معنى استنباط عرض مسرحي من الموسيقى أن الأصوات الموسيقية نفسها تصبح مصدراً للفكرة الدرامية إن الموسيقى وسيلة لاستبطان الصورة الداخلية للإحساس بالموسيقى مع التسليم بادئ ذي بدء أن المؤلف قادر على التعبير عن المعاني الخبيئة للحياة. ولأن الفن الواقعي عاجز عن التعبير عن الحياة الخبيئة فهو ينادي في فكرته عن الفن الحي بالمشاركة الوجدانية»[8].

لقد أراد أبيا للعمل الفني تكامل عناصره كما هو الحال في ذوبان النغمات الموسيقية مع بعضها البعض لإخراج مقطوعة موسيقية جميلة. إن نظرة أبيا هي أساساً فكرة تجعل من كل عناصر العرض المسرحي مجموعة من النغمات التي تتوافق مع بعضها البعض في نسيج هارموني وإيقاع معين لتخرج لنا مسرحاً جميلاً مسرحاً

([6]) إريك بنتلي: نظرية المسرح الحديث، يوسف عبد المسيح، الشئون الثقافية، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ص13.

([7]) المرجع السابق، ص15.

([8]) سعد أردش، مرجع سابق، ص107.

شاعرياً يبرز دواخلنا وعواطفنا ولا يصورنا من الخارج ويعد ذلك ثورة على الواقعية وهو ما نجده بالفعل صراحة في **«رفضه أي تفسير واقعي للدراما من خلال كتاباته عن الفن الحي: الفن الدرامي المسرحي يبدأ بحركة والباقي لا يزيد على أمر ضروري لا شك أنه شائق ومن ثم فإن لدينا من جهة مبنى منصة المسرح والأزياء ومن جهة أخرى كائنات حية متحركة هم الممثلون الذين بدونهم لا يوجد مسرح. والفن الدرامي أولاً وقبل كل شيء هو فن الحياة وهذه الحياة يمكن التعبير عنها بدون مبان وبدون ديكورات بغض النظر عن عالمي الزمان والمكان وتحت تأثير الرياضة مروراً بالرقص نفسه تدريجياً»**[9].

الإضـــاءة:

كان الضوء بالقياس إلى أبيا رسام المشاهد الأسمى فقد أعلن أن الشاعر الموسيقي هو الذي يرسم بالضوء»[10].

ويرجع ذلك إلى أن الضوء وسيلة شاعرية يرسم بها الفنان بعيداً عن قيود الاتجاه الواقعي الذي يرفضه أبيا ولكن أبيا نفسه يحذر من سوء استخدام هذه الإضاءة مسرحياً لأن لها عواقبها الواضحة. فهو يرى أن **«الضوء والموسيقى وحدهما يستطيعان التعبير عن المظاهر الباطنية لكل المظاهر. حتى إذا كانت أهميتها النسبية ليست دائماً الأهمية نفسها فإن تأثيرهما متماثل كلاهما يقتضي موضوعاً يستطيع أن يضفي عليهما شكلاً إبداعياً وأن يكون مظهره سطحياً تماماً فالشاعر يقدم الموضوع للموسيقى بينما يقدم الممثل الإعداد المسرحي للضوء»**[11].

إن أبيا نظر للإضاءة نظرة خاصة باعتبارها لغة خاصة لها طبيعتها كما هو الحال في الموسيقى ولذلك **«كانت الإضاءة عند أبيا أهم من رسم المناظر فالإضاءة وحدها تحدد وتكشف وطبيعة استجابتنا الانفعالية يمكن التحكم فيها بالتحكم في درجة الضوء على الخشبة ونوعه»**[12].

إن أبيا يحاول أن يتناول مستويات الإنسان الخفية كاللاشعور بعيداً عن مظاهره وبعيداً عن الأسلوب الواقعي واستخدم الإضاءة كوسيلة في ذلك باعتبار أنها تطوير للمذهب الرمزي وأنها يمكنها الرسم وكشف أغوار النفس البشرية بصورة واضحة عكس غموض المنظر المرسوم أو الديكور.

([9]) أحمد زكي: عبقرية الإخراج المسرحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989، ص88.

([10]) إريك بنتلي: نظرية المسرح الحديث، م.س، ص27.

([11]) المرجع السابق، ص27.

([12]) جيمس روس: المسرح التجريبي، م.س، ص49.

ولذلك رفض أبيا المنظر المرسوم ولأنه يريد استخدام أسلوب الموسيقى في كل شيء في المسرح خاصة ميزة الهارموني والإيقاع فإن أبيا في نظريته يرى «**أن الفن يجب أن يكون ذا إيقاع وليس صحيحاً أن يترك الأمر على عواهنه للممثل مستنداً إلى ما يسمى بالإيهام إذ أن الأصل أن تكون خطوط جسم الممثل وحركاته وإيماءاته متسقة تماماً مع خطوط الديكور حتى يتم الاتحاد بينهما في إيقاع مميز**» [13]. أي أن الإضاءة هنا تلعب دوراً إيقاعياً من خلال حركتها على الديكور وتأكيداتها المطلوبة في أماكن معينة ومحددة.

فلقد وجد أبيا في استخدام الضوء الحرية التي قدمتها الموسيقى للشاعر حسب نظره. «**إن الضوء المنضبط والموجه هو النظير المتمم للمقطوعة الموسيقية فتشكيلته وسيولته وتركيزه المتقلب تمدنا بالفرصة نفسها لإثارة القيم العاطفية في التمثيل أكثر من القيم الواقعية الأخرى**»[14].

ومن وجهة أخرى لا يتوقف أبيا عند حدود كون الضوء رأسياً للمشاهد فقط بل إنه يرى أن الضوء أيضاً يلعب وظيفة أخرى هي الوظيفة التفسيرية. فالضوء عند ابيا ضوء مفسر يرشد المصمم ويعينه على رصد الأعداد كما يشاهده في الواقع نفسه، والمفترض أن يجده الممثلون فيه.

إن حدس أبيا الأسمى يتمثل في إدراكه لما يستطيع الضوء القيام به من دور مباشر في عن طريق حساسيتنا بتنوعات الضوء في المسرح قياساً على تأثرنا باللون والشكل والصوت فاستجابتنا العاطفية للضوء هي أسرع من أية وسيلة مسرحية معبرة أخرى»[15].

لم يقف أبيا في مفهومه واستخدامه للضوء كعنصر هام وأساس عند هذا الحد بل اعتبر الضوء بانياً للمشهد. فقد كان أول من فكر في تلوين الضوء وبذلك «**يستطيع أن يبرز الصور المتلاشية الملامح إلى الملامح البارزة**»[16].

وقد كان لهذا المبدأ دوراً في إعطاء الضوء معنى جديداً حيث أصبح اللون قادراً على تركيب كل العناصر والتوفيق بينها في وحدة واحدة.

([13]) أحمد زكي، عبقرية الإخراج، م.س، ص89.
([14]) إريك بنتلي، نظرية المسرح الحديث، م.س، ص27.
([15]) المرجع السابق، ص 33.
([16]) المرجع السابق، ص37.

وأخيراً بالنسبة للضوء استطاع أبيا أن ينظم ما يسمى بأوركسترا الضوء. حيث «**استطاع التنبؤ بنظم إضاءتنا المسرحية التقنية الحديثة فلقد قسم مصادر الضوء على المسرح إلى نظامين نظام منتشر ونظام عام يطغى على المسرح بإنارة متناسبة تدعى لإنارة الجارفه في يومنا هذا، مركزاً ضوءاً متحركاً يدعى اليوم الضوء المسلط على خشبة المسرح إن هذا الضوء هو الضوء المهم الذي أشار أبيا إليه بعد أن كان مصدر الضوء يصبه الإهمال**»[17].

هذا الأسلوب الذي طرحه أبيا يعتمد فيه على إمكانات التعبير بالضوء وهو الأمر الذي يجعل من أفكار أبيا وأسلوبه «**منهجا نظرياً لوظيفة الضوء في المسرح للإمكانات الحديثة المتاحة للإضاءة الإلكترونية على وجه الأخص**»[18].

وهو ما يمكن الاستفادة منه بشكل كبير في المسرح المعاصر نظراً للإمكانيات الضخمة التي تتيحها التكنولوجيا الحديثة التي تفوق القدرات البسيطة وتستطيع أن تعبر عن الخيال الجامح موظفاً الضوء في العرض.

الاستفادة من أفكار أبيا عن الضوء بما يراه من أنه «**يحقق تأثيراً مزدوجاً يحقق كل من الإضاءة العامة ووحدات الضوء المركزة على مكان بعينه والتي تسمح للمصمم بأن يشكل الفراغ مستخدماً الظل**»[19].

هذا الأسلوب لدى أبيا يحقق الخيال الجامح كما يحقق التجسيد ثلاثي الأبعاد حيث «**منح الشعاع الذي يركز عليه ضوءاً حياً لأنه كان يستخدم بصورة مباشرة ليضيء الممثل وكان بذلك مرتبطاً بكل حركة على المسرح موجهاً لتحقيق استيعاب الجمهور للفراغ المسرحي، لفراغ ذي أبعاد ثلاثية**»[20]. كل ذلك يتم بفعل تقنيات توظيف الضوء.

الديكـــور:

الديكور عند أبيا هو تصور فلسفي ينبع من عنصرين تشكيليين هما النور والظل من ناحية تصوير الكتل التكعيبية التي تكون مستويات رأسية في الفراغ (نحت) فلكي يعطي حركة الممثل فرصة للتطور يجب ألا يتحرك

([17]) المرجع السابق، ص34.
([18]) جان ميلنج، جرهام لي: نظريات حديثة في الأداء، م.س، ص55.
([19]) المرجع السابق، ص55.
([20]) المرجع السابق، ص55.

على أرضية مسطحة بل داخل تركيب من السلالم والمنحدرات وهو ما نعبر عنه بتقييم البعد الرأسي في الفراغ المسرحي»[21].

إن فكرة المنحدرات والسلالم هي محاولة تقوم على البعد عن الأسلوب الواقعي ولذلك فإننا نجده «**يلجأ إلى التصوير من خلال درجات اللون الواحد دون أن يتجاوز ذلك إلى تصوير وحدات زخرفية وهو اللعب بالظل والنور**»[22].

إن ذلك الأسلوب يؤكد على البعد عن الواقعية فما يرغب أبيا فيه ليس تصوير للجو الواقعي بل الوصول بالمتفرج إلى الإحساس بذلك الجو.

لقد أوضح أبيا أن المشكلة الجمالية لتصميم المناظر هي مشكلة تشكيلية، فهو يرى «**أن مهمة المصمم تتضمن في إقامة علاقة سببية بين الأشكال في الفضاء تلك الأشكال التي يمتاز بعضها بالسكوت وبعضها بالحركة. وقد حلل أبيا العناصر التشكيلية في التصميم المشهدي إلى أربع عناصر هي:**

1- المشهد المرسوم المتعامد الخطوط. 2- الأرضية الأفقية.

3- الممثل المتحرك. 4- الفضاء المضاء الذي يشمل الجميع»[23].

إن أبيا في طريقه إلى شاعرية الموسيقى في المسرح أدرك أن عناصر الإخراج التشكيلية تظل مرتبكة دونما إصلاح لو تركت لحالها فعمل على إصلاح ذلك ليصبح الجميع عناصر متناغمة ذات إيقاع منتظم وهارموني. وذلك من خلال أنه «**يبحث عن معمار مسرحي يكتسب من الحركة والموسيقى والإضاءة نوعاً من أنواع السحر الذي يوحي بالمناخ النفسي والحسي للصراع الدرامي**» [24]. باعتبار أن المسرح هو عالم سحري يولد من أنصاف ظلال وخيالات تخلق منه الإضاءة رموزاً تقوم فيها الموسيقى بدور ضابط الإيقاع.

([21]) سعد أردش: المخرج في المسرح المعاصر، م.س، ص113.

([22]) المرجع السابق، ص113.

([23]) إريك بنتلي، م.س، ص22.

([24]) سعد أردش: المخرج في المسرح المعاصر، م.س، ص113.

وذلك يرتبط برؤية أبيا لجماليات المسرح حينما **«يقارن أبيا فن المسرح بالرسم والنحت والشعر وهي الأشكال الفنية التي يتوحد فيها محتوى أعمالها مع شكلها وبذلك يتكافأ الهدف من التعبير مع الوسيلة المستخدمة لتوصيلها إلينا»**[25].

منهج أبيا في المسرح الشاعري:

إذا كان أبيا قد وجد ضالته في أعمال فاجنر الموسيقية تلك الأعمال التي تجمع في رأسه شاعرية المسرح لما تشمله من كافة العناصر الشاعرية من موسيقى وشعر وغيرها الأمر الذي يجعل هذا العمل عملاً شاملاً يهتم بالخيال. لذلك فإن أبيا رأى أن أعمال فاجنر باحت له بأسرارها ومن هنا كان منهجه الذي اعتمد كما يقول **«لقد تبعت ما أملته على بصيرتي، وبعد ذلك فقد كنت أدرك الأسباب التي جعلت من الممكن إقامة نظرية إنها البصيرة وأحياناً ما تكتسب طابعاً روحانياً، ودائماً ما تكون ذات طبيعة غنية بالمجاز»**[26].

ويرتبط ذلك بالطبع برغبته في تجاوز الواقعية السطحية التي تسعى إلى مجرد مشابهة الواقع بينما يسعى هو إلى البحث عن أعماق ذلك الواقع الأمر الذي يتيح الفرصة للخيال والذي يتطلب بالفعل ما يسميه أبيا بالبصيرة التي تهتم بالأعماق وترتبط بالشفافية ولعل ذلك يظهر في التصميمات التي وضعها وأعمال فاجنر وفي النهاية يصل أبيا إلى أن **«وجود جسد الممثل والتواصل معه هو الذي يجعل كل العناصر الأخرى لخشبة المسرح حية»**[27].

الأمر الذي يؤكد رؤيته السينوجرافية المتكاملة للعرض المسرحي حيث يعد الممثل عنصراً أساسياً في الصورة المرئية.

خاتمـــــة:

لقد كان أبيا ثورة على المفهوم الواقعي وتطويراً للمفهوم الرمزي من خلال فكرة الموسيقى التي هي شكل من أشكال الفن العلوي أو هي التعبير النقي الذي تعبر به عن العواطف والمكنونات وليس عن الظواهر.

ولذلك فهو لم يهتم بالتصوير الظاهري بل عمد إلى إظهار الحالات النفسية والصراع الدرامي.

([25]) جان ميلنج، جرهام لي: نظرية حديثة في الأداء المسرحي، م.س، ص55.

([26]) المرجع السابق، ص 51.

([27]) جان ميلنج، جرهام لي: نظريات حديثة في الأداء المسرحي، م.س، ص66.

ولذلك نجده قد أحدث ثورة في مفهوم الإضاءة وفي استخدامه لها باعتبارها كالشعر بالنسبة للموسيقى فالإضاءة عند أبيا كانت وسيلته لتحقيق غايته في مسرح شاعري استطاع أن يرسم بها وأن يعبر من خلالها عن اللحظات الدرامية كما ساعده في ذلك استخدامه للألوان الضوئية وكذلك للدرجات اللونية في الديكور. ويقال أن المخرجين اهتدوا إلى خلق الظلال المختلفة بأجواء العروض المسرحية بدلاً من إضاءتها إضاءة مسطحة ومملة بوحي من نظريات أبيا»[28].

كما أن أبيا استطاع تخليص المسرح من المناظر المرسومة ليحل محلها ديكورات ذات أبعاد ثلاثة.

لقد كان أبيا بنظرياته شاعراً مسرحياً أحدث ثورة ومهد للاحقيه أشياءً ورثوها وطوروها واستفادوا من نظرياته في أعمالهم فيما بعد.

المراجـــع

1. أحمد زكي، عبقرية الإخراج المسرحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989.
2. إريك بنتلي، نظرية المسرح الحديث، يوسف عبد المسيح، وزارة الثقافة والإعلام، العراق.
3. أوديت أصلان، فن المسرح، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ب.ت.
4. جيمس روس، إيفانز، المسرح التجريبي من ستانسلافسكي إلى اليوم، دار الفكر المعاصر، القاهرة، 1979.
5. سعد أردش: المخرج في المسرح المعاصر، عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت.
6. فرانك م هوايتنج، المدخل إلى الفنون المسرحية، كامل يوسف وآخرون، دار المعرفة، القاهرة.

([28]) أحمد زكي، عبقرية الإخراج المسرحي، م.س، ص90.

حوليات جامعة بشار
Annales de l'Université de Bechar
N°12, 2011, العدد 12
ISSN : 1112-6604

نسيج التكرار بين الجمالية والوظيفة في الشعر الأندلسي
- ديوان ابن زمرك " شاعر الحمراء " أنموذجا-

الدكتور: عبد اللطيف حني
المركز الجامعي بالطارف
HENNI2006@GMAIL.COM

ملخص:

يسعى هذا المقال إلى الوقوف على ظاهرة أسلوبية لها أثرها في نقل الأفكار وإبراز المعاني، ألا وهي التكرار بوصفه آلية وأداة في يد المبدع يتواصل بها مع المتلقي، ويلفت انتباهه بها إلى بؤر المعنى وكثافة الدلالة، محاولين كشفه في ديوان شاعر الحمراء ابن زمرك أحد أعظم شعراء بلاط دولة بني الأحمر في الأندلس، لما عكسه نتاجه الشعري من كفاءته في تصريف المعاني وتكييف الأساليب، مما جعله غنيا بالجماليات الفنية والظواهر الأسلوبية، ومن أهمها التكرار الذي اعتمد عليه شاعرنا في عرض موضوعات المدح والاستعطاف والاعتذار والوصف والغزل .

الكلمات المفتاحية : التكرار، بؤر المعنى ، كثافة الدلالة ، الشعر الأندلسي ، شاعر الحمراء.

Abstract:

This contribution attempts to identify the phenomenon of stylistic have an impact in the transfer of ideas and to highlight the meanings, namely, redundancy as a mechanism and a tool in the hands of the creator, after all with the recipient, and draws attention to the hotbeds of the meaning and intensity of significance, trying to detect in the Office of Poet "Ibene-Zemrak" One of the greatest poets of tile state of "Bani-Alahemare" in Andalusia, as reflected in his poetry of efficiency in the conduct of meanings, and adapt the methods, which made him rich austere artistic phenomena stylistic, and most importantly the frequency with which relied

upon by the poet in View Topics of praise and propitiation and apology and description and spinning

أولا : التكرار المفهوم والوظيفة :

يعد التكرار وسيلة تعبيرية وأسلوبية للإلحاح على الفكرة وتوكيدها، وهذا الهدف كامن وراء كل تكرار نلمسه في الخطاب الشعري، لأنه يركز على نقطة معينة في العبارة ويحاول استنطاقها من خلال كثرة مساءلتها ومحادثتها، كما أنه يكشف عن اهتمام المتكلم بها ومدى شدّ انتباهه لها، وبهذا المفهوم فالتكرار ذو دلالة نفسية قيمة [(i)]، عندما يرتبط بكفاءة وقدرة الشاعر الفنية، فلا يفهم من التكرار حلية لفظية وتوشيح شعري واحتفاء تزييني بالنص، بل هو آلية وتقنية تحتاج إلى خبرة ودراية « إذ أن اللفظ المكرر ينبغي أن يكون وثيق الارتباط بالمعنى العام، والتكرار هو ذكر الشيء مرتين فصاعدًا ولهذا نستطيع أن نضع التكرار في باب الإطناب»[(ii)].

وعلى هذا الأساس نظرت البلاغة العربية للتكرار من زاوية التوكيد وعدته آلية لتوكيد المعاني وترسيخ الفكرة لدى المتلقي، وشد انتباهه لقضية معنوية معينة يهدف إليها النص، «فمن سنن العرب التكرير والإعادة، والغرض منه إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر»[(iii)]، غير أن بعضهم عدّه عيب من عيوب الكتابة، إذا حدث في اللفظ والمعنى فإنه يكون مملا لا يأتي بجديد، فيجب أن «يقعُ في الألفاظ دون المعاني، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعًا فذلك الخذلان بعينه»[(iv)].

والتكرار هو أحد أهم الأساليب التعبيرية التي تعين الناص على تأكيد كلامه والتركيز على أفكاره، وقد كثر توظيفه في النص القرآني والحديث الشريف بشكل ملفت للانتباه، مما دعا البلاغيين واللغويين إلى الوقوف عنده كظاهرة أسلوبية لها دلالاتها في المعنى، وحاولوا التفصيل فيه من حيث أشكاله وأنواعه وصوره التي يأتي عليها مع إيراد لأثرها في بناء المعنى العام، كما اعتبر بها المفسرون في استنباط الأحكام الشرعية، واستشهدوا بالتكرار بوصفه أداء لغويا له مقصد في الكلام.

ويعتبر التكرار أحد الأدوات الأسلوبية والآليات التعبيرية التي باستطاعتها كشف أغوار النص، وبواسطتها نتعمق فيما وراء ذاته واستجلاء مختلف الأحاسيس والمشاعر الخبيئة في نفس المبدع «إنه إحدى المرايا العاكسة لكثافة الشعور المتراكم زمنيا عند الذات المبدعة، يتجمع في بؤرة واحدة ليؤدي أغراضا عديدة»[(v)] .

والحقيقة أن التكرار أسلوب يتحصن بمختلف القدرات التعبيرية التي من شأنها توافرها في أي أسلوب تعبيري آخر، فهو«يغني المعنى ويرفعه إلى مرتبة الأصالة » [(vi)]، التي تزيد قوته وتترسخ في فكر المتلقي، كما يعمل التكرار على «إثراء العاطفة ورفع درجة تأثيرها، وتركيز

الإيقاع وتكثيف حركة التردد الصوتي في القصيدة» [vii]مما يمنحها ثقلا معنويا، وأداء متميزا مشحونا بالعمق والتوالد الفكري، وعليه« فالتكرار لا يكون زيادة ما دام لحكمه كتقرير المعنى، أو خطاب السَّاهي، كما أن ترداد الألفاظ ليس بعيّب ما لم يجاوز مقدار الحاجة »[viii].

والتكرار باعتباره ظاهرة فنية ليس وليد القصيدة الحديثة بل عرف عند القدماء، فقد وظفوه في نظمهم ونثرهم واستخدموا جل أشكاله وأنواعه التي منها الوزن والقافية والبيت، ولعل القصيدة الحديثة استدعت أشكالا إضافية جديدة من خلال تعاملها مع مستجدات عصرها، وارتكزت على التكرار كبنية تعبيرية تفضي بواسطة الكثير من أسرارها، وتفصح به عن العديد من مقولاتها، لذلك يراه الدارسون « البنية الأكثر دورانا في شعر الحداثة عامة، وقد تستغرق أحيانا النص الشعري بكامله »[ix].

ثانيا : ابن زمرك شاعر الحمراء :

عرفت بلاد الأندلس عدة حضارات حملها إليها العرب وغيرهم، فازدهرت بمختلف المعالم الحضارية والثقافية، وكانت غرناطة من أوفر المدن حظا من توافر هذه المعالم لطبيعة موقعها المميز والاستراتيجي، وفي هذه الظروف نشأت دولة بني الأحمر سنة 637 هـ، حيث ازدهر فيها الأدب لاستقرار الأوضاع وشيوع الأمن والرخاء، مما أدى إلى ظهر الكثير من الشعراء أبرزهم شاعرنا ابن زمرك الذي ولد سنة 733هـ-1333م «بربض البيازين الواقع في الناحية الشمالية الغربية من غرناطة تجاه الحمراء، وكان اسمه محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف الصريحين وكنيته عبد الله والمعروف بابن زمرك أو زُمرك بفتح الزاي أو ضمها» [x]، نشأ في عائلة فقيرة، واتجه إلى الدراسة فتفرد بموهبته وعلمه وذكائه في شتى العلوم، واستفاد كثيرا من الحراك العلمي آنذاك، تردد على العديد من الشيوخ والمعلمين، وتنقل بين المدن الأندلسية وسافر إلى المغرب لظروف سياسية، لازم ملوك بني الأحمر وعين وزيرا وخاصة الغني بالله وكان صديقا مقربا إليه، ونتيجة امتهانه السياسة كان له أعداء يكيدون له «فهلك في جنح الليل في جوف داره على يد مخدومه تلقاه عند الدخول عليه وهو بالمصحف رافع يديه فجدلته السيوف وتناولته الحتوف فقضى عليه أمام مرأى أهله وعياله، وقد تم ذلك عام 795هـ»[xi].

عرف ابن زمرك بذكائه وحنكته، ولم يكن مجرد وزير في دولة بني الأحمر في ظل الحكم النصري تحت إمرة الغني بالله بل تميز بالشاعرية، فأتقن النظم وفن الموشحات، وأبدع شعرا في كل الأغراض محسنا ومتقنا فتمايل لنغمات قوافيه قصور الحمراء وانفتحت أمامه أبوابها، فتمكن من قلوب معجبيه وسلب لبهم وخاصة الملك الغرناطي الذي لا يفارقه أبدا، فخلدت أشعاره على

أبواب القصور نقشا زينت بها السحاحات والدور العامة «وهذا ما أدى المستشرق غارثيه غومات إلى تسمية ابن زمرك بشاعر الحمراء »[xii]

ثالثا : مظاهر التكرار في شعر ابن زمرك :

استعان ابن زمرك بالتكرار لتحقيق أغراض كثيرة تتراوح بين الجمالية والوظيفة، منها لفت انتباه المتلقي وشده إلى عالم القصيدة، وإظهار المعنى وتقريره في النفس، والتأثير على المخاطب في أغراض الاستعطاف العتاب، كما ساعده على ضبط الإيقاع الداخلي للنص على مستوى معمار البيت الشعري، وتفادي الملل الذي قد تحدثه رتابة الإيقاع الخارجي، وقد تجلى التكرار في شعر ابن زمرك في من خلال الملامح الآتية :

1-الاسم الموصول :

حاول الشاعر من خلال تكرار الاسم الموصول نقل المتلقي إلى عالمه الشعري وإدماجه في صميم تجربته الشعرية ورسم ما يدور في نفسه [xiii] حيث يمثل الاسم الموصول "ما" التعبير عن معاني الإنعتاق للكمال والجمال الذي يطمح له والمتخيل عنده، وهذا ما نلحظه، وهو يستعطف السلطان أبا الحجاج[xiv]، حيث يقول : [xv]

بما قد حزت من كرم الخلال بما أدركت من رتب الجلال

بما خولت من دين ودنيـا بما حزت من شرف الجمال

بما أوليت صنع جميـل يطابق لفظه معنى الكمـال

تغمدني بفضلك واغتفرها ذنوبا في الفعال وفي المقـال

لقد وظف ابن زمرك الاسم الموصول "ما" واعتمد على تكراره للدلالة على حاجته التي يلح عليها، مدخلا عليه حرف الجر"الباء" للاستغاثة وتبيان الضعف الذي لحقه، حيث افتتح القصيدة بـ "بما" معددا فضائل ومكارم السلطان التي رحبت الأرض وفاقت الخيال، ليخلص في الأخير إلى الهدف المرجو العفو والغفران بواسطة "تغمدني" التي توضح حاجة الشاعر إلى عطف ممدوحه ورأفته به، وقد تحقق ذلك بواسطة الاسم الموصول وصلته .

لاشك أن هذا التكرار جعل المتلقي يرسم صورة في خياله فنية جميلة متكاملة تتشكل من كل معاني الجمال والقوة والسيطرة التي يمتلكها هذا السلطان، وبذلك استغل ابن زمرك هذه الإيجابية لصالحه واعتبره مدخل لاستمالت قلب السلطان حتى يعفو عنه وقد روض هذه المعاني والأفكار بواسطة الاسم الموصول .

2-أسلوب النداء :

النداء من الأساليب الإنشائية ويقصد به طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف من حروف النداء، محل الفعل المضارع "أنادي" المنقول من الخبر إلى الإنشاء محله، و قد حذف حرف النداء، إذا فهم من الكلام، يزخر النداء بالحراك اللغوي في بعده الوظيفي، فإذا كان الخبر يجسد اللغة في جانبها القار، ومضمونه يحتمل الصدق والكذب لذاته فإن الإنشاء يمثل جانبها المتحرك[xvi].

كما يعد النداء من الأساليب الإنشائية المهمة في الخطاب الأدبي، لدلالته البلاغية ومساهمته الفعالة في تكثيف المعنى ونقله، لذلك كان حضوره المتميز والظاهر والملفت للانتباه في ديوان ابن زمرك، وأضحى عاملا أساسيا في تراكيبه اللغوية وأداءاته الأسلوبية .

وقد استعان ابن زمرك بتكرار النداء في أغراض المدح الفخر والاستعطاف، خاصة تكرار اسم الممدوح والتركيز عليه وجعل بؤرة القصيدة تدور عليه، بغية التنويه به، والإشادة بذكره وتفخيما لمكانته وإشاعة اسمه وجاهه في القلوب والأسماع، ويظهر ذلك في مدح الغني بالله [xvii]، حيث يقول : [xviii]

يا ابن الإمام ابن الإمام ابن الإما م ابن الإمام وقدرها لا يجهل

من خلال التكرار الحاصل في البيت الشعري على مستوى عبارة "ابن الإمام" فالشاعر يؤكد على أولوية الغني بالله للخلافة وأحقيته بإمامة المسلمين، وقد أضاف التكرار مجموعة من القيم للسلطان فرفع من شأنه، وعظم منزلته، وأكد على شرعية حكمه لأنه ابن إمام وجده إمام ابن إمام، فالسلطان سليل عائلة حاكمة .

ويفعل ابن زمرك تكرار النداء لوصف جمال حبيبته الذي أذهل كل من رآه، فلا يستطيع أي إنسان أن يتجاهله إذا مر به، حيث يقول : [xix]

يا مطلـع الأنـوار كم فيك من مرأى جميل

و يا نزهـة الأبصار ما ضر لو تشفى الغليل

يا روضـة الأزهـار وعرفها يبري العليـل

فابن زمرك يظهر انبهاره وإعجابه بجمال حبيبته، من خلال التكرار الحاصل في آداة النداء "يا" المتصدرة مطلع الأبيات الثلاثة، حيث صور لنا موقف مفاجئته برؤيتها، وهذا ما تظهره الاستعارات المتتالية الدالة على اضطرابه، فكان التكرار الواصف المشخص لهذه الحالة.

3-أسلوب الشرط :

الشرط كل حكم معلوم يتعلق بأمر يقع بوقوعه، فيتحقق الأمر بتحقق أمر آخر، والتركيب الشرطي تركيب عربي يتكون من جملتين في الأصل، جملة الشرط وجملة جواب الشرط والجزاء،

أو ارتباط الغاية بالوسيلة، أو ارتباط العلة بالمعلول [xx]، ولا يكون ذلك إلا بواسطة أدوات تتباين محالها الإعرابية بحسب طبيعتها النحوية، وكذلك استعمالاتها البلاغية التي تظهر في مقام الديوان[xxi] .

وبذلك يكون أسلوب الشرط يعتمد على أسباب للوصول في النهاية إلى نتائج متوقعة، فهو أسلوب يميل إلى العقل والتداول المنطقي، وقد وظفه ابن زمرك في شعره للإقناع وتحقيق ما في نفسه من معان، خاصة في صيغة التكرار التي زادت من فعالية الشرط وجعلته يتحلى بقيمة حجاجية وتأكيدية صارمة، ويظهر في تعبير الشاعر عن حزنه الشديد لفقد لسلطانه الغني بالله، فلم يجد من الأساليب مطواعا سوى أسلوب الشرط لما فيه من فسحة للبوح بما يكنه لسلطانه، حيث يقول : [xxii]

لئن غرب البدر المنـير محمـد لقد طلع البدر المكمل يوسف
وإن رد سيف الملك صـوتا لغمده فقد سل من غمد الخلافة مرهف
وإن طوت البرد اليماني يـد البلـى فقد نشر البرد الجديد المفوف
وإن نضب الوادي وجـف معينـه فقد فاض بحر بالجواهر يقذف
وإن صوح الروض الذي ينبت الغنى فقد أنبب الروض الذي هو يخلف
وإن أقلعت سحب الحيـا وتقشعت فقد نشأت منها غمـائم وكف
وإنْ صدع السَّمْلَ الجميعَ يدُ النَّوَى بيوسف فخر ِ المنـتدِي يتألّف
وإنْ راع قلبَ الدَّين نَـعْيُ إمـامِـهِ فقد هُزَّ منهُ بالبشـارةِ مَعْطف

لجأ ابن زمرك لتكرار أسلوب الشرط (لئن غرب، إن رد، وإن طوت، إن نضب، إن أقلعت...) ليأتي بالأدلة والبراهين على زهاء ورشد حكم سلطانه الذي لم يشهد مثله زمانا ومكانا، ولا يستطيع أحد أن يتمثله، «وهو يقيد الفعل بالشرط و"إن" هي حرف شرط للاستقبال، وقد تستخدم للتفاؤل»[xxiii].

فنغم التفاؤل يتردد إلى جانب نغم الحزن في أبيات ابن زمرك من خلال تكرار أسلوب الشرط، وخاصة في الجواب الذي تصدرته "قد" المقرونة بفاء الربط "فقد"، فالشاعر يعزي نفسه بأن سلطانه عظيم في حياته بإنجازاته وحكمه الراشد، وعظيم في مماته بأن ورث ملكه لخليفة صالح وقادر على الارتقاء بهذا المجد والمحافظة على الدولة وحماية أركانها والتكفل بأعبائها، كل هذه المعاني وأخرى صاغها لنا ابن زمرك بواسطة آلية التكرار الذي أظهر حزنه العميق على فقده، وفي المقابل أظهر تفاؤله المستبشر بمواصلة عهد سلطانه من طرف ولي عهده.

وفي وصف شجاعة وإقدام فرسان السلطان المقتحمين ساحات الوغى غير مبالين بالمخاطر، يفعل أسلوب الشرط بـ"إن" وذلك بذكرها تارة صريحة وإضمارها تارة أخرى، محاولا التوكيد على خصالهم وشمائلهم الحربية وحماستهم في التضحية لأجل هدفهم، مما يجعلهم يتحدون الموت، ويلاقونه بترحاب دون خوف أو ذعر يقينا منهم أنهم الفائزون بالنصر أو الشهادة في سبيل الله، فيقول : [xxiv]

أساد ملحمة إذا كل مشمـر دخلوا من الأسل المثقف غيـلا

إن شمروا يوم الحروب ذيولهم سحبوا من الزرد المفاض ذبولا

أو قصروا يوم الطعان رماحهم وصلوا بها الخطو الوساع طويلا

كما يستعين شاعرنا بتكرار أداة أخرى للشرط تؤدي المعاني نفسها، وتهدف إلى مدح الغني بالله بالشجاعة والإقدام، حيث يقول : [xxv]

إذا أنت لم تزج الجنود إلى العلا فإن جنود الله عنك تقاتـل

وإذا لم تقومها سهاما مريشـة إن سهام الله عنك تناضـل

تريش لك الأقدار أسهم أسـعد تصاب بها للدار عين مقاتل

فالشاعر اعتمد في المقطوعة على تكرار "إذا" التي أفادت ارتباط عدم نجاح وقدرة السلطان في الحرب بالتأييد من الله تعالى والنصرة من ملائكته، وهذا لمكانته وعدل حكمه وأحقية ولايته، فالشاعر استفاد من القدرة التعبيرية لأسلوب الشرط في ربطه الأسباب بالمسببات، وفعل من كفاءته بواسطة التكرار الذي ركز على الفكرة وأكدها وساقها جلية طيعة للمتلقي لتشكل الصورة الواضحة المكتملة للسلطان في مخيلته، وهي أن السعي الحميد والجليل للغني بالله في سبيل إعلاء كلمته والتمكين لدينه عمله بمثل ما عامل به النبي ρ ناصرا جيوشه ومعززا قوته عند الضرورة ليعلم الأعداء أن قوة الله هي العليا.

4-الاستفهام:

الاستفهام من أبرز الأساليب الإنشائية الطلبية [xxvi]، ويقصد به طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل[xxvii]، أو مطلوبا غير حاصل وقت الطلب[xxviii].

وقد وظف ابن زمرك الاستفهام بمختلف أدواته المتنوعة، والتي تخرج إلى أغراض بلاغية متعددة تستفاد من سياق الكلام، فهي تمثل«الذروة المسنونة للموقف الشعري تتحول فيه الكلمات إلى وضع ذاهل مترسل تأخذ هيئة الشعر في تحديد الخطاب وتتنوع الدلالة وإطلاق سراح اللغة من سجن التقرير» [xxix].

ويبدو أن الشاعر لجأ إلى تكرار أدوات الاستفهام للتعبير «عن أغراض أخرى كثيرة منها التعجب والتقرير والإنكار»[xxx]، ويظهر هذا جليا في مدح للسلطان العني بالله : [xxxi]

مِنْ أينَ للشمس المنيرةِ منطقٌ ببيانـهِ دُرُّ الكـلام يفصَّلُ
مِنْ أينَ للشمس المنيرةِ راحة تسخو إذا بخل الزمانُ المُمْحِلُ
مِن أينَ للبدر المنير شمائـلٌ تسري بريّاها الصَّبا والشَّمألُ
مِن أينَ للبدر المنير مناقـبٌ بجهادها ُتنضى المطيُّ الـزُّلَّلُ

ونلحظ تكرار اسم الاستفهام" أين" المسبوق بحرف الجر لغرض التأكيد على سمو الممدوح وتفرده بصفات الجمال التي ذكرت، لقد ترك تكرار اسم الاستفهام نغما متواترا في الأبيات مما ساعد على الانسجام في معمارها الفني، وشد انتباه المتلقي إلى صورة بارزة وظاهرة هي الممدوح، كما ساهم في نقل الأفكار والمشاعر والانفعالات، مما زاد في توضيح الصورة وساعدنا على تشكيلها في مخيلتنا وتصورها في أنفسنا لهذا السلطان.

ويواصل الشاعر مدحه للسلطان الغني بالله بوصفه من سلالة الأنصار الذين أيدوا النبي – عليه الصلاة والسلام- وساندوه في دعوته والجهر بها واستقبلوه في مدينتهم ومنحوه بيوتهم، عندما كان مطاردا مضطهدا من قريش، حيث يقول : [xxxii]

من مبلغ الأنصار منه بشـارة عر البشائر بعدها تسترسل
من مبلغ الأذواء من يمن وهم قمرا سعد الخليفة يكمـل
من مبلغ قحطان آساد الشرى ما غابها إلا الوشيج الذبـل

فالشاعر بمهارته التعبيرية وكفاءته الشعرية بتكرار اسم الاستفهام " من" استطاع أن يرتقي بممدوحه برفع نسبه إلى الأنصار الذين شرفوا بالدعوة والوقوف إلى الرسول ρ وحق السلطان أن يفتخر بهذا النسب، كما «أن للأنصار أن يفتخروا بحق لكون الغني بالله هو الخليفة الفريد خير كل ما يتمناه الأنصار ليقوم مقامهم ويكون ممثلهم»[xxxiii].

وليس على الأنصار الفخر بل على ملوك اليمن أن يسعدوا بالخلافة التي أضحت بينهم بواسطة الغني بالله وكذلك قحطان، ومن خلال تكرار اسم الاستفهام عمق الشاعر فكرة الأصل الشريف لسلطانه، إذ جمع له كل المزايا والصفات والتاريخ والأصل لكي يؤهله على رأس الخلافة دون غيره من الناس فالله -في نظر ابن زمرك- قد اختاره دون غيره في الأرض للخلافة منذ أمد بعيد، حيث يقول : [xxxiv]

إمام الهدى قد خصه بخلافة إله في خلقه النهي والأمر

من خلال الأبيات السابقة يتبين لنا أن الشاعر يعتمد بشكل واضح على ظاهرة التكرار لغرض تعميق دلالاته وتوكيد معانيه المدحية، كما يضفي على نظمه صفات صوتية من شأنها التأثير في مزاج المتلقي فتأسره حينا وتبهره حينا آخر وهكذا تحدث المتعة والانتشاء بالأفكار والمعاني المتناسلة من خلال زخم التعابير ووهج التراكيب.

وتطال التعابير التكرارية لشاعرنا ابن زمرك الأدوات الاستفهامية الأخرى، فنجده يفعل اسم الاستفهام "كم" في مشهد تكراري غرضه إبداء الإعجاب والدهشة من دار الأمير أبي عبد الله شقيق السلطان الغني بالله، حيث يقول :

ولله مبنـاك الجميـل فـإنـه يفوق على حكم السـعود المبانيا
فكم فيه للأبصار من منتـزه تجد به نفس الحليـم الأمانـيا
وكم حلة جللتــه بحليـتـها من الوشي تنسى السابري اليمانيا
وكم من قسي في ذراه ترفعت على عمد بالنور باتت حـوالـيا
فتحسبها الأفلاك دارت قسيها تظل عمود الصبح إذ لاح باديـا

يطالعنا التأكيد على الإعجاب والانبهار في هذه الأبيات من قصر الأمير من خلال تكرار "كم" ثلاث مرات في مطالع الأبيات، والتي دلت على وجود جوانب فنية وجمالية في القصر لا تتوافر في سواه من المباني، وهي عديدة وكثيرة بحيث يصعب الإلمام بها وتعدادها، لذلك وظف الشاعر "كم" التي تحيلنا على الاستفسار على العدد الكثير وغرضها هو إبداء الدهشة والإعجاب من القصر الجميل في مبناه ومعماره وحلله.

5-تكرار العبارات :

بالإضافة إلى الأدوات التي اعتمد ابن زمرك تكرارها والتي حاولنا التطرق لها، كرر الشاعر كلمات متنوعة هدف من خلالها إلى تأكيد المعنى والتركيز عليه ومنها قوله : [xxxv]

حسب الخلافة أن تكون وليـها ومجيرها من كل من يتخـيل
حسب الزمان بأن تكون إمامـه فلـه بـذلك عزة لا تـهـمل
حسب الملوك بان تكون عميدها ترجو الندى من راحتيك وتأمل
حسب المعالي أن تكون عمادها فعليك أطناب المفاخـر تسـدل

من خلال الأبيات نلحظ أن الشاعر اعتمد في بناءه لها على تكرار جملة ترددت في صدر الأبيات الأربعة وهي "حسب...بأن تكون "، وقد قامت هذه العبارة على كشف الولاء العميق الذي يكنه الشاعر للسلطان الغني بالله، حيث جعله في مرتبة عالية وعبأه بالقيم الجمالية، فكان في نظره شخصية تعتز بها الخلافة وتفرح لها كونه وليها وحاميها من الطامعين، والزمان كذلك فرح واعتز

بأنك إمامه وقائده فهو لا يهمل، والملوك استبشرت بأنك عميدهم، فهم يرجون الخير من حكمك، والمعالي أنت عمادها ورافعها لكون أصل الجود والمفاخر، كل هذه المعاني مكننا منها التكرار، وساعدنا على كشف نفسية الشاعر المعجبة بالسلطان، فالشاعر يبدع في مدحه ويتأنق في أسلوبه وتعابيره ليضفر بالصورة المتكاملة الجامعة المعبرة عن حبه وولائه.

ولا يفارق شاعرنا أسلوب التكرار في مدحياته أو رثائياته أو توجعاته، فيقول : [xxxvi]

أمولاي لو كان الفداء مسوغا فديناك بالدنيا جميعا وما فيها

فشاعرنا يبدي ألمه وحسرته على مرض الغني بالله، ويسعى جهده لأن يعود لسابق عهده، ومستعد أن يدفع النفس والنفيس لعودة عافيته وصحته، لكنه يعلم علم اليقين أن ذلك لن يتحقق، وقد أكد هذه المعلومة بتكرار كلمة "الفداء" لدلالتها القوية وشدة تأثيرها في نفسه وقيمتها موظفا همزة النداء للقريب ماديا ومعنويا"أمولاي"، مما يكشف عن ذات متأزمة متفجعة على مصابها حزينة على حبيبها الذي سيفارقها .

لكن الشاعر يعلم أن الفداء لن يتحقق، وأن السلطان مغادرا الدنيا مخلفا له الأنين والحزن والوجع، والذهول لما ستأتيه به الأيام من حوادثها التي يتساءل كيف سيواجهها وحيدا دون صديق، حيث يقول : [xxxvii]

وقد كان ظني أن تكون جنازتي يشيعها منك الرضا ويواريها

وقد عشت حتى ذقت فقدك قلما تبلغ مـا تريد أمانيـها

فالشاعر اعتمد على تكرار حرف الحقيق "قد" الذي يفيد تحقق حالة كان يعيش الشاعر ويطمح إليها وهي ملازمة سلطانه والعيش والموت معه، لكنه غادر مبكرا مخلفا إياه، فذاق فقده واكتوى بنار وفاته، فالتكرار يحيل على العلاقة المتينة المبنية على الحب والوفاء بين الشاعر والسلطان فهي تنحو منحى تصاعدي متنزهة عن الدلالة المادية إلى الروحية، فالشاعر يحب السلطان لشخصه وصدقه وأخوته له لا لجاهه وماله .

خاتمة :

من خلال ما تقدم يتبيّن لنا أن ابن زمرك شأنه شأن الشعراء الأندلسيين، مثلت الطبيعة لهم رافدا رئيسا للصور والأخيلة، ومعينا لا ينضب لاستلهام المعاني والموضوعات، فاكتست قرائحهم بالرقة والعذوبة، فشاع في إبداعهم الوصف والمدح والفخر والخمريات وسخرت القصائد جل الآليات التي ترتقي بالأفكار وتتواصل مع المتلقي فكان التكرار الذي تلونت به قصائد ابن زمرك، فأغناها بالدلالة وأكسبها تأثيرا وزادها قوة وعمقا في المعنى.

كما ساهم التكرار في بناء الموسيقى الداخلية لقصائد ابن زمرك وانتظام إيقاعها، وأبعدها عن الرتابة والملل، وجعلها تتفرد بالإيحاء والتأويل من خلال الألفاظ المكررة التي لا تقف عند مفهوم واحد بل تقبل العديد من القراءات، كما كشف لنا التكرار عن شخصية ابن زمرك المحبة للسلطان الغني بالله، فراح ينظم في مدحه أجمل القوافي ويجمع في وصفه كل جميل من حدائق وبساتين قصر الحمراء وغرناطة، فأحسن التعبير والتصوير، وحاول أن يتعمق بالمتلقي إلى أغوار معانيه بواسطة التكرار الذي شمل جميع تراكيبه وتعابيره.

حوليات جامعة بشار
Annales de l'Université de Bechar
العدد ***N° 12, 2011, 12***
ISSN : 1112-6604

التـــداوليـة

عبد الحفيظ تحريشي

جامعة بشار

hafidtehirichi@yahoo.fr

الملخص:

شهد القرن 20 تطورا كبيرا للسانيات البنوية خاصة بعد نشر محاضرات دي سوسير De Saussure (1857–1913) وترجمة كتابه إلى معظم لغات العالم، فظهرت مدارس بنوية عديدة نتجت عنها تيارات ومناهج قامت بتحليل اللغة والبحث في أسرارها والكشف عن مكوناتها. وقد أهملت هذه الدراسات في تحليلها المرجع والسياق والعوامل الخارجية المؤثرة في العملية التواصلية القائمة بين الموصل والمتلقي، مما أدى إلى نشوء تيار جديد من الدراسات والنظريات أطلق عليه الدارسون مصطلح التداولية " La pragmatique" الذي ينطلق من وظيفة اللغة ويهتم باللغة اليومية باختلاف مستوياتها.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات البنوية– التداولية– السيميائية - السلوك والفعل- الكفاءة التواصلية- الأفعال الكلامية- الأفعال اللغوية- الأفعال الأدائية- الملفوظية- الحِجاج- الوظائف التداولية- التفاعل والسياق .

Résumé:

LE XXème siècle a vu un grand développement, en particulier après la publication des cours De Saussure (1857-1913) et la traduction des ses écrits dans la plupart des langues de monde entier, l'apparition de plusieurs écoles constitutionnelles ont mis en évidence différents courants et disciplines qui ont analysé la langue et ses la et ses composantes.

Ces études ont négligés dans l'analyse de la langue les références, les contextes les facteurs extrêmes qui influent sur la communication du processus entre l'émetteur et le récepteur, ce qui entraîne la naissance d'un nouveau courant issue des études et des théories appelé « La pragmatique», qui repose sur la fonction de la langue courante à travers ses différents niveaux.

شهد القرن 20 تطورا كبيرا للسانيات البنوية خاصة بعد نشر محاضرات دي سوسير De Saussure (1857–1913) وترجمة كتابه إلى معظم لغات العالم. فظهرت مدارس بنوية عديدة نتجت عنها تيارات ومناهج قامت بتحليل اللغة والبحث في أسرارها والكشف عن مكوناتها.

وقد أهملت هذه الدراسات في تحليلها المرجع والسياق والعوامل الخارجية المؤثرة في العملية التواصلية القائمة بين الموصل والمتلقي، مما أدى إلى نشوء تيار جديد من الدراسات والنظريات أطلق عليه الدارسون مصطلح التداولية " La pragmatique" الذي ينطلق من وظيفة اللغة ويهتم باللغة اليومية باختلاف مستوياتها.(1)

1– مفهوم التداولية:

يكتنف مفهوم التداولية كثيرا من الغموض، فهي محط اهتمام المناطقة والسيميائيين والفلاسفة والسوسيولوجيين والسيكولوجيين والبلاغيين وعلماء التواصل واللسانيين... وبذلك فهي على مستوى التحليل، لا يمكن أن نصنفها في أي من المستويات ولا تدرس جانبا محددا في اللغة بل تستوعبها جميعا.(2)

يعود الفضل إلى إدخال مصطلح Pragmatique في معجم اللسانيات الحديثة إلى شارل موريس Charles Morris في سنة 1938 في كتابه أسس نظرية العلامات، حيث حدد ماهيتها كجزء من السيميائية وأحد مكوناتها، تهتم بدراسة العلاقة بين العلامات وبين مستعمليها أي مفسريها وتحديد ما يترتب عن هذه العلامات. ويعرفها فرانسواز ريكاناتي François Recanati بأنها بحث يهتم بدراسة استعمال اللغة داخل الخطاب وإبراز السمات التي تميزه، وتهتم ببعض الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا من خلال استخدامها.(3) و يمكن تصنيف مدونة تعريفاتها إلى حقول هي(4):

تعريفات ترتبط بحقل نشأة التفكير التداولي.

تعريفات ترتبط بحقل موضوع التداولية ووظيفتها.

تعريفات ترتبط بحقل التواصل والأداء.

تعريفات ترتبط بحقل علاقتها بعلوم أخرى.

تعددت المقابلات العربية للمصطلح الأجنبي Pragmatique،(5) فقيل براجماتيكا أو البراغماتية والبراغماتيك، البرجماتية والبراجماتيك كمصطلحات معربة له. كما نجد مقابلات عربية مترجمة للمصطلح مثل: التداوليات، التداولية، المقامية، الوظيفية، السياقية، الذرائعية، النفعية. غير أن المصطلح "التداولية" الذي وضعه أحمد المتوكل خلال 1985 في موضوع خاص حول الوظائف التداولية في اللغة العربية هو الذي صار شائعا بين المختصين ومستعملا بينهم،(6)

لا توجد تداولية واحدة بل تداوليات متعددة يوحدها العنصر الشكلي لممارسة سلطة المعرفة في إطار استراتيجيات توجه النقاش والحوار،(7) هده التداوليات هي(8):

تداولية البلاغيين الجدد.

تداولية السيكولوجيين.

تداولية اللسانيين.

تداولية المناطقة والفلاسفة.

بدأت التداولية بالظهور في فرنسا سنة 1980 بعدما تأسست على معرفة متشعبة ومسهبة آثرت الدراسات اللسانية، فأدخلت في حقل الدراسات الأدبية والعلوم الاجتماعية.(9)

2- أشكال تطور التداولية:

توجد تصورات كثيرة لأشكال تطورها، ولعل من أبرزها ما وضعه كل من فرانسواز أرمينكو وهانسون وجان سرفوني وتتلخص هذه التصورات فيما يأتي:

أ – تصور فرانسواز أرمينكو: صنفها في اتجاهين في كتابه "المقاربة التداولية" هما(10):

تداولية اللغات الشكلية وتداولية اللغات الطبيعية:

قامت التداولية الشكلية بمعالجة العلاقة بين التلفظ وملفوظه وبين الجمل وسياقاتها واهتمت أيضا بدراسة شروط الحقيقة وقضايا الجمل والحدس بين المتخاطبين والاعتقادات المتقاسمة، في حين اهتمت تداولية اللغات الطبيعية بدراسة اللغة بوصفها وسيلة فريدة للتعبير عن مشكلات الفلسفة والمجتمع.

تداولية التلفظ، وتشمل:

تداولية صنيعة التلفظ: تدرسه من حيث هوصناعة أي كيفية صياغته وتشكيله.

تداولية صيغ الملفوظ: التي تهتم بشكل الملفوظ وعباراته: تعالج العلاقة بينه وبين الدلالة، وتحدد السياق المناسب له.

ب- تصور هانسون:

وضع هانسون تصورا جديدا لأقسام التداولية في سنة 1974، قصد من خلاله توحيد أجزائها على أساس درجة تعقد السياق من جزء إلى آخر، ففرق بين(11):

تداولية الدرجة الأولى:

تدرس رموز التعبيرات المبهمة خلال ظروف استعمالها، وتقوم بتناول السياق ومعطيات الزمان والمكان والرمز والإشارة.

تداولية الدرجة الثانية:

ترتكز على دراسة مدى ارتباط الموضوع المعبّر عنه بملفوظه؛ فتهتم بشروط التواصل والتمييز بين المعاني(الحرفي-السياقي)، (الحرفي-الموضوعي).

تداولية الدرجة الثالثة:

وتخص نظرية أفعال االكلام، مما قدمه أوستين وطوّره سورل.

جـ-تصور جان سرفوني: ميز بين ثلاث وجهات نظر تتعلق بالتداولية بعد أوستين هي(12):

وجهة نظر اوزوالد ديكرو:

تدرس اللسان و العلاقات المتبادلة بين القول و اللاقول، و تتعرض أيضا إلي دراسة المضمون و الحجاج.

وجهة نظر آلان بيريندونيه:

إن أطروحته تناقض فكرة أوستين (القول هو الفعل)، فمفهومه للقول الفاعل هو مفهوم عالي الكلفة، والأفعال الإنجازية في نظره ليست مهمتها الإنجاز، بل عدم إنجاز فعل. فهي تستعمل لإحلال الكلام محل الفعل المادي.

وجهة نظر رمارتان:

يذهب إلي أن مجال البراغماتية ليس الجملة ، ولكنها تتداخل على مستوى الملفو ظ ، وهي نتيجة للآلية الدلالية التي تشكل هذه الكلمة علامة لها.

3- شروط استعمال التداولية:

حاول ماس/ فوندرليش (Maas.U/ Wunderlich.D. (1972 وصفشروط استعمال التداولية، حيث اشترط أن يكون لدى كل متواصل قدرات من النوع الأتي:

أن يكون لديه مفهوم عن الواقع وعن العوالم الممكنة التي يمكنها استباطها منه، حتى يحصر ما يريد أن يتواصل حوله.

أن ينشئ اتصالا وأن يستطيع حصره.

أن يستطيع الإدراك، وأن يمتلك ذاكرة/ وقدرة على التوقع أيضا بالنسبة لسياق الكلام، وسياق الموقف المستمرين.

أن يستطيع الخوض في أدوار اجتماعية تجاه الآخرين.

أن يستطيع إعادة إنشاء شروط اجتماعية.

أن ينطق أبنية صوتية مناسبة، وأن يكوّن من خلال ذلك صيغا لغوية جديدة للبناء.

أن يدرك أبنية صوتية وأن يستطيع فهمها باعتبارها صيغا لغوية وتعبيرا عن مركب لفعل كلامي.

أن يستطيع استخدام وسائل لغوية مصاحبة ووسائل غير لغوية استخداما مناسبا وفهمها فهما ملائما

يعد كل منطوق لغوي من وجهة نظر التداولية ليس منطوقا من مضامين فحسب، بل هو منطوق من المقاصد أيضا(13)، فالمنطوق اللغوي هو إذن فعل داخل مجريات فعلية، ويغير كل فعل العلاقات القائمة بين شركاء التواصل ويوجد الشروط للأفعال التالية ذات الطبيعة اللغوية وغير اللغوية.(14)

4 - المفاهيم الأساسية والتصورات اللغوية التداولية المحورية:

أ المسلوك والفعل:

توظف في التداولية مصطلحات مثل: السلوك التواصلي والفعل (الحدث) التواصلي، والسلوك اللغوي والحدث(الفعل) اللغوي والكلامي والأفعال الكلامية أحيانا متجاورة بلا اختلاف، وأحيانا بوصفها مفاهيم متعددة؛ فيستخدم الفعل والسلوك بشكل لغوي مشترك، مترادفة أحيانا عندما تشير إلى عمل إنساني ويمكن أن يستعمل(الفعل) بشكل إجمالي حين ترى المبادرة مع الذي يفعل شيئا، بينما يفضل استعمال (السلوك) حين يطلب من آخرين أن يفعلوا شيئا. ولا يمكن أن تستخدم هذه المصطلحات استخداما ترادفيا في الخطاب العلمي، فللمفاهيم العملية مضامين مفهومية محددة،(15) يرتبط بهذه المصطلحات مفاهيم جوهرية مثل: الحدث، القصد، المغزى، السلوك الإثاري والفعل القصدي.

ب - الكفاءة التواصلية:

توجد تحديدات مفهومية متباينة للكفاءة التواصلية خاصة بين المجالين التربوي والتداولي، ولكنها تشترك جميعها في المقصود انطلاقا من مفهوم تشومسكي للكفاءة(اللغوية)، وهو «قدرة إنسانية بالغة الشمول، تهدف إلى إدراك شركاء اتصال الموقف التواصلي بعوامل مثل المكان والزمان والعلاقات الاجتماعية إلى استخدام وسائل التواصل لتحقيق الأهداف».(16)

جـ- الأفعال الكلامية:

يستخدم الفعل الكلامي غالبا لوصف التواصل بين الناس، وتستعمل في الأفعال المفردة والتواصلية الخاصة والممكنة بين اللغة مثل السؤال والطلب في الغالب مصطلح الأحداث اللغوية أو الأحداث الكلامية وتنطلق تحليلات الفعل الكلامي من فكرة أن شخصا ما عند الكلام(17):

يعبر لغويا.

أنه يقول شيئا.

أنه موجود في موقف كلام .

أنه –عادة- يتحدث إلى شخص ما.

أنه من خلال هذا الكلام –فعل الكلام- الفعل الكلامي- يتأثر بالموقف التواصلي ويؤثر في شريك الاتصال.

د- الأفعال اللغوية:

توجد مجموعة من الأفعال التي تنجز لغويا أو غير لغوي من خلال الحركات أو النشاطات الجسدية ،وقد قام اوستين بتجميع كل الأفعال اللغوية في خمس فصائل كبرى هي(18):

الأفعال اللغوية الدالة على الحكم (verdictifs)مثل: قدر-حكم على...

الأفعال اللغوية الدالة على الممارسة و التطبيق (exercitifs) مثل: عين-نضج- حذر

الأفعال اللغوية الدالة على الوعد (compartatifs) مثل: وعد-كفل-التزم

الأفعال اللغوية الدالة على السيرة (condutifs) مثل: شكر-هنأ

الأفعال اللغوية الدالة على العرض(expositifs) مثل: افترض-اعترف-رد

ه- الأفعال الأدائية:

هي أفعال لغوية تعرض وتعين في الوقت ذاته، وبعض هذه الأفعال الإجرائية ترمز إلى أفعال لا يمكن أن تنجز إلا من خلال نطق تواصلي للكلمات، وقد تصحب حركات معينة هذه الأفعال، وهي تختلف باختلاف الوسط الثقافي.(19)

ويرتبط بمدونة اللسانيات التداولية أيضا موضوعات لا تقل أهمية عما ذكر، ويتعلق الأمر بما يأتي:

و- الملفوظية:

إن الملفوظية L'énonciation هي عملية إنتاج الملفوظ L'énoncé ويكتسي تعريفها الطابع العملي، حيث تقابل التوظيف الفعلي للغة، و تشكلها مجموعة العوامل والأفعال التي تسهل إنتاج الملفوظ –بما في ذلك التواصل ذاته- وهو حالة خاصة من حالاتها.(20)

ي- الحِجاج:

يرتبط مفهوم الحجاج Argumentation بالفعل، وهو بحث من أجل ترجيح خيار من خيارات قائمة ممكنة، بهدف وضع فاعلين معينين في مقام خاص إلى القيام بأعمال إزاء الوضع الذي كان قائما.(21)

ن- التفاعل والسياق:

يميز التفاعل سلوك الإنسان عن غيره فهو « سلسلة من الأحداث يكون فيها عدة أشخاص هم المعنيون بوصفهم فاعلين غير متزامنين»،(22) ويشمل السياق المحيط اللساني (مستخدم اللغة، الحدث، النظام اللغوي، مواقع مستخدمي اللغة، أنظمة المعايير الاجتماعية والعادات والتقاليد). فقد عرف السياق بأنه «علامات شكلية في المحيط اللساني الفعلي».(23)

ل- الوظائف التداولية:

تجاوز الدرس التداولي فكرة الوظيفة الوحيدة للغة وهي التواصل، ألي تعدد الوظائف، ولعل أهمها أن اللغة ذات وظيفة تأثيرية في السلوك الإنساني، وتبنى عليها تغيرات في المواقف والآراء،(24) وتحدد الوظائف التداولية وضعية مكونات الجملة بالنظر إلى البنية الإخبارية والمعلوماتية، بعلاقة الجملة بالطبقات المقامية المحتمل أن تنجز فيها.(25)

لقد أصبحت التداولية مشروعا هاما واسع الأفق في اللسانيات النصية يولي أهمية خاصة للأقطاب ومناحي النصية فيه، حيث أمكن من خلاله الإجابة عن كثير من الأسئلة التي تتعلق بالتواصل والتفاعل وشروط الأداء.

الإحالات:

1. ينظر: أحمد عزوز، المدارس اللسانية: أعلامها-مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي، دار آل الرضوان، وهران، ط:2، 2008، ص: 224
2. ينظر: محمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002، ص: 10.
3. -ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علواش، مركز الانتماء العربي، ص: 4.
4. ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، الجزائر ،ط: 1، 2009، ص: 67-75.
5. -Pragmatique: يرجع تأصيله إلى اللفظ اليوناني pragma التي تعني العقل أو الحدث action.

6. -ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة، الجزائر، 2000، ص: 176.
7. ينظر: أحمد عزوز، المدارس اللسانية، ص: 228.
8. -ينظر: المرجع نفسه، ص: 229.
9. -ينظر: المرجع نفسه ، المدارس اللسانية، ص: 231.
10. ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص: 11-40.
11. ينظر: أحمد عزوز، المرجع السابق، ص: 41-73.
12. ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص: 79 و ما بعدها
13. ينظر: Maas.U/ Wunderlich.D. Pragmatik and apruchliches, 1972. P:90 نقلا عن: زنسيسلاف وأورزيناك، مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، ترجمة : سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، ط: 1، 2003، ص: 87.
14. -ينظر: المرجع نفسه،، ص: 87.
15. ينظر: كارل. ديتربونتنج، المدخل إلى علم اللغة. ترجمة: سعيد حسن بحري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط: 2، 2006، ص: 287- 290.
16. -المرجع نفسه ، ص: 292-293.
17. -ينظر: زنسيسلاف وأورزيناك، المرجع السابق، ص: 235
18. -ينظر: احمد عزوز المدارس اللسانية ص:239-240
19. -ينظر: كارل –ديتربونتنج، المدخل إلى علم اللغة، ص: 300.
20. -جان سرفوني، الملفوظية، ترجمة : قاسم المقداد: منشورات اتحاد الكتاب العربي، 1998، ص: 7.
21. -ينظر: محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند (بيركمان) وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج 28، يناير- مارس 2000، ص: 98.
22. فان دايك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات. ترجمة وتعليق: محمد سعيد البحري، مصر، ط: 1، 2001، ص: 128.
23. G. Mounin, Dictionnaire de la Linguistique, P83 نقلا عن: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص: 114.
24. -ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص: 117.
25. -ينظر: أحمد المتوكل، الجملة المركبة في اللغة العربية، منشورات عكاظ، المغرب، 1988، ص: 25.

حوليات جامعة بشار
Annales de l'Université de Bechar
N° 12, 2011, 12 العدد
ISSN : 1112-6604

إشكالية تطور ظاهرة إجرام المرأة في المجتمع الجزائري

الأستاذة بوشايب رويمل نوال

جامعة باجي مختار عنابة

الملخص :

تعد الجريمة فعل اجتماعي مهم نظرا لأثاره السلبية على استقرا ر المجتمع، لهذا لابد من معرفة حجم الجريمة، أشكالها وتطورها و ذلك لفهم أفضل للحالة الإجرامية في المجتمع الجزائري خاصة في العقود الأخيرة، ومن ثم تسليط الضوء على أهم العوامل الاجتماعية التي ساهمت في تطور الجريمة والمتغيرات التي تؤثر على زيادة أو انخفاض الجريمة عامة والجريمة عند المرأة على وجه الخصوص في المجتمع الجزائري.

من الصعب جدا حصر جرائم المرأة في المجتمع الجزائري والإلمام بجل معطياتها في هذا البحث ، لأنه يتطلب مجهودا كبيرا وتعاون اكبر من السلطات، حتى يمكن تجميع كل ما يتعلق بهذا الموضوع و رغم ذلك فقد حاولنا الاستعانة بإحصائيات الجريمة عند المرأة للاستدلال بها لمعرفة تطور الجريمة عند المرأة، مع توظيف هذه الإحصائيات التي تم الحصول عليها من خلال

دراسة ميدانية قمنا بها في مؤسسة إعادة التربية ببوزعرورة بولاية عنابة في الجزائر سنة 2009 مع التحليل.

Abstract

Crime is considered a very important social act because of its negative impacts on stability of society, so it is essential to know the crime bulk, its varieties and its development in order to understand better the state of criminality in Algerian society especially in the last decades and then to spotlight on the essential social factors that have contributed to the development of crime and all the variables that have influenced on the crime increase or decrease in general and especially on the women crime.

It is very hard to confine women crime in Algerian society and also to cover all data in this study because it needs a huge effort and collaboration from authorities in order to gather all what is concerned with this topic despite this, we have relied on women crime statistic to infer to know the women crime development with the use of these statistics which have been obtained from a study with 09field in BOUZAAROURA jail in ANNABA _ ALGERIA in 20 analysis.

أولا : **الإحصاءات الجنائية عن إجرام المرأة:**

يتكون السلوك الإجرامي لدى المرأة بنفس الطريقة التي يتكون بها هذا السلوك الإجرامي عند الرجل من خلال نفس العمليات التي يتكون بها السلوك السوي لدى البشر عموما، حيث يتأثر تكوين السلوك بالجانب الذاتي و النفسي في الإنسان ، والجانب البيئي والاجتماعي الذي يوجد فيه ،

فللسلوك وحدة متكاملة، ومتسقة ينشا بصورة تلقائية من مجموع العمليات البيولوجية والنفسية والاجتماعية لتشكل كلا متكاملا تتأثر بالثقافة المجتمعية السائدة .

فالسلوك الإجرامي كأي سلوك بمثابة صورة كلية لا يمكن فهمه إلا في شكلهكامل،وليس النظر الى كل عنصر من عناصرهبمفرده لأن كل عنصر في حالته المفردة يعطي معنى أو تفسير يختلف عما هو عليه عند النظر إلى الشكل الكلي في آن واحد .

يمكن تفسير السلوك الإجرامي من خلال دراسة كل نمط إجرامي على حده، وبجمع نتائج الدراسات نحصل على تفسير كلي للسلوك الإجرامي، وهذا مقبول من الناحية العقلية لكنه أمر في غاية الصعوبة من الناحية العملية، بسبب كثرة الأفعال الإجرامية من ناحية، وتغير النتائج من فترة زمنية لأخرى ومن بلد لآخر من ناحية ، لذالك يجب الاخد بعين الاعتبار عوامل لاختلاف بين النظريات المفسرة للسلوك الإجرامي وهي كثيرة وعميقة وذلك إلى أن يتم إثبات تفسير ما، بالتجربة العملية وهي معضلة تفسير السلوك الإنساني .

ويعد إجرام النساء أحد أبعاد الإجرام المعاصر في العالم وقد ازداد في الآونة الأخيرة في البلدان النامية والمتقدمة على حد سواء كنتيجة غير مباشرة لاندماج المرأة تدريجياً في دائرة نشاط أكثر اتساعا في ميادين العمل ومنافسة الرجال وقد جاء في دراسة مقدمة للمؤتمر الدولي لمنع الجريمة ومعاملة المذنبين المنعقد في جنيف 1975م أنه بمجرد توافر الفرص للنساء التي كانت مقتصرة بحكم العادة على الرجال فإنهن يسعين للحصول على مركز متساو مع الرجال سواء في فرص العمل المشروع أو فرص العمل الإجرامي .

الجريمة النسائية مثل أي سلوك إجرامي هي خروج عن النظم والقوانين، ومثلما قد يقع الرجل في ارتكاب الجريمة كذلك تفعل المرأة.. لكن جرائم المرأة اقل دلالة إحصائية واقل من حيث

الممارسة، ويرجع المختصون في علم الإجرام و علم اجتماع الجريمة " السبب إلى صورتنا الثقافية والمجتمعية عن المجرم انه ذكر خارج عن القانون ... وان عدد النساء الذي يقع تحت طائلة القانون اقل بكثير إذا ما قورن بعدد الرجال " (1)

حيث لاحظ العلماء والباحثين أن نسبة إجرام المرأة بصفة عامة اقل بكثير من إجرام الرجل، فهي حسب الإحصائيات تبلغ في فرنسا 10% وفي ألمانيا الغربية 16% وفي أمريكا 15 % وفي بلجيكا 3% وفي مصر 4 % وفي الجزائر 1% . (2)

وفي إحصائيات أخرى يمكن ملاحظة أن نسب جرائم النساء بين دول العالم تفاوت، ففي الولايات المتحدة على سبيل المثال يبلغ عدد الذين يقبض عليهم سنوياً من مرتكبي الجرائم من الذكور عشرة أمثال من يقبض عليهن من الإناث . وفي الدانمرك بلغت نسبة النساء المجرمات إلى إجمالي المجرمين 14% .أما بالنسبة للدول العربية التي توافرت لدينا إحصاءات بشأنها فقد تبين إن المرأة في الجزائر ترتكب جريمة واحدة مقابل كل 2744 جريمة يرتكبها الرجل، وهي نفس النسبة تقريباً في كل من المغرب وتونس. وفي في بعض الدول العربية تشير الإحصائيات إلى أن نسبة الجرائم التي ترتكبها المرأة تصل إلى 6 % فقط من حجم الجريمة وان جرائم المرأة في الدول الأوروبية تفوق الدول العربية .وفي مصر بلغت نسبة الجرائم التي ترتكبها إناث 5% إلى إجمالي الجرائم التي ترتكب سنوياً، وتنخفض هذه النسبة في الجنايات فلا يزيد في اغلب الأحوال على 4% (3) .

هذا وقد تبين من خلال الدراسة الميدانية أن عدد الرجال في مؤسسة إعادة التربية في بوزعرورة عنابة في 15 فيفري 2010 يقدر ب 844 رجل مقابل 56 امرأة بمعنى ان عدد الرجال يمثل ضعف عدد النساء ب15 مرة في مؤسسة واحدة . (4)

بمعنى أن اختلاف إجرام المرأة عن الرجل اختلاف من حيث :

1- الكم : ثبت أن إجرام الرجل يفوق خمسة أمثال إجرام المرأة وفي بعض الأحيان يصل إلي عشرة أمثال إجرامها ، اما الدراسة الميدانية في سجن بوزعرورة عنابة فقد ثبتت ان اجرام الرجل يفوق اجرام المراة الى 15 أمثال إجرامها ، كما أشار ت بعض الإحصائيات إلى أن نسبة إجرام المرأة تعادل 13 % الى 16 % تقريبا من مجموع الجرائم التي ترتكب في سنة واحدة ، حيث تدل الإحصاءات دائما على انخفاض إجرام المرأة عن إجرام الرجل .

2- النوع : فقد دلت الإحصاءات على أنه هناك جرائم لا تقع إلا من النساء أو يكون خطرها منه كبير بالنسبة للرجال مثل جرائم قتل طفل حديث العهد بالولادة وجرائم أخرى يقل وقوعها من النساء أو يكون حظها منه كبير بالنسبة للرجال وجرائم أخري يقل وقوعها من النساء. فالمرأة تتفوق على الرجل في جرائم الإجهاض بينما يتفوق عليها الرجل في جرائم العنف والسرقة بالإكراه وجميع الجرائم التي يتطلب تنفيذها قوة عضلية .

3- **وسيلة ارتكاب الجريمة :** فيغلب على إجرام النساء استخدام الحيلة والخديعة بينما إجرام الرجال يغلب عليه استخدام العنف .

ثانيا : تفسير اختلاف إجرام المرأة عن إجرام الرجل : حاول بعض العلماء إنكار وجود اختلاف كمي بين إجرام كل من الرجل والمرأة فعلي الرغم من أن الإحصائيات يؤكد هذا الاختلاف الكمي إلا أنهم يرون أن السبب في ذلك يرجع إلي ما يأتي

:

1- أن الإحصاءات تسقط من حسابها ما تمارسه النساء من دعارة إذ لا يعتبر هذا النشاط جريمة في بعض الدول وأنه إذا أضيفت جرائم الدعارة لتساوي إجرام المرأة مع إجرام الرجل ولكن

هذا السبب لا يمكن الأخذ به لأنه ثبت دائما انخفاض إجرام المرأة عن الرجل حتى في البلاد التي تعتبر فيها الدعارة جريمة ، كما ان المشرع لا يجرم في بعض الدول هذا النشاط فإن إدخاله ضمن السلوك غير المشروع يعتبر عملا غير قانوني ولهذا ذهب البعض إلي القول بأن دلالة الإحصائيات عن ارتفاع إجرام الرجل عن إجرام المرأة يرجع إلي ما تنطوي عليه هذه الإحصائيات من عيوب وبصفة خاصة ما يتعلق منها " الرقم المخفي " في كثير من الجرائم التي ترتكبها المرأة لا تعلم بها السلطات المختصة بسبب قدرتها على إخفائها

2- حاول البعض كذلك إرجاع الفارق بين إجرام الرجل والمرأة إلي أن كثيرا من الجرائم التي يرتكبها الرجال سببها النساء فقد دلت الإحصائيات على أن المرأة تكون السبب في 40 % من جرائم الأخلاق و 20 % من جرائم القتل و 10 % من جرائم السرقة فإذا أضيفت هذه النسب إلي مجموع جرائم النساء لتغيرت النسبة بين إجرام الرجال والنساء . لكن يلاحظ أن هذا القول يفتقر إلي السند القانوني فطالما أنه لا يمكن أن يسند إلي المرأة فعل يعده القانون جريمة فلا يجوز الاعتداد به عند بيان حجم إجرام النساء (5).

3- وهناك من يرجع ذالك إلى أن المرأة أكثر خوفا من الخروج عن المعايير والقيم والصورة التي رسمها لها المجتمع ، وتكون أكثر حذرا في تصرفاتها خاصة في البلدان العربية والإسلامية التي توضع تصرفات المرأة تحت المجهر خاصة في مناطق معينة، مما يجعلها مقيدة وتخاف من الوقوع في الخطأ الذي قد يوصلها إلى خسارة أهلها أو حياتها ، لكن هذا التفسير أيضا لا يمكن الأخذ به لان هناك من تنتمي إلى اسر جد صعبة وشديدة إلا ان بعض النساء منها قد تنجر إلى ارتكاب الجريمة .

4- وفسر البعض قلة إجرام المرأة على أساس وضعها الاجتماعي غالبا ما تكون في كنف أحد أقربائها (والدها –أخوها – زوجها) فلا تنزل إلي معترك الحياة كالرجل فلا تتعرض بالتالي للعوامل الخارجية التي قد تدفعها إلي الإجرام. يتضمن هذا الرأي قدرا من الصحة ولكنه ليس صحيحا على إطلاقه إذ أنه ثبت أن إجرام المرأة ما زال أقل من إجرام الرجل حتى في الدول التي نزلت فيها المرأة ميدان الحياة العامة وزاحمت الرجل في تحمل أعباء المعيشة كما أن منطق هذا الرأي يؤدي إلي نتيجة مؤداه أن إجرام النساء المتزوجات أقل من إجرام النساء غير المتزوجات وقد أثبتت الدراسة الميدانية في مؤسسة إعادة التربية بعنابة في الجزائر ان 50 % من النزيلات هن عازبات ومع ذلك فإن بعض الإحصاءات قد دلت على أن إجرام المتزوجات أكثر من إجرام غير المتزوجات.

5- ذهب رأي أخير إلي القول بأن اختلاف إجرام الرجال عن إجرام النساء يرجع إلي الاختلاف في التكوين العضوي والنفسي لكل منهما فالمرأة من حيث التكوين العضوي أضعف من الرجل ومن ثم إجرامها يختلف كما نوعا عنه . حيث تمر فالمرأة من الناحية النفسية بأطوار تؤثر على نفسيتها وتدفعها إلي ارتكاب الجرائم وذلك في فترات الحيض والحمل والوضع والرضاعة وبلوغ سن اليأس وحتى هذا الرأي لا يمكن التأكيد عليه بنسبة كبيرة . أي أن التكوين العضوي والنفسي للمرأة لا يفسر الاختلاف في الحجم بين إجرام المرأة وإجرام الرجل.

بل أن هناك من العلماء من ذهب إلي القول بأن المرأة ليست أضعف من الرجل فلقد أكدت الإحصائيات أن متوسط العمر لد ى المرأة أطول منه لدي الرجل كما أن المرأة تقاوم الأوبئة والأمراض أكثر من الرجل وأن نسبة وفاة المواليد من الإناث أقل منها لدي الذكور .

في الأخير يمكن القول أن الجنس لا يعد عاملا أصليا ومباشرا للإجرام أما الاختلاف في إجرام

النساء عن الرجال من حيث الكم والنوع والوسيلة فيفسره جميع التفسيرات التي سبق التطرق إليها من الاختلاف في التكوين بينهما ، والاختلاف في المركز الاجتماعي ، انها أكثر تقيد بمعايير المجتمع وقيمه،... لكن تبقى المرأة الأكثر تأثرا من الرجل بالعوامل الاجتماعية المحيطة بها فقد ثبت على مر التاريخ أن المرأة تكثر جرائمها في فترات الحروب وكذلك في الأزمات الاقتصادية الصعبة والظروف الاجتماعية السيئة .

ثالثا : تطور إجرام المرأة في المجتمع الجزائري :

إن تطور إجرام المرأة كظاهرة اجتماعية ارتبط بمراحل زمنية واكبت التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية الحاصلة في الجزائر، والتي أدت إلى تحولات مختلفة وعميقة نتيجة ما شهدته البلاد من تطورات في جميع النواحي التي نتجت عنها تحول بعض المفاهيم الشكلية والتربوية وظهور مفاهيم جديدة أثرت على المجتمع الجزائري وأفراده من رجال ونساء وفرضت أسلوبا جديدا في السلوك في كل مرحلة من مراحل التاريخي ة ، وسوف نركز في هذا الفصل على السلوك الإجرامي لدى المرأة الذي يعد موضوع بحثنا.

1- **في مرحلة الاستعمار** : لعب المستعم ر الفرنسي دورا كبيرا في تدهور وضعية المرأة في المجتمع الجزائري، فقد ففرض المجتمع الجزائري عليها البقاء في البيت وغيابها عن ممارسة أي نشاط خارجي ، خوفا عليها من الاتصال المباشر بالاستعمار خوفا من التعدي على شرفها وقتلها ، وهذا من اجل حمايتها، وحماية حرمة المنازل و حماية المجتمع ككل من الانحلال .

يفسر المؤرخون هذا التصرف باعتبار المرأة في تلك المرحلة لها الدور الأساسي في المحافظة على الهوية الوطنية وبذالك تراجعت مكانتها بفعل التهميش والحرمان من كل مستلزمات العصر كالتعليم والعمل ... وأصبحت تعيش في الجهل وشتى أنواع الاضطهاد والعزلة من اجل الحفاظ

على القيم المكونة للشخصية الجماعية من خلال المحافظة عليها وجعلها بعيدة عن أي احتكاك أو مواجهة مع المستعمر الفرنسي .(6) ومع ذالك ورغم القيود التي فرضت على المرأة فقد شاركت المرأة كمجاهدة حيث حملت السلاح والتحقت بصفوف جيش التحرير الوطني أمثال جميلة بحيدر، أما اغلبهن فقد احتاج الثوار إلى مشاركتهن في الثورة عن طريق إيوائهم وتضميدهم وإخفاء السلاح ووضع القنابل ونقل المعلومات وجمع الأموال والتمريض والإرشاد، لكن فرصة الجهاد لم تحظى بها كل النساء بل فئة قليلة فقط وذالك بسبب القيود الاجتماعية المتعددة والمتنوعة والقاسية التي تفرض عليها من أسرتها والمجتمع ككل، رغم ذالك أثبتت جدارتها في حرب التحرير وكفاءتها في الذود عن الوطن .والمرأة المجرمة في تلك الفترة غالبا تمثلت حسب وجهة النظر الفرنسية في المجاهدات اللواتي كن يدافعن عن استقلال الجزائر، وكن عند القبض عليهن يعذبن ويقتلن من بين المجاهدات الذين اعتبرتهم فرنسا مجرمات نذكر فضيلة سعدان ومريم سعدان و...وهذا ما جعل الدولة الجزائرية تعترف بدور المرأة الهام إبان ثورة التحرير الوطني.

أما عن ارتكاب المرأة لجرائم معينة خلال هذه المرحلة هي غير معروفة ،لكن تجدر الإشارة أن المجتمع الجزائري بصفة عامة هو مجتمع محافظ وتقليدي ، والمرأة فيه محاطة بالمراقبة الشديدة وتحركاتها محسوبة ،وان انجرفت البعض منهن إلى اقتراف جريمة ما مثل الزنا ... الخ فان أفراد المجتمع الجزائري يفضلون الإبقاء عليها مستترة وإيجاد الحلول لها بطريقة سرية ،وطبعا مع حصولها على عقاب شديد. مع أن بعض الباحثين الاجتماعيين أمثال عمر السعيد رمضان يرى أن " أن نسبة إجرام المرأة عموما يرتفع في أوقات الحروب خاصة في جريمة السرقة وذالك أن المرأة تأخذ على عاتقها كثير من أعباء الحياة التي كان يتحملها الرجل " (7)

إلا انه لم نحصل على إحصاءات أو معلومات تفيد بان المرأة الجزائرية اتجهت إلى السرقة إبان ثورة التحرير .

2- **بعد الاستقلال من 1962 - 1969 :** تم الإفراج بعد استقلال الجزائر" على كل المساجين من رجال ونساء الذين سجنوا من طرف الاستعمار الفرنسي، وخلال مفاوضات افيان تم عفو جبهة التحرير الوطني عن المتعاملين مع فرنسا وخاصة بالنسبة لأولئك الذين تعاملوا غصبا عن أنفسهم (8).

كما بدا الاهتمام واضحا بالطفولة والشباب والنساء الأرامل ومعطوبي الحرب ... وخاصة الذين ليس لهم من يعيلهم ويرعاهم، لأنهم معرضون لخطر الانحراف والجريمة.

إذن فالمجتمع الجزائري قد اتجه إلى الاهتمام بالمرأة بعد ما رآه منها من صبر وجلد ومساعدة إبان ثورة التحرير، ودورها البارز في المحافظة على الهوية الوطنية وتقيدها بالعادات وتقاليد وقيم المجتمع بطريقة تفوق في أحيانا كثيرة تقيد الذكر بها، مما جعل قادة المجتمع الجزائري يدركون "تأثير المرأة الكبير والواضح على استقرار المجتمع بدرجة لا تقل عن تأثير الرجل، ذالك أن المرأة تلعب دورا جوهريا في حياة أسرتها وفي إعدادها وصلاحها وفي تحديد نمط سلوكها " (9)

بدأت القيادة الجزائرية تخطط لإقامة نظام يتلاءم وروح التقاليد والعادات الجزائرية، بالإضافة إلى الرغبة في حماية مكاسب الثورة ،فتوجهت الحكومة الجزائرية للقضاء على مخلفات الاستعمار "الذي كانت نسبة البطالة في المجتمع الجزائري بعد الاستقلال تقدر ب 70% نتيجة سياسة التهميش والتفقير التي مارستهما السلطات الفرنسية على الجزائريين كما اتجهت للاهتمام

قطاع التعليم جعلته يحتل مكانة كبرى بسبب نسبة الأمية المرتفعة والتي قدرت بنسبة 80% " %(10)

وإتاحة الفرصة للمرأة الالتحاق بالمدارس والثانويات وحتى الجامعات بالعمل والمساواة مع الرجل والحصول على اجر نظير هذا العمل وبالتالي فتح المجال أمام المرأة للمشاركة الايجابية لبناء المجتمع إلا أن هناك الكثير من النساء لم تتمكن من الحصول على حقوقهن في التعليم والعمل بسبب العقول الرافضة للتغير والغيرة من أحقية المرأة في الاعتراف بحقوقها وفكرها وقدراتها وجعلها حبيسة العادات والتقاليد البالية التي تجعلها أسيرة المجتمع و الأسرة والرجل، غير أنها اثبت بالدليل قدرتها في المساهمة الفعالة في بناء المجتمع.

لكن رغم جعل الدولة التعليم مجاني" إلا أن نسبة التسرب من التعليم الأساسي خاصة من قبل الفتيات خلال هذه الفترة كان مرتفعا، وبخاصة في الأرياف، ويرجع ذالك إلى النظرة القاصرة في تعليم الفتاة والى المسؤوليات التي تحملها الفتاة الريفية على عاتقها في سن مبكرة جدا من أعمال منزلية وتربية إخوتها الأقل سنا منها إضافة إلى الزواج المبكر والفقر في تلك المناطق .

وقد كانت نسبة إجرام المرأة منخفض جدا بعد الاستقلال، وقد أعلنت الحكومة الجزائرية أن الجريمة لم يحدد لها عمرا معينا تبدأ منه، أو جنسا دون أخر، فه ي تظهر عند النساء كما تظهر عند الرجال، بل توجد عند الأطفال أيضا .وتم دخول التشريعات الخاصة الانحراف والجريمة عامة في الجزائر المستقلة حيز التنفيذ ابتداء من سنة 1966. وطبقا للمادة الأولى من قانون العقوبات الجزائري فانه " لا جريمة ولا عقوبة أو تدابير امن بغير قانون" (11)

لكن تم الأخذ بعين الاعتبار حقيقة اختلاف الجرائم باختلاف مرتكبيها كما ونوعا ، فهناك جرائم الرجال، وهناك جرائم النساء، كما أنها تختلف أيضاً باختلاف أعمار مرتكبيها، فهناك جنح الأحداث، وهناك جرائم المراهقين، وهناك جرائم الكبار..الخ.

بمعنى أن الدولة الجزائرية قد سعت منذ الاستقلال لمكافحة الجريمة و السلوك الإجرامي، فاهتمت بالجريمة باعتبارها فعلاً يؤدي إلى الإخلال بالنظم والقوانين الشرعية.

3- **الجزائر بين 1970 إلى 1979** : خلال هذه المرحلة اتجه الجزائريون إلى اختيار نمط التسيير الاشتراكي، لتسيير البلاد، واعتبارها أن المواطن هو الغاية وهو محاولة رفع مستوى المواطن اجتماعيا واقتصاديا . ومن بين الأسباب التي أدت إلى جعل الوعي الوطني يتحول إلى وعي اشتراكي يتمثل في إدراك القادة الجزائريين والجماهير أن الاستعمار والرأسمالية مرتبطان اشد الارتباط وان احدهما ما هو إلا انعكاس للآخر. لكن للأسف نتج عنه سوء تسيير و تأطير داخلي للمؤسسات نظرا لطرق العمل التي تبتعد كثيرا عن" فن التسيير ... (12)

هذا ما أدى بالجزائر إلى العيش بعد الاستقلال صراع مرير في كافة الجبهات خاضته الدولة الجزائرية الناشئة من اجل تثبيت دعائم الاستقلال وبنائه على أسس متينة من ناحية وإقامة الدولة الجزائرية تتبع إستراتيجية فعالة تمكنها من تحقيق أهدافها التي كانت أهمها تحسين مستوى المعيشي للمواطن .

وفتحت المجال واسعا أمام أبنائها،من بينهم النساء من الحصول على حقوقهن في التعليم والعمل وبالتالي فسح المجال لهم للمساهمة في دفع وتيرة المجتمع اقتصاديا واجتماعيا، فأصبحت المرأة تشارك أكثر في الحياة الاجتماعية ودفع الوتيرة الاقتصادية .

لكن يمكننا القول ان اتجاه المرأة إلى المشاركة في الحياة الاجتماعية كان بنسبة قليلة على العموم،وهذا راجع إلى طبيعة المجتمع الجزائري فهو مجتمع ريفي تطغى عليه العادات والتقاليد التي تمنع المرأة من العمل والاختلاط بالرجل، فبرزت المرأة غالبا كربة بيت أو عاملة في المزرعة الخاصة بأسرتها، أو خياطة في منزلها،أو ممرضة أو معلمة،وارتبط تحركها وخروجها من البيت في الغالب لزيارة الأقارب أو المعارف أو الصديقات. فالمرأة الريفية عملها كان في مزرعة أهلها أو أهل زوجها والاهتمام بالمواشي والأبقار...أما المرأة في المدينة فحظها في المشاركة في الحياة الاجتماعية كان أوسع وبرزت المرأة العاملة خاصة في المجال الطبي والتعليمي وفي المؤسسات كسكرتيرة . مما جعلها تحدث تغيرات هامة في مكانتها في المجتمع وفي الوقت نفسه حدثت تغيرات على مستوى الأسرة عندما زاد اضطلاع المرأة بمسؤوليات كانت من قبل حكرا على الرجل، مما زاد من فرص اختلاط المرأة بالرجل في المجتمع الجزائري سواء على مستوى التعليم المتوسط والثانوي والجامعي أو على المستوى المهني. وبدأت المرأة تحرر نفسها شيئا فشيئا من الأحكام الأخلاقية والقيود التي يفرضها الرجال والمجتمع عليها حيث رأى العالم الاجتماعي بيك في سنة 1976 "انه كلما ازدادت المرأة استقلالية فإنها تزداد إجراما. " (13)

وفعلا بدأت مصالح الشرطة تلاحظ تزايد ملحوظ في نسبة إجرام المرأة والقبض عليها في المجتمع الجزائري، حيث وافتنا مديرية الشرطة أن أنماط الجريمة في الوسط النسوي خلال الفترات الزمنية من سنة 1971حتى سنة 1976 تمثلت في جرائم الدعارة والزنا والسرقة والنصب والاحتيال حيث قدر عدد النساء اللواتي قبض عليهن بتهمة ممارسة الدعارة ب 364 امرأة سنة 1976 بالجزائر العاصمة وحدها. (14)

كما صاحب هذه المرحلة ظاهرة تزايد الملفت للسكان الجزائر، فقد ارتفع عدد سكان الجزائر في سنة 1972 إلى 14.612000 نسمة، (15) أي أن عدد سكان الجزائر يتضاعف كل عشر سنوات، والكثافة السكانية السريعة تعد من عوامل الانحراف والجريمة، وهذا ما أثبتته نتائج بعض الدراسات التي توصلت إلى أن الكثافة السكانية المرتفعة تعد احد أسباب ارتفاع عدد المجرمين والمجرمات.

كما برزت بعض الجوانب الأسرية التي أثرت على الكثير من النساء في هذه المرحلة ففي في الوقت الذي احترم بعض الرجال المرأة العاملة، فان نسبة كبيرة منهم فضل بقائها في البيت.

وخلال فترة السبعينيات بدأت المرأة تعيش بعض الضغوطات و المشاكل الاجتماعية التي نتجت بسبب حركية المجتمع، فأثرت عليها في الكثير من الأسر فكثرت المشاكل والتوترات الأسرية، بسبب ظهور الرغبة في الاستقلالية، فبدا المجتمع الجزائري يتجه إلى ترك الأسرة الممتدة والاتجاه إلى الأسرة النووية نتيجة التغيرات الاجتماعية السريعة في المجتمع الجزائري مما اثر على مكانة وادوار الأفراد داخل المجتمع وطرأت تبدلات في الأدوار مثل ادوار الزوج والزوجة والمعلم والطالب والعامل لأنها خاضعة باستمرار لتغيرات دائمة وعلى شاغلها أن يواكب هذا التغيير وينسجم مع المستجدات الطارئة وهذه عملية ليست بالسهلة " (16)خاصة في المجتمعات التي يسبق فيها التطور التشبع بالقيم والمعايير الجديدة التي تتماشى مع التطور الحاصل مما يخلق نوع من التناقض واللاتوازن في المجتمع فتظهر مشكلات اجتماعية تؤثر على أفراد المجتمع عموما والمرأة خصوصا.

وأصبحت المرأة الجزائرية عموما اقل صبرا على المشكلات التي تواجهها كما كانت في الماضي خاصة في محيطها الزوجي مثل عدم التوافق النفسي والاجتماعي مع زوجها بسبب كبر سنه أو زواجها منه دون رضاها، أو هجرته الطويلة أو الغياب المتكرر، أو إهمالها وعدم الاهتمام بها وبأطفالها، إضافة إلى رفض بعض النساء في هذه المرحلة أن تعامل بطريقة قاسية ولا إنسانية فهذه الظروف الأسرية أدت إلى ظهور ظاهرة الطلاق إضافة إلى دفع بعضهن إلى ارتكاب جريمة ما بسبب تأثير مثل هذه الظروف على شخصيتها ونفسيتها وعقلها ،وان كانت نسبة الجريمة في الوسط النسوي رغم كل هذه العوامل في تلك المرحلة تعد قليلة."حيث أكدت الاحصائيات أن حجم ظاهرة الإجرام خلال هذه المرحلة في المجتمعات الغربية مقارنة بالمجتمع الجزائري،يمكن القول أنها لا تمثل حجما كبيرا أو انتشارا واسعا مقارنة بجرائم الرجل، ويمكن ان نلمس هذا الفرق واضح من خلال ما تعرضه المحاكم في تونس والجزائر بحيث نجد أن النساء المتهمات في قضايا الإجرام قليلة جدا. " (17)

ويعكس الوضع الاجتماعي طبيعة إجرامها الذي يعد منخفضا مقارنة بإجرام الرجال، أما الجرائم التي ترتكبها فغالبا تكون بسبب الشجارات الأسرية أو مع الجيران في الحي،أو جرائم زنا وإجهاض التي تكون بسبب علاقتها مع شاب إما أن يكون من أقاربها أو من جيرانها أو أصدقاء إخوتها ، بمعنى من الذين يترددون إلى البيت أو تردد هي إلى بيتهم.

كما أن المرأة الجزائرية تخشى على صورتها الاجتماعية والأسرية من التشوه إذا ما تم القبض عليها وهي تقوم بعمل إجرامي معين كان تسرق مثلا ، حيث تعد فضيحة خاصة لدى معارفها حيث تنتشر كسرعة البرق ويصبح يتداولها الكل من رجال ونساء ، ولذالك فهي تفضل

عدم اللجوء إلى الجريمة أو أي شيء يؤدي بها إلى الفضيحة لان ثمن الفضيحة في مجتمعنا الجزائري بالنسبة للمرأة باهظة الثمن تصل إلى تحطيم حياتها كليا.

4- **الجزائر بين 1979 -1989 :** عرفت الجزائر في بداية الثمانينات تغيرات بنيوية وتطورات اجتماعية عميقة تمثلت في فشل وتيرة النمو الاقتصادي والاجتماعي بالتالي عدم تحقيق الأهداف التنموية، ولا تحقيق مستوى معيشي مرتفع. واستمر الوضع "إلى غاية سنة 1986 حين ظهرت الأزمة الاقتصادية والاجتماعية الخانقة التي حلت بالجزائر بعد انهيار سعر النفط في السوق الدولية." (18) ورغم أن الدولة الجزائرية قد اعتبرت " المواطن هو الغاية وهو الوسيلة " إلا أنها لم تتمكن من رفع مستواه اجتماعيا واقتصاديا، لأنها أهملت معرفة تركيب المجتمع وصفاته ودراسة المواطن وكل ما يتعلق به. فشلت في تسيير المؤسسات سواء على المستوى المتوسط أم الطويل المدى أم على مستوى التسيير اليومي الذي لم تتمكن المؤسسات في تحقيق الأهداف المنشودة، وهذا ما يؤكده Peter Druker "لا يوجد دول متخلفة بل هناك دول سيئة التسيير".

مما أدى بشعور الأفراد رجال ونساء بالغبن نتيجة عدم تحسن أوضاعهم كما كانوا يتوقعون.

مما أدى لعدم مقدرة الأفراد من رجال ونساء على التكيف مع المواقف خاصة بسبب التغيرات الكبيرة والسريعة والمتلاحقة في ميدان التنمية في مختلف المجالات والتي أظهرت تأثيرات سلبية أهمها خطر تزايد الجريمة .

صاحب هذه المرحلة ارتفاع عدد السكان حيث وصل في سنة 1982 بلغ 19.857000 نسمة (19).أي أن عدد الجزائريين قد تضاعف مرة أخرى .خلال عشر سنوات ، ولان الإنسان يتأثر منذ مولده إلى غاية وفاته بالتغيرات التي تطرأ على المجتمع الذي يعيش فيه.

فارتفاع عدد السكان وانخفاض المستوى المعيشي يمكن القول انه أحدث فروقا وتفاوتا بين القيم والسلوك ،وبين التطلعات والإمكانات المتاحة لتحقيقها ،مما أدى إلى بروز مجموعة من الظروف والوقائع التي لا تتصل بشخص المرأة ، بل تتصل بالوسط الذي تعيش فيه، والتي تؤثر فيها بشكل واضح منها : البطالة والفقر، مكان السكن،البيئة الأسرية،الأصدقاء والجيران، إضافة إلى التعليم ووسائل الإعلام والعادات والتقاليد، التي قد تؤثر سلبيا على سلوك المرأة وتجعلها تتجه إلى ارتكاب الجريمة .

مما جعل المرأة تعيش ضغوطات اكبر ناتجة عن المشاكل الاجتماعية مقارنة بالسنوات الماضية، ربما بسبب أن الأسرة النووية لا تتحمل مشاكلها لقلة تجربتها ،ولا تملك النضج الكافي لمواجهة المشكلات.

ومنه فان عملية التنشئة الأسرية تأثرت بظروف المجتمع وأصبحت تعيش تناقضا بين القيم والاتجاهات والمعايير الاجتماعية السابقة والجديدة التي اتجهت بالفرد إلى قيم واتجاهات سلبية اتجاه الوطن والآخرين،و بدا موضوع الجريمة والانحراف يتزايد في المجتمع، فاتجهت بعض النساء إلى السلوك الإجرامي. حيث أحصت مصالح الشرطة خلال سنة 1982 القبض على 864 امرأة لارتكابها جريمة البغاء والدعارة السرية في الجزائر العاصمة " (20)

إضافة إلى انه في هذه المرحلة ظهرت سلبيات النزوح الريفي التي عرفت تزايدا ملحوظا،"وهناك من الباحثين من ربط ظاهرة الجريمة بالهجرة الريفية الحضرية نتيجة لعوامل اقتصادية، فعدم نمو فرص العمل داخل المجتمعات الريفية بنفس النسبة لنموها الديموغرافي أو السكاني يؤدي إلى ظهور مشكلة العمالة ، وهذا ما يؤدي بالعديد من المواطنين الريفيين إلى الهجرة نحو المدن سعيا وراء العمل ولعل المشكلة تكمن في أن الهجرة تخلق بعض المشكلات منها :

ازدياد السكان، البطالة، اكتظاظ المساكن، اغلب المهاجرين من ذوي الدخل أو المستوى الاقتصادي المنخفض فنجدهم يقيمون في مناطق تتجسد فيها سوء الأحوال السكنية والازدحام والتخلف والظروف الصحية غير الملائمة ، ما ينعكس على الأمن والأخلاق فترتفع في هذه المناطق معدلات الجريمة والانحراف " (21)

مما زاد من اتجاه المرأة إلى الجريمة والذي كان غالبا من أسبابه انتمائها إلى أسرة مفككة مثل حرمانها من عاطفة الأم أو الأب أو إساءتهما إليها، أو إساءة احد إخوتها لها، أو هروبها من البيت من اجل البحث عن الحب المفقود في الأسرة ، فيكون مصيرها الشارع الذي يجعلها ضحية سهلة للرجال الذي يكونون بانتظارها بفارغ الصبر لينقذو ا عليها مثل الذئاب ويجرفونها إلى الجريمة والرذيلة دون رحمة أو شفقة خاصة جريمة البغاء " حيث تبثث الدراسات أن البغاء من أكثر الجرائم ممارسة من قبل المرأة ، يليها جريمة الإجهاض التي قلما تكشف المرأة لفعلها ، وبعدها جرائم السرقات التي كثيرا لا يبلغ عنها شفقة عليها وتستر عليها.

مع زيادة تأزم الوضع ووقوع المؤسسات في ضعف المر دودية وقلة الفاعلية ارتفع مستوى البطالة في الجزائر والعجز عن خلق مناصب عمل جديدة ، و تسريح العمال ،فلنخفض مستوى المعيشي للأفراد ، و تزايد الأمر تفاقم عندما توقفت فرص تشغيل الأفراد والعجز عن خلق فرص عمل لتوظيف القوى العاملة التي تعاني البطالة مما زاد من حدة الظروف المعيشية السيئة وذالك نتيجة تغيرات بنيوية وتطورات اجتماعية عميقة تمثلت في فشل وتيرة النمو الاقتصادي والاجتماعي بالتالي عدم تحقيق الأهداف التنموية، وعدم تحقيق مستوى معيشي مرتفع. " (22)

وقد أكد بعض الموظفين القدامى في مجلس عنابه انه خلال الثمانينات كثرت ظاهرة السرقة بشكل كبير وملفت للنظر خاصة في المناسبات بسبب التركيب الاجتماعي والسكاني خاصة

في المناطق الحضرية. حيث قدموا إحصائيات تقريبية تفيد بان جرائم النساء مابين 1980 – 1989 لا تتعدى 70 سجينة في ولاية عنابة وهذا لان المرأة خلال هذه المرحلة ازداد إجرامها وان كان منخفضا مقارنة بالرجال. (23)

ومع تبقى نسبة الفعل الإجرامي النسائي متدنية قياساً بالجرائم الرجالية، فللمرأة الجزائرية كانت ولازالت اقل اقترافاً للجريمة من الرجل رغم أن بعض الجرائم الذكورية تكون في بعض الأحيان بسبب المرأة أو لأجلها .حيث أشارت الإحصائيات في بلدان متعددة ،وأزمنة مختلفة إلى أن نسبة إجرام المرأة تقل كثيرا عن نسبة إجرام الرجل .فان الجرائم التي يرتكبها الرجل تبلغ في عددها أربعة أو خمسة أضعاف الجرائم التي ترتكبها المرأة. (24).

5- الجزائر بين 1990 – 2000 : وفي بداية التسعينات ازداد تأزم الوضع في المجتمع الجزائري بظهور الإرهاب الذي جعل الجزائر تعيش على فوهة بركان منفجر ، فكثر القتل والسرقة والاغتصاب والألم والدموع بمعنى الإجرام والعنف أصبحت ميزة الحياة في المجتمع الجزائري ، و استمر تأزم الأوضاع أكثر وأكثر واستمر العجز المالي للمؤسسات وغلق باب التشغيل وعدم قدرة المؤسسة على خلق مناصب شغل جديدة إلى جانب التدهور البارز في خدمات القطاع الصحي ، وعجز قطاع التعليم في مواجهة التدهور المستمر في المستوى وكذالك حدوث اضطرابات ناتجة عن مشكل السكن وتدهور مستوى المعيشي ... إضافة إلى زيادة الهجرة الريفية نتيجة التصعيد الخطير في المناطق النائية والريفية وما نالهم من تهديد وسلب للأموال و عمليات القتل الجماعي و التخريب على يد الإرهاب ، والتعدي على شرف النساء واغتصابهن وقتلهن ،مما أدى إلى انتشار البيوت القصديرية في المدن وغياب ادني شروط الحياة الضرورية هربا من الإرهاب فازدادت في المقابل حالات الإجرام والانتحار والأزمات النفسية ، "وظهرت المرأة في هذه المرحلة كمجني عليها

خاصة في عمليات القتل والاغتصاب " (25). حيث أطلق على هذه المرحلة بالمرحلة الدموية أو العشرية السوداء ، التي عرفت بارتفاع نسبة القتل والتخريب والهلع بين صفوف الجزائريين .

ويمكن القول أن الجزائر شهدت خلال هذه المرحلة تطورا ملحوظا في السلوك الإجرامي وفي الطرق والأساليب المتبعة في تنفيذه ، وان كانت مشاركة المراة الجزائرية فيها محدود حيث نجد أن "الأدوار القيادية والتنفيذ والقتل في الجماعات الإرهابية فهو من اختصاص الرجال ونادرا ما نجد امرأة تشارك في تنفيذ العمليات الإرهابية أو قيادة الجماعات الإرهابية (26). لكن شاركت بعضهن بإخفائهن أو تقديم المال لهن سواء خوفا أو كرها.

فلو تتبعنا ما عاشه الشعب الجزائري من مشكلات مثل الفقر والبطالة و أزمة السكن وانخفاض مستوى المعيشة والإرهاب ... كان على الجزائر أن تحاول إتباع إستراتيجية فعالة لمكافحة العنف بمختلف إشكاله المادية والمعنوية، لأنه من شروط التقدم الاقتصادي والاجتماعي للبلد لابد من توفر الاستقرار ولن يكون هذا إلا بتوفير الأمن في إطار القانون وحقوق الإنسان، في ربوع الوطن شمالا وجنوبا وشرقا وغربا .فأنشئت مصالح متخصصة لمكافحة الإرهاب ومصالح تتكفل بالبيئة والتعمير كما أن هناك تخصصات في الميدان العلمي ومصالح تقنية عديدة أخرى تتماشى مع تنوع وتطور الجريمة بما فيها المهندسون في الإعلام الآلي والإلكترونيك والهندسة المعمارية والأطباء والأخصائيون النفسانيون والاجتماعيون وتخصصات أخرى .

كما أصبح القضاء لا يتسامح مع القضايا الإرهابية بحث كانوا يتعرضون إلى عقوبات قاسية مقارنة بالجرائم الأخرى ،حيث " وقع الكثير من النساء ضحايا لجرائم المختلفة ،وخاصة جرائم العنف ، وتعتبر أكثر جرائم العنف استهداف للنساء جرائم القتل العمدي وغير العمدي والإيذاء الجسماني والاغتصاب "

ومع ذالك فقد قام الرئيس بوتفليقة "بالمصالحة الوطنية" الذي صوت عليه الشعب في سنة 2000 وقبله اغلب الجزائريون في حين رفضه اخرين بسبب اضرر الدي لحق بهم من جرائم القتل والتخريب التي مارسها الإرهاب والتي اتسمت بالوحشية، وفي إطار المصالحة الوطنية تم العفو على الذين نزلوا من الجبال وسلموا أنفسهم ،والكثير منهم عاد لمزاولة أعمالهم ،فانخفضت شدة الإرهاب في الجزائر وان لم تنتهي نهائيا .

وخلال هذه المرحلة برزت ظاهرة ممارسة البغاء والزنا بشكل ملفت نوعا ما سواء في الريف أو المدن ، وذالك باتجاه النساء إلى ممارسة هذا النوع من الجريمة بغية الحصول على المال ، بسبب الفقر ، والبطالة ،والإرهاب الذي قتل الكثير وترك الكثير من النساء دون عائل .....

فخلال الفترة الممتدة بين 1990–1999 وصل عدد النساء السجينات بولاية عنابة إلى 100 سجينة اغلبهن كانت جريمتهن البغاء والزنا . (27).

ولذالك يمكننا القول أن ظاهرة الإرهاب قد هيئ مناخا لاتجاه المرأة للممارسة الدعارة والبغاء ،خاصة بعد أن كثر الاعتداء على النساء واغتصابهن ، فادى ببغضهن إلى هجر سكناتهن هربا من الفضيحة وأخريات لم يعد لهن ما يخفن عليه بعد أن ضاع شرفهن، إضافة إلى انتشار الانحلال الخلقي الناتج عن ضعف التماسك والتكافل الأسري ، خاصة على مستوى مناطق معينة في المدن الذي جر خلفه اجترارهن إلى الرذيلة والخطيئة .

حيث لوحظ أن إجرام المرأة يتضاعف عندما تنخرط في العمل والحياة الاجتماعية لمواجهة ظروف الحياة في غياب العائل ،وعلى الأخص في أزمان الحروب والمجاعات ،وهو أمر يلاحظ في زيادة نسبة إجرام النساء غير المتزوجات عن النساء المتزوجات والتي يفترض وجود عائل لهن ." (28).

1 - الجزائر بين 2001-إلى 2010:

عرفت هذه المرحلة توجه الدولة الجزائرية إلى محاولة تحسين المستوى المعيشي للمواطنين والقضاء على الفقر ، إلا أن ذالك لم يكن بالأمر السهل بل ازداد الفقر نتيجة ارتفاع الأسعار المتواصل خاصة في الغذاء ، حيث أصبح الأفراد يلهثون وراء لقمة العيش ، وازدادت نسبة البطالة ، مما جعل الشباب يشعر بالألم وكره البلاد... ، و منه فالجزائر خلال هذه المرحلة افتقدت التوازن ، وابتعدت عن الالتزام الأخلاقي ،وزيادة الأنانية والمصلحة الخاصة، وزيادة التعدي على حقوق الغير، والتقصير الواضح في أداء الواجبات .... لأنه برزت قيم الصراع ، وأعطت للفرد حرية اكبر في التصرف واستخدام الوسائل المختلفة للثراء السريع ،حيث يؤكد جمال الدين لعويسات :أن التغير والتطور يمر بمراحل عديدة منها مرحلة إدراك الحاجة للتغيير تليها مرحلة البداية في التخطيط للتغيير وأخيرا مرحلة إدماج التغيير في سيرورة المنظمات والرجوع إلى حالة التوازن . (29) ويبدوا أن الجزائر لم تاخد هذه المراحل بالاعتبار بل تجاهلها المسئولين وسارت في طريق التغيير دون إدراك في أي اتجاه يسير ودون إدراك لآليات التغيير وتطبيقها .

ويبدوا أن استمرار تأزم الأوضاع في المجتمع الجزائري ،هذه الأوضاع أدت إلى بروز ظاهرة المصلحة والأنانية وطغت المادة على حياة الأفراد فبرزت ظواهر كثيرة صاحبها تطورات خطيرة على المستوى الاجتماعي والتي تتمثل في ظاهرة الأمهات العازبات إلي أنشئت لهم الدولة الجزائري مأوى أطلقت عليه الأمهات العازيات ، وانتشار ظاهرة التشرد الأسري وكذا تشرد الأطفال بما في ذالك الفتيات .

كما صاحب هذه المرحلة تزايد ملفت للنظر وهي ظاهرة الأطفال غير الشرعيين حيث امتلأت المراكز الجزائرية بهم .ليس هذا فقط بل ازدادت ظاهرة البطالة حدة حيث بلغت ذروتها خلال سنة 2005 ، وظاهرة الفقر التي عرفت بروز لا يصدق حيث اختفت الطبقة الوسطى وأصبحت لدينا الطبقة الغنية و الطبقة الفقيرة و الطبقة تحت الفقر .والذي ابرز ظاهرة أخرى وهي ظاهرة التسول لدى النساء كما لدى الرجال فكل 10 أمتار تجد متسولا ... .خاصة في الولايات الكبرى .

وعلى هذا الأساس نستطيع القول أن طبيعة التغيرات التي مر بها المجتمع الجزائري أدت إلى خلق فجوة كبيرة وعميقة بين فئات الاجتماعية ، بما فيها فئة النساء حيث كان حجم التغير غير مصاحب للتكيف والانسجام مع هذه التغيرات ، مما اثر ذالك على قيم أفراد المجتمع واستبدالها بقيم أخرى يعتقد انها تحقق التكيف المطلوب ، إلا أنها في الحقيقة قيم لعبت دورا في زيادة الجريمة والانحراف في المجتمع الجزائري بما في ذالك الجريمة النسوية .

حيث أثبتت الدراسة الميدانية التي أجريناها أن تغير الأوضاع في السنوات الأخيرة على أكثر من صعيد في المجتمع ، العامل المادي كان من أهم الأسباب التي أدت بالنساء المتواجدات بالسجن إلى ارتكاب الجريمة ، فاغلبهن بطلات وبالتالي ليس لهن دخل مادي يلبي حاجياتهن وهذا التحول في تفسير أسباب الجريمة لدى المرأة قد يرجع إلى :

- أسباب العامة : منها تعقد الحياة العصرية ،تغير العلاقات الاجتماعي ة، وطغيان المادة والروح الاستهلاكية على العلاقات في نمط الحياة .
- أسباب الخاصة : منها ضعف الضبط الأسري (تخلي الأسرة عن دورها)، تغير شكل الأسرة (من الأسرة الممتدة إلى النواة) ،التفكك الأسري .

انطلاقا من التنشئة الاجتماعية التي أصبحت تزود أفراد المجتمع باتجاهات سلبية تجعل الفرد يعارض الظروف الصعبة التي يعيشها في مجتمعه ، وتجعله في المقابل غير قادر على مواجهتها مما اثر على الكثيرين فاتجهوا إلى ممارسة السلوك الإجرامي .

حيث كشفت الإحصائيات والدراسات عن ارتفاع حالات تورط المرأة في الفعل الإجرامي الذي يرجع في الغالب إلى الظروف الاجتماعية الصعبة كالفقر وضعف المستوى التعليمي حيث اثبتت الدراسة الميدانية ان نزيلات مؤسسة إعادة التربية 98 % منهن لهن مستوى تعليمي اقل من جامعي و36 % مستواهن التعليمي متوسط و 25 % تقران وتكتبن و 14 % أميات ، إضافة إلى التعسف العائلي الذي تتعرض له من طرف الزوج أو الأب أو الأخ. أن النساء اللواتي تتعرضن للعنف من قبل أفراد العائلة تحاولن التخلص من هذا الوضع بممارسة العنف، فامرأة لن تتوان في قتل زوجها الذي يعتدي عليها بالضرب المبرح حينما تتاح لها فرصة اقتراف ذلك الفعل. البؤس والظروف الاجتماعية المزرية يجعل المرأة ترتكب مثل هذه الأعمال عندما تجد المرأة نفسها مضطرة لإعالة أبنائها وهي لا تملك مصدر رزق تكون مضطرة لارتكاب أفعال إجرامية وهاا ما تم التوصل اليه من خلال المقابلات المتكررة معهن.

حيث أحصت مصالح الأمن الوطني خلال 2004 عن عدد النساء الموقوفات في بعض ولايات الوطن – جدول رقم 1 – : (30)

الولاية	عدد النساء الموقوفات	النسبة
وهران	158	33%
الجزائر العاصمة	121	25%
باتنة	65	14%

قسنطينة	33	7%
مستغانم	24	5%
جيجل	18	4%
غرداية	17	4%
غليزان	15	3%
بورج بوعريريج	5	1%
النعامة	5	1%
ادرار	5	1%
الطارف	4	1%
الجلفة	3	1%
الاغواط	3	1%
تمنراست	1	
المجموع	477	100%

حيث تكشف أرقام هذا الجدول ، أن إجرام المرأة قد عرف تناميا خطيرا في المجتمع الجزائري ، وإذا كان الإجرام سابقا صفة ذكورية وما ارتكبته النساء يكاد يعتبر استثناءا، إلا أن الجزائر تشهد أمرا خطيرا يتمثل في إقبال العنصر النسوي على ارتكاب الجرائم على اختلافها، كما لو أن الأمر يتعلق بالعنف المضاد أو عملية انتقام، حيث لم تعد المرأة ضحية العنف والجريمة فحسب وإنما ممارسة لها.

وذالك بسبب ما عرفه المجتمع الجزائري خلال السنوات القليلة تغيرا في شتى مجالات الحياة

شهد الإجرام تناميا خطيرا، وزج المجرمين في السجون بسبب طيشهم وارتكابهم لجرائم خطيرة ، وبعد أن كان المجتمع الجزائري يعيب على المرأة دخول السجن ويعتبره للرجال فقط تغيرت هذه النظرة بعد أن أصبحت المرأة تدخل إلى السجن ، وأصبح يتداول مؤخرا أن " المرأة التي كانت تعرف بالحشمة والشرف أصبحت تجر إلى المحاكم مكبلة الأيدي ، حيث أصبحت تقود عصابات الفسق والدعارة و وعصابات ترويج المخدرات... ويشربن الخمر إلى حد الثمالة وينافسن الرجال في استهلاك المخدرات ، حيث صرحت مصالح الأمن الوطني بالجزائر العاصمة عن تزايد مستمر في قضايا حيازة النساء للمخدرات بهدف استهلاكها " (31)

أظهرت الدراسة الميدانية،وجود تقبل اجتماعي واضح لوجود الرجل او الشاب في السجن حيث يضحى باهتمام العائلة وزيارتها وتوفير له الإمكانات المادية اللازمة من مصروف واكل ولباس ... زيادة على ما توفره المؤسسة العقابية ،أما المرأة فمازال المجتمع الجزائري لا يتقبل دخولها السجن ويظهر ذالك من خلال مقاطعة الكثير من الأسر لبناتهن عند دخولهن السجن ،أو زيارة والدتها لها سرا وتهديد والدها أو أخوها لها بالقتل ، وان حضيت بعض السجينات باهتمام العائلة حيث بدا يظهر نوع من التقبل على المستوى الأسري ، لكن على المستوى الاجتماعي مازال يقابل دخول المرأة إلى السجن بالرفض .

وأظهرت الدراسة الميدانية أيضا أن اغلب المجرمات الموجودات بالسجن ، يعشن في اسر غير متماسكة ، يكثر فيها العلاقات السيئة بين أفراد الأسرة ، وتعاني الفقر حيث تمثل نسبة النزيلات الفقيرات 68 %، و 27 % تعيش في بيئة سكنية سيئة .

فموقع المرأة في أسرتها له انعكاساته على شخصيتها وسلوكها ، فوجودها في أسرة متوترة أو يكثر فيها المشكلات والصراعات ،وتهميش المرأة والاستلاء على حقوقها ، أو المعاملة السيئة لها من طرف شخص او عدة أشخاص في الأسرة ، وتعرضها إلى الإهمال من الأب أو من أفراد أسرتها .... كلها أسباب تجرف المرأة إلى الجريمة .

حيث كشفت دراسة أصدرها الدرك الوطني الجزائري في 15 اوت أنه تم اعتقال حوالي 12 ألف امرأة لتورطها في الإجرام منذ .2001 وتم توقيف أزيد من 530 خلال النصف الأول من 2006 فيما وصفته الشرطة ظاهرة متزايدة.

وهذا ما يوضحه الجدول التالي : الذي يعبر عن النساء المسجونات من 2005– 2009 في ولاية عنابة فقط .

–جدول رقم 2 –

السنوات	عدد السجينات	النسبة
2005	20	9%
2006	22	10%
2007	30	14%
2008	40	19%
2009	44	21%
2010	56	26%
المجموع	212	100%

مصدر الجدول الدراسة الميدانية مجلس قضاء عنابة 2010

حيث يوضح الجدول الموالي أن ولاية عنابة كعينة أو وحدة من ولايات الوطن تعرف تزايدا ملحوظا في إجرام المرأة ، حيث كشفت آخر الإحصائيات للشرطة الجزائرية عن تزايد عدد النساء اللواتي يحترفن الإجرام في الجزائر، وطالبت الشرطة بإجراء بحث في الظاهرة وقدم ممثلون عن المجتمع المدني آراءهم ، حيث تقوم الشبكات الإجرامية بتجنيد نساء لتهريب السلاح والمتفجرات والمخدرات... (32)حيث أظهرت بعض النساء الجزائريات خلال السنوات الأخيرة تخل عن الحشمة والحياء واتجهت إلى ارتكاب الأخطاء والأفعال الفاحشة أمام الملا إضافة إلى تميز بعضهن بالعنف مما جعل الكثير من الجزائريين يستنكر هذه الصورة في الوقت الحاضر ، وصلت بهن الجرأة إلى اهانة الغير مثل رجال الامن " تشتم رجال الأمن بأقبح العبارات ، وذالك بشهادة رجال الشرطة الذين وقعوا ضحايا لبعض الشابات ، وقد تم عرض بعضهن أمام العدالة بتهمة اهانة هيئة عمومية " .(33)

وفعلا فأثناء إجراء الدراسة الميدانية وجدنا امرأة مسجونة في سجن عنابة بنفس التهمة وهي اهانة هيئة عمومية بعد ضرب شرطية أثناء تأدية مهامها .

حسب أخر إحصاءات الأمن والدرك الوطنيين، فقد تم تسجيل مالا يقل عن 1878 امرأة تورطت في الجريمة خلال الأشهر العشرة الأخيرة لسنة 2009 ، وتتصدر ولاية سطيف بـ 83 امرأة ، وتأتي ولاية عين تموشنت بـ 78 إمرأة ، أغلبهن متورطات في التهريب والشعوذة والدعارة ، إضافة إلى ولايتي مستغانم و تلمسان بغرب البلاد ،بينما تحتل العاصميات المرتبة الخامسة بـ 45 إمرأة متورطة في التزوير واستعمال المزور والانتماء الى جماعات التهريب وممارسة الدعارة وحيازة

واستهلاك ومتاجرة بالمخدرات والمؤثرات العقلية.كما أفادت مصادر قضائية بوجود أكثر من 644 إمرأة تورطت في في حوالي 119 صنف من أنواع الجريمة عام 2009 .وهو ماتستعرضه المحاكم الجزائرية في معالجتها لقضايا عديدة من هذا القبيل ، إذ يكاد يمر يوم واحد إلا وتكون فيه إمرأة حاضرة من بين الموقوفين (34)

وثبت من خلال الاتصال برجال الأمن إن الرجل غالبا ما يستغل ظروفها القاسية للمرأة مثل حاجاتها إلى العمل لكي يزج بها في هذا المجال خاصة تجارة المخدرات ومختلف أصناف التهريب، وأضاف أنه رافع لعدة حالات نساء في المحاكم دخلنا ميدان الجريمة المنظمة "دون أن يعلمن بذلك ودون قصد". لكن هذا لاينفي وجود نساء اتجهن الى ممارسة الجريمة عن قصد حيث أصبحت تتورط في قضايا الهجرة السرية نحو أوروبا، وممارسة الدعارة، ثم تليها قضايا متعلقة بالمخدرات والتهريب والتزوير في المحررات الرسمية. بعض النساء تعرضن للاعتقال لتورطهن في قضايا اعتداء وقتل (35). وتشير المعلومات المقدمة من طرف المؤسسات العلمية والبحث التطبيقي ومنظمة العفو الدولية إلى أن مرتكبي جرائم القتل أو السطو أو الاغتصاب مع القتل...الخ، غالباً ما كانوا يعانون من... العقد الاجتماعية. ولهذا فإن الجرائم التي ارتكبوها وأدينوا بها قد ارتبطت مباشرة بتلك العلل والأوضاع الاجتماعية التي كانوا يعانون منها ويعيشون تحت وطأتها

خلاصة الفصل :

أن الاهتمام بدراسة السلوك الإجرامي لدى المرأة وكيفية تأثره بالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية للبلاد في الأبحاث السوسيولوجية يسمح لنا بان نطل على التأثيرات التي تحدثها على سلوك المرأة وشخصيتها و قيمها .فالمراة كفرد من المجتمع تندمج وفق طبيعة المجتمع الذي تعيش

فيه ، وجدير بالذكر أن التغيرات السريعة التي يعرفها المجتمع الجزائري على جميع الأصعدة يؤثر كثيرا على تطور المرأة ،وما إجرامها إلا نتيجة حتمية لجملة التغيرات الحاصلة والتي تطرقنا اليها خلال هذا الفصل حيث سمحت لنا بفهم خصائص ومميزات السلوك الاجرامي النسوي ومن تم معرفة إمكانيات انحرافها وإجرامها .

المراجع :

(1) سامية حسن الساعاتي : علم اجتماع المراة ،دار الفكر العربي ،ط 1 ، القاهرة ، 1999 ،ص 194

(2) دردوس مكي :الموجز في علم الاجرام ، ديوان المطبوعات الجامعية ، قسنطينة ، بدون سنة ن ص 59.

(3) حسن الساعاتي : سامية ، تاريخ التصفح 15 فيفري 2010، www.islammemo.com)

علم اجتماع المرأة ،دار الفكر العربي ،ط1 ، القاهرة ، 1999 ،ص 194 .

(4) مصدر الإحصائيات مؤسسة إعادة التربية بوزعرورة عنابه ، فيفري 2010 .

(5) http://forum.law-dz.com/index.php?showtopic=6128، تاريخ 16/02/10

(6) M.Boucebci : psychiatrie, société et développement en ALGERIE, Alger, 1987, p139

(7) عمر السعيد رمضان: دروس في علم الإجرام، دا ر النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1972، ص 55

(8) بن يوسف بن خده: اتفاقيات أيفيان، ديوا ن المطبوعات الجامعية، الجزائر، سبتمبر، 1989،ص86

(9) محمد شفيق: الجريمة والمجتمع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 1978 ، ص 23.

(10) رويمل نوال: القيادة وتسيير الموارد البشرية ، دار الهدى للطباعة والنشر،عين مليلة ، بدون ط ،2009 ،ص27 .

(11) علي بلقاسم : قانون العقوبات ،الدار المغاربية ،باتنة ، الجزائر ،1991،ص 112 .

(12) رويمل نوال : مرجع سبق ذكره.

(13) فرانسيس هيدسون : المرأة والجريمة ، ترجمة ريهام حسن ابراهيم ،المجلس الأعلى للثقافة القومي للترجمة ،مصر ،بدون ط ،1999،ص 9 .

(14) مجلة الشرطة : ع 18 جويلية 1982.

(15) عبد الرحمان الوافي : سيكولوجية الفرد والمجتمع ،دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر ، 1996 ، ص38.

(16) معن خليل عمر : التفكك الاجتماعي ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط 1 ،2005 ، ص 59 .

(17) عمر السعيد رمضان : دروس في علم الاجرام ،دار النهضة العربية ،بدون ط ،بيروت ،لبنان ،1972 ،ص50.

(18) العيفا اويحي : النظام الدستوري الجزائري ، مرجع سبق ذكره ، ص 5 .

(19) عبد الرحمان الوافي : سيكولوجية الفرد والمجتمع ،دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر ، 1996 ، ص38.

(20) . المديرية العامة للأمن الوطني : الإحصاءات الجنائية الوطني –الجزائر .،1982.

(21) حسن عبد الحميد رشوان ، مشكلة المدينة ، المكتب العلمي ، الاسكندرية ،مصر ، 1997،ص 76.

(22) العياشي عنصر : **نحو علم اجتماع نقدي** ، دراسات نظرية و تطبيقية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1999 ، ص 60 .

(23) مجلس قضاء عنابة أكتوبر 2009.

(24) حسين عبد الحميد احمد، احمد رشوان : علم اجتماع المرأة ،المكتب الجامعي الحديث ،بدون ط ،القاهرة ، 1998 ،ص 187 .

(25) حسب تصريح نائب الأول مساعد : في مجلس قضاء عنابة ، يوم 5/ 9 /2009.

(26) حسين عبد الحميد، احمد رشوان : علم اجتماع المرأة ، المكتب الجامعي الحديث ، 1998 ، القاهرة ، بدون ط ، ص 190 .

(27) مجلس قضاء عنابة اكتوبر 2009.

(28) حسين عبد الحميد احمد، احمد رشوان : علم اجتماع المرأة ،المكتب الجامعي الحديث ،بدون ط ،القاهرة ، 1998 ،ص 187.

(29) جمال الدين لعويسات :**السلوك التنظيمي والتطوير الإداري** ،مرجع سبق ذكره ، ص 65 .

(http://armpoli.montadarabi.com/montada-f2/topic-t4989.htm30) ، 21 جانفي 2010.

(31) , 16/8/2009

www.roknalabd3.com/vb

(32) , 21/10/2009

www.ennaharonline.com

(33) www.roknalabd3.com/vb ، موقع سبق ذكره.

(http://armpoli.montadarabi.com/montada-f2/topic-t4989.htm34) ، 21 جانفي 2010.

(35) www.magharebia.com، 26 أوت 2009.

حوليات جامعة بشار
Annales de l'Université de Bechar
N° 12, 2011, 12 العدد
ISSN : 1112-6604

الحاضنة و الشغل

في التشريع والفقه المقارنين

الدكتور : سعداوي محمد

جامعة بشار

ملخص

الحضانة هي رعاية الولد وتعليمه والقيام بتربيته على دين أبيه والسهر على حمايته وحفظه صحة وخلقا .

ويشترط في الحاضن أن يكون أهلا للقيام بذلك تعدّ الأم الأولى بحضانة ولدها ثم الأب ثم الجدة لام ثم الجدة لآب ثم الخالة ثم العمة ثم الأقربون درجة مع مراعاة مصلحة المحضون .

الكلمات المفتاحية : الحضانة – الرعاية – مصلحة المحضون .

Résume

(hadana) Le droit de garde consiste en l'entretien, la scolarisation et l'éducation de l'enfant dans la religion de son père ainsi qu'en la sauvegarde de sa sante physique et morale .

Le titulaire de ce droit doit être apte a en assurer la charge.

Le droit de garde est dévolu d'abord a la mère de l'enfant ,puis au père, puis a la grande mère maternelle…au mieux de l'interet de l'enfant.

Les mots clefs: droit de garde- l'entretien - l'intérêt de l'enfant

الإنسان محور الحضارة و مدارها، به تتحرك الحياة، والأسرة أساس المجتمع و نواته،و داخل الأسرة يصنع إنسان الغد. ومن ثم كان طبيعيا أن يحرص المشرع على أن يكفل القانون حماية الطفل و الأمومة .و يرعى الأطفال و يعمل على تهيئة الظروف المناسبة لتنشئتهم التنشئة الصحيحة .

إن الإحاطة بحقوق الطفل إحاطة علمية تتطلب بيانا لحقوقه الأسرية بما يع ربه ذلك من شرح لمركزه القانوني في أسرته كما تتطلب بيانا لحقوق الطفل إزاء المجتمع كحقه في الرعاية الصحية و الاجتماعية و حقه في التعليم و الثقافة و رعاية الطفل المعاق و تأهيله و حمايته من الانحراف.

و لأن الطفل هو المستقبل عنيت التشريعات عناية خاصة بجوانب تربيته داخل الأسرة في رؤية متكاملة بل و ذهبت بعضها إلى جعل قضية الأبناء قضية دستورية كما فعل المشرع الجزائري حيث نص في مواضع مختلفة في دستور 1996 على الأبناء و مثالها المادة 65 منه.

و إذا كانت الحكومات تولي عناية كبيرة للجيل ضمن مؤسساتها و أهمها الأسرة فان الوضع يكون ادعى للتأمل و الاهتمام البالغ إذا تشتتت الآسرة و وقع انفصال الزوجين حيث يكون الأبناء عرضة الإهمال تارة و تارة أخرى عرضة للانتقام بين الزوجين المنفصلين حيث هنا دائرة البحث الجاد و هو ما دفعنا للبحث في هذا الموضوع .

من اجل ذلك تابع المشرع الطفل و أحاطه بعناية مهمة من خلال نظام الحضانة حيث عهد بها ابتداء للام لما فيها من ميزات تحقق مصلحة المحضون و توصل إلى مقصد المشرع في هذه المرحلة و لعل هنا تثور إشكالية بحثنا التي تبدأ في صورة سؤال ملح : لماذا الأم بالذات و ما هي الأهداف التي يريدها المشرع وراء ذلك؟

إن الرعاية التي استهدفها المشرع في هذه المرحلة يمكن تحصيلها نظرا للتواجد الفعال للام إلى جوار المحضون تقوم على شؤونه و تربيته و لكن كيف يكون الحال حين تدخل الحاضنة عالم الشغل حيث تصبح بعيدة عن المحضون معظم ساعات اليوم.فهل يتحقق مقصد المشرع من الحضانة هنا و هل للشغل اثر على المحضون و مستقبله؟

المبحث الأول: مقاصد إسناد الحضانة للام :

إذا كانت الحضانة لغة مأخوذة من الحضن و هو الجنب فان في كلمة الحضن معنى الحب المتدفق و الحماية الوافرة، أما في الاصطلاح فهي تربية الولد ورعاية شؤونه لمن له حق الحضانة حتى يبلغ سنا معينا و قد عرفها المشرع الجزائري في المادة 62 قانون الأسرة الجزائري هي "رعاية الولد و تعليمه و القيام بتربيته على دين أبيه و السهر على حمايته و حفظه صحة و خلقا".

و إذا كانت التشريعات قد أجمعت على ضرورة قيام الآباء على رعاية أبنائهم و تنشئتهم تنشئة صالحة فان بعض هذه التشريعات أولت ذلك عناية كبيرة لماله من اثر على مستقبل المجتمع و استقراره فأقرت ذلك في دساتيرها كما هو الحال مع المشرع الجزائري في نص المادة 65 في دستور 1996: يجازي القانون الآباء على القيام بواجب تربية أبنائهم و رعايتهم.

"و الولد منذ يولد محتاج لمن يعتني به و يقو م على تربيته و حفظه و تدبير كل ما يلزمه في حياته لأنه عاجز عن القيام بمصالحه غير مدرك لما يضره و ما ينفعه، و الشارع قد أناط هذا الأمر بوالدي الصغير لأنهما أقرب الناس إليه في هذه الحياة و وزع الأعباء عليهما كل فيها يصلح له أما عن تربيته و رعاية شؤونه في المرحلة الأولى فقد جعلها للأم و أما عن ولاية التصرف في نفس الولد و حاله فقد جعلها للأب "**(1)**.

و اذا كانت الضرورة اقتضت من المشرع أن يشير إلى هذا القدر من واجب العناية بالأبناء داخل الأسرة فان الواجب يصبح اكبر حين تنحل الرابطة الزوجية و تتشتت الأسرة فكيف تكون المحافظة على مستقبل المجتمع من خلال متابعة الأبناء؟

من اجل ذلك جاءت التشريعات بنظام الحضانة، و من اجل تحقيق الأهداف التي أرادها المشرع كان إسناد الحضانة ابتداء إلى الأم. فما هو الدليل على إسناد الحضانة للام و لماذا كانت الأم أولى؟

" تقديم المرأة على الرجل في حضانة الصغير قاعدة شرعية تستجيب مع واقع الحياة و توافق تكوين المرأة و الحاجات الطبيعية للصغار"**(2)**.

" و من دلك ما روي عن الرسول (ص) أنه جاءته امرأة بشأن نزاع حول ابنها مع أبيه فقالت "يا رسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاءا و حجري له حواء و ثديي له سقاءا و زعم أبوه أن ينتزعه مني فقال الرسول صلى الله عليه و سلم: أنت أحق به ما لم تتزوجي"**(3)**.

و من الإجماع: أن عمر بن الخطاب فارق زوجته (أم عاصم) و ثار نزاع بينهما بشأن عاصم فخاصمهما عمر بين يدي أبي بكر ليأخذ منها (عاصم)، فقال له أبو بكر:ريحها و مسكها خير له من الشهد عندك.و قد شهد هذا المجلس عدد من الصحابة و لم ينكروا ذلك على أبي بكر.

و قد سبب ابن قدامة المقدسي إسناد الحضانة للام ابتداء في كتابه المغني بقوله: لأنها اقرب إليه و أشفق، و لا يشاركها في القرب إلا أبوه،و ليس له مثل شفقتها و لا يتولى الحضانة بنفسه و إنما يدفعه إلى امرأته و أمه أولى به من امرأة أبيه.

و يقول الدكتور بلحاج العربي :" يتضح لنا من المادة 64 ف ا ج أن القانون الجزائري بعد أن أعطى حق الحضانة للأم رتب المستحقين لها مبتدئا بجهة الأم و الأصل في حضانة الأم أنها أعطف على صغيرها و أكثرهم تحملا لمتاعب رعاية لقوله (ص): من فرق بين الوالدة وولدها فرق الله بينه و بين أحبيه يوم القيامة." **(4)**." و الحضانة نوع ولاية و سلطة لكن الإناث أليق بها لأنهن أشفق و أهدى إلى التربية وأصبر على القيام بها و أشد ملازمة للأطفال فادا بلغ الطفل سنا معينة كان الحق في تربيته للرجل لأنه أقدر على حماية و صيانته و تربيته من النساء"**(5)**.

و يقع الإجماع هنا على أن الحضانة مرحلتين في حياة الطفل: المرحلة الأولى تتولاها الأم. و تتميز بحاجة الطفل إلى صبر على تصرفاته و بداية اكتشافه لعالمه أما الثانية التي يتولاها الأب فيحتاج فيها إلى الحماية و المساعدة.

و كون الأم أحق بالطفل من الأب لا يعرف فيه خلاف بين أهل الفقه مادامت الأم قد اجتمعت لها شرائط الحضانة و لم يقم بالولد وصف تقيضي تخييره بينهما.لأنها الأحنى قلبا و الأكثر شفقة والأكثر صبرا على احتمال الصغير و مطالبه.

و لكي تتولى المرأة هذه المسؤولية اشترط الفقه فيها شروطا نوردها إجمالا في:"

1–العقل

2–البلوغ

3–القدرة على تربية المحضون و القيام على شؤونه و هي القدرة على صون الصغير في خلقه و صحته.

4–الأمانة على الأخلاق و كذا الاستقامة: فلا حضانة للفاسقة و لا للمهملة المضيعة لان الطفل تتطبع فيه السلوكيات التي يراها و يشهدها فينشأ عليها.

5–الإسلام و هو شرط عند الشافعية .

6–أن لا تتزوج بأجنبي.

7–أن تكون ذات محرم من الطفل.

8–أن لا تقيم به في بيت يبغضه و يكرهه" **(6)**.

فإذا كان المشرع قد اسند الحضانة ابتداء إلى الأم لهذه الأسباب فما الذي يريده المشرع من ذلك؟

المطلب الثاني:الأهداف التي يقصدها المشرع من إسناد الحضانة للام:

1– الضابط المعنوي أو الجانب العاطفي: في تعريفه للحضانة اكتفى المشرع الجزائري في نص المادة 62 بقوله:هي رعاية الولد.

و لفظ الرعاية يفيد العناية بالمحضون من جوانب عدة و أهمها الجانب الذي تحتاجه هذه السن و هو الجانب العاطفي و "تعتبر السنوات الست الأولى من حياة الطفل من اخطر مراحل نوه لما لها من أهمية قصوى في تكوين شخصيته بصورة تترك طابعها على نفسه و سلوكه طوال مراحل حياته في المستقبل ذلك أن الطفل في هذه المراحل يكون أكثر تأثرا بالعوامل التي تحيط به" **(7)**.

و افتقاد الطفل في هذه المرحلة إلى حضن أمه الذي يمده بالحب و الحنان قد يكون له بالغ الأثر على حياته حيث انه "عن عواقب حرمان الطفل من العطف و الحنان و المحبة في السنوات الأولى هو عدم قدرته على محبة الآخرين أو تلقي المحبة منهم فيما بعد"**(8)**.

إن حرمان المحضون من الجانب العاطفي يولد عنده عدوانية لا إرادية مع الوسط الذي يعيش فيه كما ينشأ على أنماط سلوكية غير سوية.

من أجل ذلك كان لابد من الأم و حضنها الذي يوفر على المجتمع كل هذا العناء.

2 – ضابط الاستقرار:هو ما أشار إليه قانون الأسرة و كذا القضاء في أن الحضانة يراعى في إسنادها توافر مصلحة المحضون.

و " لكي تتحقق هذه الغاية يجب أن يوضع المحضون في يد حاضن يدرك هذه المسؤولية الملقاة على عاتقه،ذلك أن البيت المتمتع بجو عائلي هادئ هو البيت الذي يمد أصحابه بالطمأنينة و دفء الشعور و يتيح لهم حرية فردية ينظمها التفكير التعاوني و الرغبة في رعاية حقوق الغير" **(9)**.

هذا الجو الهادئ هو الذي ينشئ الطفل على مشاعر الرضا و الثقة بالنفس و التوازن و الأمان كما انه الجو الذي يساعده على التعلم و الاندماج الاجتماعي و هي مقاصد عليا قصدها المشرع هنا.

لذلك ففي كثير من الأحيان يكون الطفل ضحية انتقام احد الوالدين من الأخر إلا أن ذلك يضعف في جانب الأم التي تدفعها غريزتها إلى العطف على ابنها و حمايته.

3 – ضابط الصحة الجسمية:و هو ضابط مقصود في حضانة الأم لما لأهمية اللبن الطبيعي (لبن الأم) من فائدة صحية للطفل بشهادة أصحاب الاختصاص الذين يشيرون إلى مستوى المناعة الذي يوفره اللبن الطبيعي.

كما أن الأم و نظرا لتواجدها المستمر إلى جوار ابنها و متابعتها له توفر له جوا صحيا متكاملا و إلا انتزع المحضون من يدها بناءا على مصلحته.

إن ضابط الرعاية الصحية لا تتحمله الأم لوحدها و إنما تتقاسمه معها الدولة لما توفره من مراكز صحية و حملات توعية و أدوية و من اجل صحة المحضون اشترط الفقه الإسلامي سلامة الحاضن من أي مرض معد.

4 – الضابط الأخلاقي: إن بقاء الأمم مرهون بمدى سيادة الأخلاق النبيلة فيها و إذا كان طفل اليوم هو رجل الغد الذي يصنع القرار فانه حسن تربيته هو من حسن إدارة المستقبل.

من اجل ذلك اشترط الفقه الإسلامي أمانة الحاضنة على أخلاق المحضون و جعلوا فساد أخلاقها من موجبات سقوط الحضانة عنها .

و خلاصة القول: إن ملء الطفل بمشاعر الحب و الاحترام و العطف ،و تنشئته في جو من الطمأنينة و السكينة و الأمن و رعايته صحيا من صحة نفسية و جسدية ،و ضبط أخلاقه بما ينسجم مع روح الأمة ،مقاصد كبرى أرادها المشرع من خلال إسناد الحضانة للأم. إلا انه و من جهة أخرى تطرح أمام الأم (المرأة) تحديات أخرى تتطلب عليها أن تكون حاضرة فيها كحاجة المجتمع إلى خبرتها و كفاءتها في عالم الشغل .

المبحث الثاني: الحاضنة في عالم الشغل وأثر ذلك على المحضون

المطلب الأول: الحاضنة في عالم الشغل :

جاء في الميثاق الوطني لسنة 1976: تمثل النساء نصف السكان النشيطين و تكون مصدرا لا بأس به لقوة العمل بالبلاد بحيث يكون تجميدها لا يدل إلا على ضعف الاقتصاد و تأخر التطور الاجتماعي،على أن إدماج المرأة الجزائرية في مسالك الإنتاج ينبغي أن تعتبر فيه الضغوط المتصلة بدورها كأم و كزوجة في بناء العائلة وتدعيمها باعتبارها خلية تأسيسية للوطن و على الدولة أن تشجع المرأة على العمل في مواطن الشغل التي تستجيب لقدراتها و كفاءتها في المضمار نفسه و عليها الإكثار من مراكز التدريب و التأهيل الخاصة بعمل المرأة كما انه من واجبها وضع قوانين دقيقة تهدف إلى ضمان حماية الأمومة و استقرار الأسرة و على الدولة إدخال التغييرات الضرورية على الأنشطة التي تمارسها النساء بحيث يكون عمل المرأة عنصر انسجام الأسرة و المجتمع.

مع التنمية و التغيرات البنيوية للاقتصاد تتجه الخدمات المنزلية و تواجد المرأة في البيت نحو التقلص و تحل محلها الخدمات الاجتماعية كمصدر مهم للزيادة في الطلب على عمل المرأة و تتوافر أنواع جديدة من الوظائف كنتيجة حتمية لاستقرار المجتمع و ازدياد الارتباط بالمجموعة الدولية كما تتوافر شروط عمل أفضل مثل الأعمال المكتبية و الإدارة العامة و كذا المنافسة التي يطرحها القطاع الخاص والذي يجعل المرأة عنصرا مهما فيه و ما يطرحه من خدمات مغرية مما يجذب قسما اكبر من النساء للاشتراك بسوق العمل ." إن مجتمعنا العربي الذي يحاول بكل طاقاته اللحاق بالدول المتقدمة هو بحاجة إلى كل القوى العاملة لديه و من غير المعقول أن تبقى المرأة و هي تكون قسما لا يستهان به من موارده البشرية معطلة أو غير مشاركة بشكل فعال في عملية الإنتاج" **(10)**.

زادت نسبة مشاركة المرأة في حياة الشغل في الوطن العربي عموما و الجزائر خصوصا تحت ضغط الظروف الاجتماعية والاقتصادية وكذا صيحة التحرر و الديمقراطية التي تسود العالم من جهة و من جهة أخرى تحت ضغط تقارير الأمم المتحدة بشأن التنمية البشرية في دول العالم الثالث، فأقرت الدساتير كلها هذا الحق و عملت على تجسيده بما ينسجم مع ما يدور في الساحة الدولية حيث أصبحت قضية عمل المرأة واحد ا من أهم ملفات حقوق الإنسان.

و لعل الإشكال الذي يطرح هنا هو: إذا كان عمل المرأة اليوم أصبح حتمية تتطلبها حاجة المجتمع إلى المرأة من جهة و ما تفرضه المجموعة الدولية من جهة أخرى فانه لابد من مقاربة بين كل هذا و ما تريده التشريعات من نظام الحضانة و كيفية تحقيق المقاصد المرجوة منه كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

المطلب الثاني: أثر عمل الحاضنة على المحضون

من أهم المبادئ التي هي مدار الأمر ما يأتي :

1- الحضانة حقوق ثلاثة : حق الصغير و حق الحاضنة و حق الأب و التوفيق هنا واجب متى أمكن الوصول إليه و لأن مصلحة الصغير هي المقدمة باعتبار أن مدار الحضانة على نفع المحضون و مصلحته كما لا يضار الأب بولده و لا الأم بولدها.

2- أن الغرض من الحضانة هو حفظ المحضون فمتى لم يتحقق ذلك فلا يحكم بها.

3-إذا تعرض المحضون إلى ما يفسد مصلحته و رعايته سقطت الحضانة لان مدار الحضانة على نفع المحضون فمتى تحققت مصلحة الصغير في وجه وجب الأخذ به دون التفات إلى مصلحة طرف آخر لان المحضون أولى من غيره و على هذا معظم التشريعات و منها التشريع الجزائري في المادة 02/65 ق الأسرة الجزائري .

فهل عمل المرأة يشكل سببا من أسباب سقوط الحضانة عنها؟

أشار الدكتور وه بة الزحيلي في معرض الحديث عن شروط الحضانة الواجب توافرها في المرأة إلى شرط القدرة على تربية المحضون حيث يقول "فالمرأة المحترفة أو العاملة إذا كان عملها يمنعها من تربية الصغير و العناية بأمره لا تكون أهلا للحضانة و إن كان عملها لا يحول دون رعاية الصغير و تدبير شؤونه لا يسقط حقها في الحضانة و قد جرى العمل في مصر على أن الطبيبات و المعلمات و نحوهن لا يسقط حقهن في الحضانة لان الواحدة منهن تستطيع إدارة أمر الطفل بنفسها و بالتعاون مع قريباتها أو النائبة عنها" **(11)**.

كما ذكر الدكتور محمد احمد سراج ما يلي:"و لا يعد العمل في ذاته مسقطا للحضانة بل تسقط إذا كان عمل الحاضنة ضارا بالصغير أو يلقي به في بيئة مصاحبة تؤثر عليه سلبا و تثير الشكوك حول سلامة تربيته و المناط في سقوط الحضانة مصلحة الصغير و حمايته من الضياع و صيانته من الإهمال"**(12)**.

أما في التشريع الجزائري فقد جاء في نص المادة 16 من الآمر 02/05 المؤرخ في 27 فبراير 2005 المعدل و المتمم لقانون الأسرة و المعدلة و المتممة للمادة 67 بقولها:تسقط الحضانة باختلال احد الشروط المنصوص عليها في المادة 62 و لا يمكن لعمل المرأة أن يشكل سببا من أسباب سقوط الحق عنها في ممارسة الحضانة.

غير أنه يجب في جميع الحالات مراعاة مصلحة المحضون.

و المقصود من المادة هو إعمال المبدأ العام هنا و هو مصلحة المحضون فمتى استطاعت المرأة احترام مصلحة المحضون لم يكن العمل سببا لفقدها حق الحضانة.

و يشير فضيل سعد إلى"انه تثور مشكلة دور الحضانة هنا بالنسبة لمن تمارس عملا إداريا مثلا ولا تعود إلى المنزل إلا مساء و مع ذلك تتمسك بحق الحضانة لتضع طفلها بين يدي القائمين بتربية أطفال دار الحضانة التي يثور حولها التساؤل أهي مؤهلة آم لا؟

لم يرد بشأن هذا الأمر نص خاص في القانون و إنما عمم الشروط و حصرها في الأهلية التي من بينها التفرغ لتربية الطفل و تعليمه و هي جوانب نصت عليها المادة 62 لتكون بها الحضانة كلا متكاملا ، و عرف القضاء المصري هذه الظاهرة منذ زمن و رفض القول بأهلية الحاضن ة إذا أسندت مهمة الحضانة إلى دور الحضانة لان إسناد الحضانة لمن يخل بالتزامه نحو المحضون يجعل الإخلال بالالتزام طريقا للحصول على الحق.وهي نتيجة غير مقبولة "**(13)**.إلا انه أحيانا تكون دار الحضانة أقدر على تحقيق مقصود الحضانة من الأم إذا كانت الأم لا تتوافر على مستوى ثقافي معين يؤهلها لتنشئة الولد تنشئة صالحة.

خاتمة

تجدر الإشارة في الأخير إلى أن بعض التشريعات تعرف ما يسمى بمشروع الأسر البديلة تحقيقا للتكفل بفئات الأطفال الذين ليس لهم اسر معروفة و الفئات المقصودة هنا هي:

- اللقطاء
- الأطفال غير الشرعيين الذين يتخلى عنهم ذووهم

– الأطفال الضالون الذين لا يمكنهم الإرشاد إلى ذويهم و تعجز السلطات المختصة عن الاستدلال عن محال إقامتهم.

– الأطفال الذين يثبت من البحث الاجتماعي استحالة رعايتهم في أسرهم الأصلية مثل أولاد المسجونين و أولاد نزلاء مستشفيات الإمراض العقلية و الذين لا يوجد من يرعاهم من ذوي قرباهم و يشردون نتيجة انفصال الوالدين.

والناتج هنا هو أن الحضانة واجبة وضرورية في حق الطفل الذي يعيش حياة عادية أما الذي لا يعيش حياة عادية فان الانتباه إلى رعايتهم أولى الأولويات . ويعتبر هذا المشروع أحد الحلول الممكنة للتكفل بهؤلاء

و الهدف من هذا المشروع هو:

– تهيئة البيئة المنزلية و تزويدها بالخبرات اللازمة لمعاونتها على كفالة حياة طبيعية ملائمة للأطفال و متابعة تنشئتهم تنشئة صحيحة.

– وضع و تنفيذ برامج ثقافية لتوعية الأسر البديلة و خاصة في المجالات الصحية و النفسية للطفل.

التهميشات :

1 – معوض عبد التواب–موسوعة الأحوال الشخصية. المعارف – ج2 – ط7.1997.ص1096.

2– محمد احمد سراج – أحكام الأسرة – دار المطبوعات الجامعية.الإسكندرية .1999. ص 174.

3– العربي بلحاج – الوجيز في شرح قانون الأسرة الجزائري – الجزء 1 .د.م.ج – الجزائر–ط2002 .ص381

4 – العربي بلحاج – المرجع نفسه–ص380.

5 – وهبة الزحيلي–الفقه الإسلامي وأدلته – دار الفكر– دمشق – ط4.2004.ص7296

6 – وهبة الزحيلي– المرجع السابق – ص 7308 .

7 – رابح تركي– أصول التربية و التعليم – دم ج – الجزائر – 1982.ص84

8 – السيدة آم جابر– مخاطر انشغال الأم عن تربية الأبناء – مجلة المنار– الإمارات

العربية – العدد1993.7. ص104.

9 – زكية عزيز– حقوق الطفل في أعوامه الأولى– دار النهضة المصرية – القاهرة – 1956 ص 16

10– هنري عزام– المرأة العربية و العمل – مركز دراسات الوحدة العربية – ط– بيروت–1982.ص256

11 – وهبة الزحيلي – المرجع السابق – ص7305.

12 – محمد احمد سراج – المرجع السابق – ص173.

13 – فضيل سعد. شرح قانون الأسرة الجزائري – مؤسسة الكتاب – الجزائر–ج1 – 1986 .ص372.

حوليات جامعة بشار
Annales de l'Université de Bechar
N° 12, 2011, 12 العدد
ISSN : 1112-6604

النظام القانوني لمكافحة التدخين

مصطفاي أسماء

جامعة بشار

. ملخص :

يعتبر التدخين من أكثر المحذرات المشروعة استهلاكا رغم ما يسببه من أضرار صحية تؤدي إلى وفاة الملايين من الأشخاص سنويا ؛ حيث لا تقتصر أثاره الضارة على المدخنين المباشرين فحسب بل تمتد إلى غير المستهلكين المباشرين لهذه المادة ؛ و هو ما يطلق عليه مصطلح التدخين السلبي ؛ و سأبين من خلال هذا المقال الآليات التي وضعها المشرع الفرنسي و المشرع الجزائري لمكافحة هذه الظاهرة .

01 . مقدمة :

إن تدخين التبغ لم يكن معروفا حتى سنة 1492 (1) حينما قام كريستوف كولومبس بإحضار أوراق التبغ من جزائر الباهاما ؛ و شاع إنتشار التبغ في أمريكا و أوربا و جميع أنحاء العالم ؛ و قد عرف التبغ في فرنسا منذ حوالي 1560 ميلادية عن طريق جون نيكوت دو فيلمان ؛ هذا الأخير كان سفير فرنسا في البرتغال و منذ ذلك التاريخ أصبح التدخين تدريجيا يستهوي كل طبقات المجتمع النبيلة منها و الشعبية (2)؛ كما ساهم الإشهار في

(1) Y. martinet A . Bohadana , le tabagisme : de la prévention au servage 3éme édition Masson , 2004 , p 10 .

(2) C. Ferland , tabac et fumée : regards multidisciplinaires , indisciplinés sur le tabagisme xv-xx siècles édition presses de l'universite laval , 2007 p 17 .

توسيع قاعدة مستهلكي التبغ لاسيما المدخنين ؛ حيث بلغ الإشهار ذروته بين سنة 1925 إلى 1970 و أصبح رمزا للعصرنة (3) .

إلا أنه أصبح التدخين السلبي منذ 1970 حجة المناهضين للتدخين و هذا لظهور عدة دراسات علمية حول مخاطر التدخين السلبي ؛ و مع بداية القرن الواحد و العشرين بدأ التدخين يشكل رمزا للجهل و تم إدراجه ضمن les drogues récréatives و في سنة 1971 و بمناسبة الدورة الرابعة و العشرون لمنظمة الصحة العالمية أطلقت هذه المنظمة برنامجا واسعا لمكافحة التدخين و قامت مديرة هذه المنظمة سنة 1999 بجعل مكافحة التدخين هدفا هاما

لهذه المنظمة وهذا نتج عن هذا المصادقة على اتفاقية الإطار لمكافحة التبغ سنة 2003 ؛ و انضمت إليها العديد من الدول و أصبح لزاما عليها تعيين منظمات تشريعية لمكافحة التدخين فما مدى نجاعة القواعد المطبقة في مجال مكافحة التدخين سواء على المستوى القانون الفرنسي الجزائري؟ و ما هي المسؤولية المترتبة عن الإخلال بهذه القواعد ؟ و هذا ما سنتعرض له من خلال

. المبحث الأول : منع التدخين في الأماكن العامة و وسائل النقل الجماعية .

. المطلب الأول : منع التدخين في الأماكن العامة و وسائل النقل الجماعية في القانون الفرنسي .

. المطلب الثاني : منع التدخين في الأماكن العامة و وسائل النقل الجماعية في القانون الجزائري .

. المبحث الثاني : تنظيم الإشهار المتعلق بالتبغ و منتجاته .

. المطلب الأول : تنظيم الإشهار المتعلق بالتبغ و منتجاته في القانون الفرنسي .

. المطلب الثاني : تنظيم الإشهار المتعلق بالتبغ و منتجاته في القانون الجزائري .

. المبحث الثالث : تنظيم المتاجرة في التبغ و منتجاته في التشريع الجزائري .

. المطلب الأول : تعريف الشركة الوطنية للتبغ و الكبريت .

. المطلب الثاني : الالتزام بالإعلام و واجب التحذير للمدخنين .

. المطلب الثالث : تنظيم صناعة و تصدير و إستراد التبغ .

(3) E . godeau , le tabac en Fiance de 1940 à nos jours , histoire d'un marché édition pups 2008 p 9 .

. المبحث الأول : منع التدخين في الأماكن العامة و وسائل النقل الجماعية .

إن الهدف من منع التدخين ليس حماية المدخن من استعماله الشخصي المفرط للتدخين فحسب بل توفير حد أدنى من الحماية لغير المدخنين .

. المطلب الأول : منع التدخين في الأماكن العامة و وسائل النقل الجماعية في القانون الفرنسي .

. البند الأول : منع التدخين في الأماكن العامة .

لقد نصت المادة : 7/3511 من قانون الصحة العمومية الفرنسي على مبدأ عام للمنع من التدخين في المحلات المعدة للإستعمال الجماعي و كذلك وسائل النقل الجماعية بإستثناء الأماكن المعدة للتدخين (1)و هو ما تبناه قانون فاي الذي حدد مجال المنع من التدخين في الأماكن التي يشكل فيها التدخين خطر على الصحة (2) .(2)

كما حدد مرسوم 29 ماس 1992 مجال المنع من التدخين بنصه في المادة الأولى على أنه " يمنع التدخين في كل الأماكن المغلقة و المغطاة التي تستقبل الجمهور و تشكل أماكن عملهم " و من هنا يتبين أن هذه المادة قد استثنت الأماكن غير المغلقة مثل الشوارع ؛ الساحات ؛ الأسواق المفتوحة أو غير المغطاة ؛ الشواطئ .

كما نص هذا المرسوم على أن المنع يشمل أماكن العمل و وسائل النقل الجماعية ؛ أما بالنسبة للمدارس و الثانويات فيمنع التدخين حتى في الأماكن غير المغلقة التي يرتادها التلاميذ في فترة الاستراحة (1)و هذا لتعزيز حماية الأجيال المستقبلية .

و رغم التشديد من هذا المنع إلا أنه غير مطلق ؛ حيث نص هذا المرسوم في مادته الثانية على أنه " المنع من التدخين لا ينطبق في الأماكن المعدة للتدخين " و يستخلص من هذا النص على أنه في حالة عدم توافر فضاءات خاصة بالمدخنين فإن المكان يعتبر ممنوع فيه التدخين و هذا ما أكده مجلس الدولة الفرنسي في القرار الصادر في جوان 2009 (2)؛ كما حدد هذا المرسوم المعايير الصحية التي يجب أن تتوافر في الأماكن المعدة

---

(1) F. caballero Y. bision droit de la drogue 2éme édition Dalloz 2000 p 32

(2) j . simon cayla , limitations légitimes de liberté de fumer revue de droit sanitaire et social 1994 p 30 .

(1) jo, 30 mai , p 7253

(2) ce 1er et 6éme sous sections réunies – 10 juin 2009 n 3/8068 recueil dalloz 2007 .

للتدخين ؛ حيث يجب أن يكون مقدار التهوية لكل مدخن محدد بـ 7 لتر في الثانية و حجم المكان يجب أن يكون 7 متر مكعب و يجب أن يكون مفتوح على الخارج ؛ كما نص على ضرورة وضع إشارة تذكر بمنع التدخين و تبين الأماكن المخصصة للمدخنين ؛ أما فيما يتعلق بالمرسوم الصادر في 16 نوفمبر 2006 (3)فزيادة لإشتراطه على ضرورة توافر مكان مغلوق أوتوماتيكيا بدون إمكانية فتحه ؛ و أن لا يشكل مكانا للعبور ؛ كما يجب أن تكون المساحة المخصصة للمدخنين تساوي أو تزيد عن 20 % من المساحة الإجمالية و هذه الأخيرة يجب أن لا تتجاوز 35م2 و يجب على المستخدم أن يقوم بصيانة دورية لأجهزة التهوية .

كما حدد قانون فاي و مرسوم 12 ديسمبر 1977 (4)أماكن أخرى يمنع فيها التدخين كالمؤسسات التعليمية و الترفيهية ؛ و كذلك المؤسسات التي تصنع المواد الغذائية و القاعات التي تحتضن المباريات الرياضية و الثقافية ؛ و البنايات العمومية (البلديات ؛ مكاتب البريد ؛ الإدارات) و أماكن العمل ذلك لأنه يوجد أكثر من مليون عامل معرضين للتدخين السلبي أثناء تواجدهم في أماكن العمل بحكم أنهم يقضون أكثر من 75 % من أوقاتهم في العمل ؛ لذلك طرحت محكمة النقض الفرنسية مبدأ لحماية العمال من التدخين السلبي من طرف المستخدم ؛ حيث يقع عليه التزام بسلامة العمال و هو التزام بتحقيق نتيجة (1)و في نفس التوجه قررت الغرفة الاجتماعية لمحكمة النقض الفرنسية بأن المستخدم مطالب بالسعي بعد التشاور مع طبيب العمل و لجنة الوقاية و الأمن و شروط العمل و في حالة غيابها تتشاور مع ممثلي العمال إلى صياغة خطة تنظيم و تهيئة أماكن مخصصة لغير المدخنين و عدم الاكتفاء بدعوة العمال لعدم التدخين في حضور عمال غير مدخنين (2)وفي نفس السياق صدر قرار من محكمة النقض الفرنسية في قضية مشابهة عندما اعتبرت أن المستخدم قد أخل بواجب السلامة و تحقيق نتيجة الذي فرضته أحكام قانون العمل و قانون الصحة العمومية لحماية العمال من التدخين السلبي و هذا لعدم مراعاته للتشريع الخاص بمكافحة التدخين و هذا بتعريضه و بشكل دائم لأحد عماله للتدخين السلبي ؛ حيث

(3) le décret n 2006 – 1386 fixant les conditions d'application de l'interdiction de fumer dans les lieux affectés à un usage collectif et public .

(4) jo 17 septembre p 4609 .

(1) Alexis Bugada : protection contre le tabagisme dans les entreprises consécration d'une obligation parentale sécurité de résultat recueil Dalloz 2005 p 2565 .

(2) cass-social – arrét n 1698 19 juin 2005 .

إعترف هذا القرار بأحقية العامل في تعويض قدره 2500 أورو (3)و طالما أن مكافحة التدخين أصبحت اليوم تشكل هدفا لحماية الصحة العمومية ؛ فقد قضت محكمة النقض الفرنسية بأن التدخين في أماكن العمل يشكل خطأ جسيم يستوجب الطرد(4).

كما اعتبرت المحكمة الأوربية لحقوق الإنسان أن تعرض سجين للتدخين السلبي يعتبر معاملة مهينة في قرارها الصادر بتاريخ : 14 سبتمبر 2010 ؛ حيث فتحت آفاق جديدة في حماية الأشخاص الموقوفين لأنها في هذا القرار طرحت إشكالية هامة متعلقة بالتدخين السلبي في المؤسسات العقابية ؛ حيث تتعلق هذه القضية بمواطن من رومانيا حكم عليه بأربعة سنوات و نصف حبس في أكتوبر 2002 واستفاد من الإفراج المشروط في فبراير 2005 ؛ قبل دخوله السجن كان يعاني من التهاب مزمن في الكبد و ارتفاع ضغط الدم ؛ و أدت ظروف حبسه إلى تدهور حالته الصحية ؛ حيث كان هناك اكتظاظ في القاعة التي كان مسجونا فيها (110 إلى 120 شخص في غرفة 55 م^2) تدفئة غير كافية ؛ عدد الأسرة محدود ؛ وجود عدد كبير من المدخنين في القاعة .و تم إدخاله المستشفى ثلاثة مرات إلا أن صحته لم تعرف تحسنا و حتى ظروف تواجده في المستشفى لم تؤدي إلى تحسين وضعيته الصحية ؛ فهناك أيضا تأثر بالتدخين السلبي لوجود مدخنين معه في الغرفة ؛ كما أكدت الخبرة الطبية أن الأمراض التي كان يعاني منها قبل دخوله السجن ازدادت خطورة ؛ قام هذا الأخير برفع دعوى أمام محكمة رومانيا سنة 2004 يدعي أمامها بأنه ما آلت إليه حالته الصحية ناتجة عن سوء الظروف داخل المؤسسة العقابية إلا أنه لم يتحصل على أي تعويض فلجأ إلى رفع دعوى إلى المحكمة الأوربية لحقوق الإنسان و قد جعل من التدخين السلبي الذي تعرض لإضرار من السجناء الآخرين وجها من الأوجه الأساسية لدفاعه و قد اعترفت له بالحق في التعويض بناء على المادة الثالثة من الاتفاقية الأوربية لحقوق الإنسان (1)

---

(3)) cass-social – arrét n 65103 du 10 octobre 2010 .

(4) B. ines tabagisme et faute grave du salarie – Dalloz actualité 10 juillet 2008 p 2427 .

(1) Philippe mouron , l'exposition détenu au tabagisme passif , revue de droit sanitaire et social 2011 p 86 .

. البند الثاني : منع التدخين في وسائل النقل الجماعية .

إن قوة الاكتظاظ بين المدخنين و غير المدخنين في فضاء ضيق يجعل مشكلة التدخين السلبي أكثر تأثير على غير المدخنين (2)لهذا فإن المرسوم الصادر في 12 ديسمبر 1977 منع التدخين فيالنقل البري (المادة 7) و النقل عبر السكك الحديدية (المادة 10) و النقل البحري (المادة 12) و النقل الجوي (المادة 11) و النقل عبر المصاعد و التليفريك (المادتان 8 و 9) (3)؛ كما نظم مرسوم 1992 بعض (3)الأحكام المتعلقة بالمنع من التدخين في القطارات (المادة 10) و الطائرات (المادة 11) و البواخر (المادة 12) و محطات السكك الحديدية و القطارات (المادة 10) ؛ أما قانون فاي فد ميز بين مختلف القطارات ؛ حيث يفرق بين النقل لمدينة ليل lile بفرنسا ؛ أين نجد المنع المطلق من التدخين و غيرها من القطارات التي تتضمن أماكن جلوس تخصص فيها 30 % للمدخنين ؛ و فيما يتعلق بالقطارات فائقة السرعة (TGV) فإن الأماكن المخصصة لغير المدخنين تكون في قاطرات منفصلة ؛ زيادتا على هذا فإن المنع من التدخين لا ينطبق في الأروقة ؛ أما فيما يخص القطارات الدولية فإن الإتحاد الدولي للسكك الحديدية يوصي بإلزامية احترام تخصيص أماكن للمدخنين في حدود الثلث و هي نسبة متوافقة مع احتياجات هذا الصنف من المستعملين

و في هذا السياق أقرت محكمة النقض الفرنسية بمناسبة قضية رفعها مسافر بأن الشركة السكك الحديدية ملزمة بفرض إحترام هذا المنع تحت طائلة العقوبات و إقامة مسؤوليتها المدنية على أساس الخطأ ؛ غير أنه في حالة يام المراقب بتحرير محضر مخالفة لا يعتبر هذه الشركة إرتكبت خطأ ؛ إلا أن هذا المنع لا يطبق في قاعة الإنتظار و هو ما ذهب إليه مرسوم 1992 الذي ينص على وجوب وضع قاعات إنتظار تحت تصرف المدخنين .

(2) D. isabelle , le droit à réparation des victimes directes du tabagisme recueil Dalloz 1998 p 167

(3) F. caballero – Y . bisiou , op – cit p 180 .

فيما يتعلق بالنقل الجوي ؛ هناك تنظيمات قيدت حق التدخين كمرسوم 1977 الذي منع جزئيا التدخين في الطائرات التجارية الفرنسية ؛ ذلك لأنه لا يمكن تخصيص مساحة للمدخنين بشرط أن لا تتجاوز نصف الأماكن المتاحة لكل درجة ؛ إلا أن مرسوم 1992 كان أكثر صرامة حينما نص على المنع المطلق من التدخين في الرحلات الداخلية التي تدوم أكثر من ساعتان(1).

أما فيما يخص النقل البحري ؛ فإن مرسوم 12 ديسمبر 1977 أوجب على كل الشركات الفرنسية التي تستغل البواخر التجارية لتخصيص نصف حجرها الجماعية على الأقل من كل درجة لغير المدخنين ؛ أما بالنسبة للمساحات الأخرى للبواخر ذات الإستعمال الجماعي كقاعات الألعاب ؛ المطاعم ؛ المقاهي ؛ الملاهي الليلية فإنها تخضع إلى قاعدة التقسيم بالمناصفة على الأقل بين المدخنين و غير المدخنين كما نصت المادة 12 من مرسوم 1992 على أنه ينبغي على متن الناقلات التجارية البحرية و وسائل النقل الأخرى عبر المياه التي تستقبل الجمهور أن تهيء أمكنة خاصة بالمدخنين في حدود 30 % من مجموع المساحة المستعملة للترفيه و الراحة و يكون بهذا المقتضى اذن ممنوع التدخين في 70 % على الأقل من الفضاءات المتاحة في البواخر .

و تجدر الإشارة أنه منذ صدور قانون فاي المتعلق بمكافحة التدخين إلى صدور قانون افين عام 1991 المتعلق بمكافحة التدخين والكحول فإن الأماكن المخصصة لغير المدخنين قد إزدادت من النصف إلى الثلثين و هو تقدم لا يستهان به في مكافحة التدخين(2).

. البند الثالث : الجزاء مخالفة المنع من التدخين .

إن جزاء مخالفة المنع من التدخين يستهدف من جهة مستغلي المحلات العمومية و وسائل النقل الجماعية التي لا تحترم بعض الإلتزامات المفروضة عليها و من جهة أخرى المدخنين الذين يخرقون المنع من التدخين في الأماكن العامة(3).

أولا : الجزاء المتعلق بمستغلي المحلات و وسائل النقل العمومية :

---

(1)l . derepas , l'interdiction de fumer dans les lieux affecté à un usage collectif R F D A 2007 édition Dalloz 2011 p 157 .

(2) Egodeau O P . C I T P 153 .

(3) F. caballero , Y . Bisiou O P . C I T P 181

يعاقب مرسوم 1992 مستغلي المحلات و وسائل النقل العمومية بغرامة قدرها 10000 فرنك و هي مخالفة من الدرجة الخامسة في حالة عدم احترام الالتزامات المنصوص عليها في المادة 14 من هذا المرسوم و المتمثلة في:

. تخصيص مواقع للمدخنين لا تتطابق على الأحكام القانونية .

. عدم احترام المعايير المتعلقة بالتهوية و المساحة المخصصة لكل مدخن .

. عدم احترام وضع الإشارات المنصوص عليها قانونا .

ثانيا : الجزاء المتعلق بالمدخنين :

لقد اعتبر مرسوم 12 ديسمبر 1977 خرق المنع من التدخين في القاعات العامة مخالفة من الدرجة الأولى و عاقب عليها بغرامة تتراوح ما بين 40 إلى 80 فرنك ؛ و تعتبر عقوبة رمزية بالنظر إلى جسامة الفعل ؛ أما قانون العقوبات فكان أكثر صرامة حينما اعتبرها مخالفة من الدرجة الثالثة و عاقب عليها بغرامة حدها الأدنى 3000 فرنك(1).

. المطلب الثاني : منع التدخين في الأماكن العامة و وسائل النقل الجماعية في القانون الجزائري .

نصت المادة 63 من قانون 85/05 المتعلق بحماية الصحة و ترقيتها (2)على أنه يمنع تعاطي التبغ في الأماكن العامة و تحدد قائمة الأماكن و كيفيات تطبيق هذه المادة عن طريق التنظيم .

و لقد تم تحديد الأماكن التي يمنع فيها تعاطي التبغ بموجب المرسوم التنفيذي رم : 285/01 المؤرخ في 14 سبتمبر 2001 ؛ حيث تتمثل الأماكن العمومية التي يمنع فيها التدخين في المؤسسات المدرسية ؛ و مؤسسة التعليم التحضيري و التعليم المهني و الأماكن المستخدمة لإستقبال القصر و إيواءهم (3)

---

(1) F. caballero , Y . Bisiou O P . C I T P 181

(2) قانون 05/58 المؤرخ في 16 فبراير 1985 يتعلق بحماية الصحة و ترقيتها .

(3) المادة 3 من المرسوم التنفيذي المؤرخ في 24 سبتمبر 2001 يحدد الأماكن العمومية التي يمنع فيها تعاطي التبغ و كيفيات تطبيق هذا المنع

الجريدة الرسمية العدد 55 .

(4) المادة 5 من المرسوم التنفيذي 285/01 .

(5) المادة 5 من المرسوم التنفيذي 285/01 .

و مؤسسات التكوين و التعليم و مؤسسات الصحة ؛ و القاعات التي تقام فيها التظاهرات الرياضية و الثقافية و العلمية و الترفيهية و كل الأماكن المغلقة و المغطاة و غير المغطاة التي يرتادها التلاميذ و الطلبة ؛ و تجدر الإشارة إلى أن هذه الأماكن تخضع للمنع المطلق من التدخين حيث لا تخصص فيها أماكن للمدخنين (4)زيادة على هذا هناك أماكن عمومية يمنع فيها التدخين و هي أماكن العمل المخصصة للعمال و تتمثل في (محلات الإستقبال و الإطعام الجماعي ؛ و قاعات الإجتماعات و كذا المحلات الصحية و الطبية ؛ النقل العمومي البري و بالسكك الحديدية و البحري و الجوي ؛ المحلات التجارية التي تستهلك فيها المواد الغذائية ؛ قاعات الإنتظار و تخصص فيها أماكن للتدخين(5).

و على غرار التشريع الفرنسي ؛ فإن هذا المرسوم لم يقتصر على غير المدخنين فحس بل وسع من مجال هذه الحماية لتشمل حتى المدخنين و من خلال وضعه لمعايير صحية التي يجب أن تتوافر في المحلات التي تخصص فيها مواضع تحت تصرف المدخنين من حيث التهوية و المساحة .

حيث يجب أن تتوافر هذه الأماكن على تهوية دنيا بسبعة لترات في الثانية للشخص الواحد بالنسبة للمحلات التي تتم فيها التهوية بصفة ميكانيكية أو طبيعية عن طريق الناقل أو سبعة أمتار مكعبة للشخص الواحد بالنسبة للمحلات التي تتم فيها التهوية عبر منافذ خارجية (1)

مع وضع إشارات ظاهرة تذكر بالمنع من التدخين في الأماكن التي تخضع للمنع من تعاطي التبغ و تبين عند الإقتضاء المواضع التي جعلت تحت تصرف المدخنين(2).

و تجدر الملاحظة على أنه رغم وضوح هذا المرسوم المحدد للأماكن العمومية التي يمنع فيها التدخين إلا أنه تنعدم الصرامة في تطبيقه و دليل على ذلك إنتشار التدخين على مستوى مختلف الأماكن العمومية دون أي رادع.

---

(1) المادة 5 من المرسوم التنفيذي 285/01 الجريدة الرسمية العدد 55 .

(2) المادة 6 من المرسوم التنفيذي 285/01

إلى جانب كل هذا فإن الجزائر لم تلتزم ببنود الإتفاقية الإطارية لمكافحة التدخين التي صادقت عليها سنة 2006 (3)ففي الوقت الذي إحترمت 194 دولة في العالم بنود ذات الإتفاقية فإن الجزائر تجاهلتها .

و هذا ما أدى إلى تسجيل آلاف الوفيات سنويا بسبب مضاعفات التدخين و يبقى الحل ضرورة وضع قوانين صارمة و ذلك بسن عقوبات مالية باهظة لكل من يدخن في الأماكن العمومية و يضر بصحة الغير .

. البند الثاني : جزاء مخالفة المنع من التدخين في القانون الجزائري

على خلاف التشريع الفرنسي لم ينص المرسوم التنفيذي 01 . 285 على عقوبات جزائية و إكتفى فقط بالنص في الفصل الثالث منه على عقوبات إدارية و تأديبية ؛ و هذا ما يبرر إنعدام الصرامة في تطبيق هذا المرسوم و إنتشار التدخين في مختلف الأماكن العمومية التي من المفروض أن تخضع للمنع من التدخين .

حيث تتمثل العقوبات الإدارية ضد الهيئات و المؤسسات المخالفة لهذا المرسوم في الإنذار أو السجن المؤقت لرخصة الممارسة لمدة 15 يوما (1)؛ أما العقوبة التأديبية التي يتعرض لها المستخدمون الذين يخالفون أحكام هذا المرسوم فتتراوح بين الإنذار و الإيقاف عن العمل من يوم إلى 03 أيام(2).

كما تجدر الملاحظة أن هذا المرسوم لم يتضمن أي جزاء يتعلق بالمدخنين الذين يدخنون في الأماكن العامة التي تخضع للمنع من التدخين و هو فراغ قانوني نأمل من المشرع أن يتداركه في أقرب وقت لتعزيز حماية غير المدخنين و حماية الصحة العامة .

. المبحث الثاني : تنظيم الإشهار المتعلق بالتبغ و منتجاته

مما لاشك فيه أن للإعلان دور كبير في تنمية الأنشطة التجارية ؛ بإعتباره وسيلة فعالة في ترويج السلع و زيادة إقبال المستهلكين عليها (3)و بما أن التبغ يعتبر من المنتوجات الخطيرة التي تلحق ضرر بالصحة فإن

---

(3) بموجب المرسوم الرئاسي رقم 06 . 120 المؤرخ في 12 صفر 1427 الموافق لـ 12 مارس 2006 الجريدة الرسمية .

(1) أنظر المادة 8 من المرسوم التنفيذي 285/01 .

(2) أنظر المادة 9 من المرسوم التنفيذي 285/01 .

(3) أحمد محمد المصري ؛ الإعلان ؛ مؤسسة الشباب جامعة الإسكندرية طبعة 2006 ص 23 .

الإعلان على هذا النوع من المنتجات يخضع إلى قواعد محكمة ؛ و يرجع هذا إلى حكم إتصالها بالصحة العامة التي تستلزم قدرا كبيرا من الحيطة و الحذر(4).

بالرجوع إلى قانون فاي المتعلق بمكافحة التدخين نجد أنه قد منع الإشهار المباشر و غير المباشر للتبغ و منتجاته ؛ كما نص على منع الرعاية الرياضية و الثقافية بالنسبة للإشهار المباشر؛ بالنسبة للإشهار المباشر قد تضمنته المادتان 02 و 07 حيث نصت المادة 02 على منع الرعاية و الإشهار للتبغ و منتجاته في الحصص الإذاعية و التلفزيونية ؛ و الإعلان في الأماكن العمومية و قاعات العرض ؛ و الملصقات و كذلك الأماكن العامة الأخرى أو المفتوحة للجمهور ؛ و تعتبر الرعاية و الإعلان في هذه الوسائل ممنوعة منعا باتا (5)و مع هذا التجديد الذي جاء به قانون فاي فإن ظهور العلامة التجارية للتبغ بهدف ترويج المبيعات في التلفاز و السينما أو عن طريق الملصقات أو الصحافة الخاصة بالشباب يعتبر محظورا ؛ غير أن هذا المنع كثير ما يتم التحايل عليه بشتى الطرق فبالنسبة للتلفاز فإن ظهور العلامة التجارية للسجائر كانت متعددة لاسيما عند بث المسابقات الرياضية المختلفة (كرة القدم ؛ التزحلق على الثلج) .

كما نص على الإشهار غير المباشر في المادة الثالثة كإنتاج ولاعات أو عود قاب في شكل علبة سجائر ؛ و يهدف هذا المنع إلى الحيلولة دون التحايل على منع كل إشهار لمنتوج التبغ عن طريق الملابس ؛ الساعات ؛ الأحذية و التي كثيرا ما لجأ إليها المصنعون رغم كثرة الإدانات القضائية التي تسلط عليهم ؛ كما نص على منع كل توزيع للهدايا بدافع الإشهار عن طريق عرض أو تسليم أو التوزيع المجاني للهدايا التي تحمل إسم أو علامة تجارية أو شعار إشهاري لمنتجات أو منتج التبغ ومن أمثلة الهدايا الترويجية كالحقائب و القمصان و القبعات(1).

أما فيما يتعلق بالرعاية فقد منع هذا القانون بموجب المادة 10 منتجي التبغ و المصنعين و التجار من رعاية التظاهرات الرياضية كما منعت ظهور إسم أو علامة تجارية أو إشهارية لمنتجات التبغ في التظاهرات

---

(4) محمد بودالي ؛ حماية المستهلك في القانون المقارن (دراسة مقارنة مع القانون الفرنسي) دراسة معمقة في القانون الجزائري دار الكتاب الحديث طبعة 2006 ص 199 .

(5) J . Simon , la lutte contre le tabagisme , revue de droit sanitaire et social édition Dalloz1996 .

(1) J . simon cayla , la publicité indirect en faveur du tabac , revue de droit sanitaire et social édition Dalloz 2011 p 541 .

الرياضية ؛ إلا أنه أورد على هذا المنع إستثنائين ؛ الإستثناء الأول يتعلق بالصحافة المكتوبة الخاصة بالبالغين و الثاني يتعلق بالرياضات الميكانيكية .

أولا : الإستثناء الخاص بالصحافة المكتوبة :

إن هذا الإستثناء لم يكن مطلقا بل كان مقيد كما و مضمونا ؛ حيث أنه كان هناك تليص المساحات الإعلامية الخاصة بمنتجات التبغ و لقد حدد المرسوم الصادر في أول مارس 1978 المساحة التي يمكن إستعمالها للإشهار بالنسبة للصحف اليومية و المجلات الأسبوعية و الشهرية و في حالة تجاوز المساحة المسموح بها في هذه النشريات الثلاث فإنه يتم معاينة المخالفات بموجب قرار مشترك بين وزير العدل و وزير الصحة و يعرض المخالف للعقاب ؛ رغم هذا إلا أنه كانت هناك عدة إنتهاكات لهذا القرار ؛ حيث تنامت الميزانيات الإشهارية لمصنعي التبغ في الصحافة بنسب معتبرة و بلغت نسبة تجاوز المساحات المسموح بها 30 % سنويا دون أن يكون أي تدخل من الإدارات المعنية .

أما فيما يتعلق بمضمون الرسالة الإعلانية فقد تم إخضاعها لقيود مهمة ؛ حيث نصت المادة الثامنة على المعلومات الأولية التي يجب أن يتضمنها الإعلان كإسم المنتوج و إسم المنتج و العلامة التجارية و التعليب ... إلخ .

ثانيا : الإستثناء الخاص برعاية الرياضات الميكانيكية :

إن رعاية التظاهرات الخاصة بالرياضة الميكانيكية تخضع من جانبها لمجموعة من القيود ؛ حيث يتم تحديد قائمة التظاهرات التي تستفيد من هذا الإستثناء بموجب قرار وزاري ؛ حيث نص عليها القرار الصادر في 09 مارس 1979 و قد نصت بعض مسابقات السيارات و الدراجات النارية و تدخل ضمنها بطولة فورميلاوان F1 و البطولة الفرنسية للرالي (2)و في 06 ديسمبر 1986 بموجب قرار بارزاكا تم توسيع هذه القائمة لتشمل سباق باريس داكار حيث كان يهدف هذا القرار إلى حماية منظمي الرالي من دعاوي جمعيات مكافحة التدخين .

البند الثاني: تنظيم الإشهار في قانون أفين la loi Evin

(2) C. marcala interdiction de la publicité en faveur du tabac l'exception de diffusion d'images de compétition de sports mécaniques à l'étranger ne s'entent pas à la rediffusion revue de science criminelle 2009 édition Dalloz 2011 p 384 .

لقد حقق قانون إفين تقدما لا يستهان به في مكافحة التدخين لأنه على خلاف قانون فاي الذي سمح بالإشهار المباشر لصالح الصحافة المكتوبة مع إخضاعها لبعض الشروط(29) فإن قانون أفين الذي أدمجت نصوصه في قانون الصحة العامة طرح مبدأ عاما لمنع كل ترويج أو إشهار مباشر أو غير مباشر لفائدة التبغ أو منتجاته كما منع كل توزيع مجاني لها باستثناء اللافتات المتعلقة بمحلات التبغ ح داخل المؤسسات والمنشورات الموجهة إلى محترفي التبغ.

ولقد تم توسيع نطاق هذا المنع ليشمل الصحافة المكتوبة والتلفيزيون والسينما والملصقات والراديو وكل وسائل الإعلام الأخرى.

إضافة إلى هذا فقد منع أي عملية من عمليات الرعاية الرياضية والثقافية والتي يكون هدفها أو من نتيجتها الترويج أو الإعلان المباشر أو غير المباشر للتبغ أو منتجاته، كما منع رعاية الأحداث الرياضية التي تحدث في فرنسا والأحداث التليفزيونية التي تبث من خارج فرنسا حيث تلزم المحطات التلفزيونية باتخاذ تدابير لمنع ظهور الإعلانات خاصة بالتبغ.

كما منع الإشهار غير المباشر(30) عن طريق حضره للحملات الإعلانية التي يقومون بها عبر مختلف وسائل الإعلام الصحافة، التلفيزيون، سينما، الملصقات، أو مختلف المنتوجات (الألبسة ،الساعات، الأحذية، الأمتعة) أو الخدمات (وكالات السفر، السياحة، خدمات الاتصالات عن بعد).

رغم أن معظم هذه الوسائل الإشهارية كانت منصوص عليها في قانون فاي باستثناء الصحافة المكتوبة والرعاية الرياضية إلا أن هذا المنع الذي جاء به قانون افين لقي معارضة من طرف البعض.

وتم الطعن فيه أمام المجلس الدستوري بحجة انه يشكل تهديد للحرية المحمية من طرف الدستور(31) وقد رفض المجلس الدستوري هذا الطعن بموجب قرار الصادر في 8 جانفي 1991 الذي أقر بأن هذا القانون لم يمنع لا إنتاج ولا توزيع و لا بيع المنتجات التبغ أما منع الإشهار و الدعاية فيجد مبرره في حماية الصحة العمومية التي تكتسي قيمة دستورية .

---

[29] N. le professeur Hazan, la publicité en faveur du tabac en France et en Europe, http:// dea-dtcom.u paris2/Fr/cours hazan. 24/2/2011 14 :15

[30] Art n35/4 du code de la santé public

[31] P. Tedeschi la lutte contre tabagisme et l'alcoolisme recueil Dalloz 1992 p 197

المطلب الثاني : تنظيم الإشهار حول التبغ في القانون الجزائري

على خلاف التشريع الفرنسي نجد أن المشرع الجزائري رغم تنظيمه لنشاطات منع التبغ وتوزيعه وشروط استرداده إضافة إلى تحديد الأماكن التي يمنع فيها تعاطي التبغ(1) لم يبدي اهتماما كبيرا بتنظيم الإعلان أو الإشهار الخاص بالتبغ ومنتجاته حيث اكتفى بالنص في قانون 85-05 المتعلق بحماية الصحة وترقيتها على منع الإشهار لأنواع التبغ والكحول(2) دون أن يبين الجزاء المترتب على مخالفة هذا المنع.

كما نص في مرسوم التنفيذي 101/91 على القواعد المطبقة على الإشهار التلفزيوني وألزم على أن تكون الرسائل الإعلانية خالية من التحريض على السلوك الضار بصحة وسلامة الأشخاص كما منع الرسائل الإعلانية الخاصة ببعض المنتجات أو الخدمات كما هو الحال بالنسبة للمشروبات الكحولية والتبغ بغرض حماية الصحة العامة.(3) كما نص على وجوب عدم رعاية الحصص التلفزيونية من قبل المؤسسات التي يتمثل نشاطها الرئيسي في إنتاج وبيع المنتجات الكحولية ومنتجات التبغ والأدوية التي لا يمكن الحصول عليها إلا بناء على وصفة طبية أو العلاج الطبي، الطاعات الطبية وجراحة الأسنان أو الأحزاب السياسية والمنظمات النقابية المهنية والدينية.

جزاء مخالفة التنظيمات المتعلقة بالإشهار في القانون الجزائري

رغم نص المشرع الجزائري على منع الإشهار في قانون حماية الصحة وترقيتها ورغم انضمام الجزائر للاتفاقية الإطارية لمكافحة التبغ في 2006 إلا انه لا يوجد أي نص قانوني ينص على جزاء مخالفة المنع من الإشهار للتبغ و منتجاته وهذا فراغ قانوني ينبغي على المشرع تداركه.

البند الثالث: جزاء مخالفة التنظيمات الخاصة بالإشهار والرعاية

أولا في قانون فاي

كل شخص يخرق الأحكام المتعلقة بالإشهار والرعاية يعاقب بغرامة من 30000 إلى 300000 فرنك وفي حالة العود ترفع العقوبة إلى الضعف .

---

1 محمد بودالي- مرجع سابق ص204

2 . المادة 65 من قانون 85-05 المؤرخ في 16فيبراير 1985 والمتعلق بحملة الصحة وترقيتها

3 . محمد بودالي- مرجع سابق- ص205

كما يجوز للمحكمة أن تمنع لمدة تتراوح من سنة إلى خمس سنوات ببيع منتجات التبغ التي تم الإعلان عنها.

أما بالنسبة للإعلانات غير المشروعة التي تتم عن طريق الحصص الإذاعية والتلفزيونية والتسجيلات فان المتابعات تمارس ضد الأشخاص المسؤلين عن هذه الحصص والمتمثلون في رؤساء ومسيرو المؤسسات التي تبث هذه الحصص التلفزيونية والإذاعية خارج فرنسا وتم استقبالها في فرنسا.

أما إذا كانت الجرائم المتعلقة بالإشهار غير الشرعي تم ارتكابها عن طريق الصحافة فإن المتابعات تمارس ضد الأشخاص المحددين في المادة 185 من قانون العقوبات وبنفس الشروط المنصوص عليها في هذه المادة بمعنى يعتبر كفاعلين أصليين في هذه الجريمة مدير النشر والناشرون والموزعون والطابعون والمصدرون المستوردون والناقلون الذين شاركوا في هذه الجنحة (1)

ثانيا في قانون افين فقد أدمجت أحكامه ضمن قانون الصحة و قد نصت المادة 3511 من قانون الصحة العمومية على عقوبة تتمثل في غرامة قدرها 200.000 أورو في حالة الدعاية والإشهار المحظورين فإن الحد الأقصى للغرامة ممكن أن يتجاوز نسبة 50% من مبلغ المصاريف المكرسة لهذا الإشهار غير المشروع وفي حالة العود يجوز للمحكمة أن تمنع لمدة تتراوح من سنة إلى 5 سنوات بيع منتجات التبغ (2)التي كانت محل الإشهار غير المشروع وإلى جانب هذا فإن قانون افين ينص على إمكانية رفع دعوى مدنية من طرف جمعيات مكافحة التدخين في مدة 5سنوات على الأقل من يوم ارتكاب الوقائع (3) و في نفس الاتجاه أدانت المحكمة الأوربية لحقوق الإنسان في قرارين صادرين في 5 مارس 2009 التي رفضت بموجبها دعوى مجلتين Action Auto و moto et entrevue هاتين المجلتين تم إدانتهما في فرسا بتهمة الإشهار غير المشروع لمنتجات التبغ بعد نشرها لصور سائق F1 و هو يرتدي ملابس تحمل العلامة التجارية للتبغ فضلا عن هذا فإن مجلة Entrevue تمت

(1) E –Godeau, op. cit. p423

(2) D· Roets , le besoin social impérieux de lutter contre le tabagisme : un but très légitime justifiant une ingérence dans le droit à la liberté d'expression revue de science criminelle 2009p668

(3) محمد بودالي . مرجع سابق . ص 224

معاقبتها لنشرها صور ساخرة تحرف البيانات المدونة على علب السجائر وقد بررت محكمة العدل الأوربية في رفضها للدعويين السابقتين بالرغبة في حماية الصحة العمومية و صورة مكافحة التدخين

المبحث الثالث : تنظيم المتاجرة في التبغ

المطلب الأول: تعريف الشركة الوطنية للتبغ والكبريت

تعتبر الشركة الوطنية للتبغ والكبريت من بين أكبر الشركات الجزائرية، فهي تتضمن تغطية شاملة للسوق الوطنية من مواد تبغية، وزيادة على ذلك فهي تتطلع لدخول السوق العالمية التي تخضع لمنافسة كبيرة من طرف الشركات العالمية المعروفة.

وفي إطار السعي لدخول الأسواق العالمية دخلت الشركة الوطنية للتبغ والكبريت لسنة 1992، في مشروع شراكة مع تونس لصناعة سجائر كريستال Cristal بالجزائر، توزع من طرف التونسيين ومصنوعة بمواد أولية تونسية، كما توجهت الشركة الوطنية للتبغ والكبريت منذ سنوات باتجاه أسواق فرنسا وليبيا حيث حصلت على توزيع منتجاتها في هذه الأسواق وقد أعطت لشركة أهمية كبيرة لهذا التعاون نظرا لوجود أفاق هامة باتجاه أوروبا، خاصة مع تواجد الجالية الجزائرية والمغاربية بكثرة في أوروبا.(1)

أنشأت الشركة الوطنية للتبغ والكبريت تحت الأمر 63/427 المؤرخ في 1963/11/4 كشركة وطنية متخصصة في إنتاج وتوزيع التبغ والكبريت على مستوى القطر الوطني (2) وهي موزعة من أجل ضمان تسيير ذمتها المالية التي يضعها ضمن الاحتكار لهذا القطاع المتمثل في:

. انتاج التبغ والكبريت

. تسويق المنتجات وملحقاتها المهمة

. الحيازة على المواد الأولية وتوريد المنتجات

وتعمل الشركة الوطنية للتبغ والكبريت في قطاع يتميز بوجود فرع صناعي منظم خاضع لاحتكار كلي للدولة هذا إلى جانب وجود قطاع تقليدي وحرفي مختص في إنتاج "ماكلة الهلال".

---

(1) زغدار أحمد التحالف الإستراتيجي كخيار للمؤسسات الجزائرية دراسة حالة مؤسسة التبغ و الكبريت أطروحة في العلوم الاقتصادية جامعة الجزائر 2005/2004

(2) الجريدة الرسمية رقم 82 المؤرخة في 4 نوفمبر 1963

بالنسبة إلى المواد الأولية للتبغ، فإن زراعة التبغ كانت مقسمة إلى قطاعين، القطاع الأول خاص بالتبغ المخصص للتدخين،تسيطر عليه شركات كبرى والقطاع الخاص بالتبغ المخصص لصناعة التبغ "ماكلة الهلال" تسيطر عليه شركات جزائرية صغيرة.

قبل الاستقلال بسنة واحدة 1961 تأثرت زراعة التبغ بمرض le maladio الملاديو هذا المرض الذي كان بمثابة كارثة على مستقبل التبغ في الجزائر، ولهذا تعقدت مهمة الشركة الوطنية للتبغ والكبريت.

لقد ورثت الشركة الوطنية للتبغ وحدات إنتاج متدهورة وبديون كبيرة ولهذا ما كان على الشركة أن تنظم وتسير وسائل الإنتاج بصورة عقلانية لتحسين الإنتاج وتدعيم عنصر النوعية.(1)

لقد عملت الشركة الوطنية للتبغ والكبريت في مواجهة الطلب المتزايد على منتجاتها على استعمال كل القدرات الإنتاجية المتوفرة لديها مع تدعيم المستمر لهذه القرارات بوسائل ومعدات جديدة،وخلال فترة الثمانينات التي تميزت بالأزمة التي ضربت كل القطاعات الاقتصادية، عرفت الشركة الوطنية للتبغ والكبريت وضعية مالية صعبة تفاقمت كثيرا من التخفيضات المتكررة للدينار الجزائري، الأمر الذي انعكس سلبا على توازن الشركة ويظهر ذلك من كثرة ديونها حتى سنة 1989بقيت على عاتقها ديون كبيرة ومكلفة.(2)

وفي 13مارس 1990 شهدت الشركة اتجاها نحو الاستقلالية مع رأس مال يقدر ب 10.000.000 دج ومع دعم من طرف الدولة قدر ب 500.000.000دج، ثم عرف ارتفاعا ثان في 2002 ليصبح رأس مالها يقدر ب 5000.000.000دج، لقد سمحت هذه الإصلاحات التي تمت على مستوى الهيكل التسييري والمالي للشركة في تحسين وضع الشركة، وتجلى ذلك في النتاج الايجابية المحققة خلال نهاية عدة دورات خلال السنوات الأخيرة.(3)

إلى جانب هذا استطاعت الشركة تشجيع زراعة التبغ محليا لتخفيض التبعية للخارج في ميدان التسيير للمواد الأولية، لقد سمحت السياسة المنتهجة في هذا الإطار والتي قامت على رفع أسعار التبغ المخصص

---

(1) زغدارأحمد ،مرجع سابق ص142

(2)زغدارأحمد ،مرجع سابق ص143

(3)زغدارأحمد ،مرجع سابق ص144

للصناعة، إضافة إلى مساعدة المزارعين من ناحية تموين بالبذور والمساحة التقنية بإعادة إحياء زراعة التبغ في الجزائر.(4)

المطلب الثاني : الالتزام بالإعلام في القانون الجزائري

إن القانون الجزائري مثل نظيره الفرنسي أوجب أن تتضمن علب أو أظرف أو أكياس أو رزم التبغ على عبارة التدخين مضر بالصحة حيث لقي قانون حماية الصحة وترقيتها على أنه يخضع بيع أنواع التبغ لإثبات على العلبة عبارة التدخين مضر بالصحة(1)

كما نص المرسوم التنفيذي 01-396 على مجموعة من البيانات التي يجب أن تتضمنها علب السجائر وهي مقدار القطران والنيكوتين، منع بيع للقصر، الإنذار العام "التدخين مضر بالصحة"، وفيما يخص علب السجائر إنذار عام إضافي صادر عن الوزارة"المكلفة بالصحة".

وقد حدد المسافة التي يجب أن يعطيها التحذير ب 15% من كل مساحة كبيرة من العلبة وأن يشمل على أحد التحذيرات التدخين يسبب السرطان، التدخين يسبب أمراض القلبية، التدخين يضر برئتيكم، التدخين يقلل من قدراتكم، التدخين يضر بمحيطكم، وألزم أن تكون هذه التحذيرات متعاقبة.(2)

كما نص على ضرورة أن تتضمن العلب أو الأظرف أو الأكياس التي تحتوي على تبغ النشق أو المضغ بالغتين الوطنية والفرنسية بحروف مقروءة جدا الإنذار العام "التدخين مضر بالصحة"، منع بيعه للقصر وأوجب أن تكتب في قسيمة لاصقة وأن توضع بشكل واضح على العلب أو الأظرف أو الأكياس.(3)

كما يجب أن يلصق على كل علبة أو كيس أو رزمة مطبوع يسجل على كل طرف منها الوزن الصافي للتبغ وعدد السجائر أو السيجارة، وكذا بالنسبة للتبغ الموجه لوضعه في السوق عبارة "بياع في الجزائر" متبوعة بتعيين سلطة الضبط.(32)

المطلب الثاني: تنظيم استيراد وصناعة وتوزيع التبغ

---

(4)زغدارأحمد ،مرجع سابق ص143

(1) المادة 66 من قانون 85 – 05 المتعلق بحماية الصحة و ترقيتها

(2)المادة 37 من المرسوم التنفيذي 01-396 المؤرخ في 9ديسمبر 2001 المتضمن تنظيم نشاطات صنع التبغ وتوزيعه

(3)المادة 38 من المرسوم التنفيذي 01-396

32 المادة 11 من المرسوم التنفيذي 01-396

البند الأول : تنظيم استيراد التبغ

المادة الأولى من المرسوم التنفيذي 397/01 المتعلق بتحديد شروط استيراد التبغ المصنع من قبل الأشخاص المعنويين الحائزين على اعتماد صبغة صانعي التبغ وتتمثل هذه الشروط فيما يلي:

- الاستيراد لا يشمل إلا العلامات الموردة للتصنيع في الجزائر
- الاستيراد لا يمكن أن يتم إلا بنسب وكميات محدودة من طرف السلطات التنظيمية المحدثة بموجب المادة 33 من قانون المالية لسنة2001
- الاستيراد لا يمكن أن يتم إلا بموجب قرار ترخيص الاستيراد مسلم من السلطات التنظيمية(1)

وهناك شروط مرتبطة بالوضع في السوق حيث تنص المادة 3 من نفس المرسوم على أنه يجب أن تشترفي العلب والأظرف و والأكياس أو رزم التبغ المستوردة على شروط الوضع في السوق لا سيما تلك المنصوص عليها في المادة11 من المرسوم التنفيذي رقم 396/01 المؤرخ في 9ديسمبر 2001 والمتعلق بتنظيم نشاطات الإنتاج والتوزيع الخاص بالتبغ(2)

وبذلك وحسب المادة 11 من المرسوم سابق الذكر فإن أي علبة أو كيس أو رزمة يجب أن تحمل معلومات حول التعليب الوزن الصافي للتبغ عدد السجائر الموجودة، المنشأ، وكذلك التبغ الموجه للاستهلاك يجب أن يتضمن عبارة بياع في الجزائر.وحسب المرسوم التنفيذي 397/01 فعند كل عملية استيراد فإن الصانع يجب أن يقوم خلال 48ساعة بتصريح بالوصول لدى مفتشية الضرائب المختصة إقليميا.(3)

ولمفتشية الضرائب مهمة 48ساعةابتداءا من استلامها تصريح بالوصول لتقوم بالإطلاع على الكميات المستلمة وبعد انقضاء هذا الأجل لا يمكن لصانع التبغ التصرف بحرية في المنتجات المستوردة.(4)

وتجدر الإشارة أنه مع بداية الانفتاح والإصلاحات الاقتصادية التي عرفتها الجزائر لتحول نحو اقتصاد السوق، رأت الشركة الوطنية للتبغ ضرورة تنويع عرضها الموجه لإشباع

---

(1) المادة 2 من المرسوم التنفيذي 397/01المؤرخ في 9 ديسمبر 2001، ج ر 75 الجريدة الرسمية رقم 75

(2) الجريدة الرسمية رقم 75

(3) المادة4

(4) المادة 4 من المرسوم التنفيذي 397/01

الطلب العام الداخلي بكميات مختلفة من السجائر العالمية، وشرعت في ذلك مع بداية شهر ديسمبر 1995 مع أهم الشركات العالمية المتخصصة في قطاع التبغ عن طريق استيراد المنتجات التالية: Winston, Camel, Gold caast, Stricke Dunhill international, Roth mass King Size, Gauloises Blondes, Gitanes filitres et sans filitres, Malbore, chester field, Dunhill menthol, poter stuyvesant, Benson, et hedge, Kent et Luncky.

من أجل الشروع في تصنيع السجائر تحت الماركات العالمية في مصانع جزائرية تابعة للشركة الوطنية للتبغ والكبريت، حيث أبرمت عقدا مع كل من Roth mass وكذا Malbore و wiston في سنة 1995 شهدت إمضاء عقد بين الشركة الوطنية للتبغ والكبريت وكذا الشركة الوطنية للنقل البحري والخطوط الجوية الجزائرية بغرض بيع منتجات الشركة الوطنية للتبغ والكبريت على متن البواخر والطائرات.(1)

البند الثاني : تنظيم صنع التبغ

لقد نظم صنع التبغ وتوزيعه مرسوم التنفيذي 396/02 حيث أن صنع التبغ برجع فقط للأشخاص المعنويون والمؤسسون في شكل شركات ذات أسهم تتكون رؤوس أموالها من51% على الأقل من الأموال العمومية.(2)

وصنع التبغ يجب أن تنظم في شكل شراكة لمساهم واحد على الأقل يثبت استغلاله لعلامة ذات سمعة عالمية(3) وتجدر الإشارة أن هذا الشرط لا يطالب به صانعو تبغ النشق والمصنع.

إلى جانب هذا فإن القيام بنشاط صناعي للتبغ يخضع إلى اعتماد تسلمه سلطة الضبط سوق التبغ والمواد التبغية اعتمادا بعد اكتتاب صاحب طلب دفتر الشروط ويسلم هذا الاعتماد في أجل 30يوما ابتداء من تاريخ اكتتاب دفتر الشرط ويمكن سحب هذا الاعتماد في حالة مخالفة الأحكام التشريعية والتنظيمية المعمول بها أو عدم احترام الالتزامات المتعهد بها والمتعلقة بالنشاط وذلك في أجل شهر من إنذار الصانع ولا يمكن أنيتم السحب إلا في هذه المدة.(4)

---

(1) زغدار أحمد– مرجع سابق ص167

(2) المادة 2 من المرسوم التنفيذي 396/01

(3) المادة 3 من المرسوم التنفيذي 396/01

(4) المادة 4 من مرسوم التنفيذي 01–396

البند الثالث : تنظيم توزيع التبغ

فيما يتعلق بالتوزيع فإن بحسب المرسوم التنفيذي 396/01 صانعي التبغ يمكن اعتمادهم تحت صنف الموزعين.(1)

زيادة على الصانعين لا يمكن أن يعتمد بصفة موزع التبغ إلا الأشخاص الطبيعيون من جنسية جزائرية المقيمون في الجزائر، أو الشركات التي يكون شركائها أو مساهموها مقيمين في الجزائر ومن جنسية جزائرية (2) ضف إلى هذا فإن اعتماد موزعي التبغ يتم وفقا لدفتر الشروط (3) وقد أورد هذا المرسوم مجموعة من الالتزامات التي تتعلق بتوزيع المواد التبغية(4) وتتمثل فيما يلي:

. على الموزعين وضع حساب جرد للمنتوجات التبغية لدى كل مركز توزيع وسجل في هذا الحساب بالوزن الصافي للتبغ (الكميات عند أول جرد الفائض المسجل خلال الجرد، الكميات التي تم شراءها من عند الصانعين أو الواردة من مركز آخر للتوزيع.

. ينبغي على الموزعين التبغ أن يصنعوا وجوبا في متناول بائعي التبغ المعتمدين قانون من الإدارة الجبائية مجموع علامات التبغ وإضافة موجهة لوضعا في السوق.

. يجب على موزعي التبغ أن يرسلوا عند نهاية كل 3 أشهر كشف للزبائن

على اسم ولقب وعنوان كل زبون ورقم قيده في السجل التجاري ورقم تعريفه الجبائي عدد الأظرف والأكياس أو الرزم حسب صنف التبغ وعلامته التي يتم تسليمها للزبون كما يجب أن يكون للصانعين المعتمدين بصفة موزعين محلات تجارية منفصلة فيما يخص كل نشاط.

الخاتمة

لقد خلصنا من خلال هذا البحث إلى أن المشرع الفرنسي قد تنبه لمخاطر التدخين منذ حوالي 36 سنة و هذا من خلال صدور عدة نصوص قانونية في هذا المجال من قانون فاي 1976 المتعلق بمكافحة التدخين

---

(1) أنظر المادة 5 من المرسوم التنفيذي 396/01

(2) أنظر المادة 6 من المرسوم التنفيذي 396/01

(3) أنظر المادة 7 من المرسوم التنفيذي 396/01

(4) أنظر المواد 25، 26، 27، 28 من نفس المرسوم

وصدور عدة قوانين و مراسيم بعده تنظم مختلف الجوانب المتعلقة بمنع التدخين في الأماكن العامة و منع الإشهار و لتعزيز الحماية تم النص على عقوبات جزائية تطبق في حالة مخالفة هذا المنع

أما من جانب القضاء فقد رأينا أن هناك العديد من الأحكام القضائية الصادرة في مجال تعويض ضحايا التدخين السلبي و قمع إشهار غير المشروع للتبغ و منتجاته و في المقابل قد لاحظنا نقصا في تنظيم هذه الجوانب من قبل المشرع الجزائري إذ رغم نصه على منع التدخين في الأماكن العامة بموجب مرسوم 285/01 و نصه أيضا على منع الإشهار المتعلق بالتبغ و منتجاته في قانون حماية الصحة و ترقيتها إلا أن هذه النصوص تفتقر للجانب الردعي إذ لم ينص على أي عقوبات جزائية تطبق في حالة مخالفة هذا المنع و هو فراغ تشريعي ينبغي تداركه أما بالنسبة للمتاجرة في التبغ و منتجاته فقد نظم المشرع صنع و استيراد و تصدير التبغ كما نص على ضرورة إعلام المستهلكين بأضرار التدخين و مخاطره .

حوليات جامعة بشار
Annales de l'Université de Bechar
N° 12, 2011, 12 العدد
ISSN : 1112-6604

تقييـــــم منافـــع مستخدمـــي الطـــرق

أ. دغمان زوبير

جامعة سوق أهراس

doghmnezoff@hotmail . com

ملخص :

إن قياس المنافع من مشاريع النقل أصعب بكثير من قياس التكاليف لان بعض المنافع من الصعب تقويمها بالمال مثل الراحة الناتجة عن مشاريع تحسين الطرق كما أن بعض المنافع مثل تخفيض تكاليف النقل موزعة على عدد كبير من الناس و على فترة طويلة من الزمن مما يجعل من الصعب القيام بتنبؤات بعيدة المدى كما أن بعض المنافع غير مباشرة كالنمو الاقتصادي المترتب على تحسن النقل إذا انه لكي تتحقق هذه المنافع يحتاج الأمر عادة إلى استثمارات أخرى فتتمثل حسابات عناصر التكلفة التي يتحملها مستخدمي الطريق من جراء استعمالهم في تنقلاتهم احد المكونات الاساسية اللازمة لتقدير منفعة هذا الطريق بالنسبة إليهم فإجراء حسابات تكلفة مستخدمي الطريق لبدائل المشروع للاختيار فيما بينها والمقارنة بينها يساعد على تقييم منفعة الطريق.

Résume :

Mesurer les avantages des projets de transport est beaucoup plus difficile à mesurer parce que les coûts de certains des avantages est difficile à évaluer, comme le confort avec l'argent de projets visant à améliorer les routes et certains avantages tels que la réduction des coûts de transport réparties sur un grand nombre de personnes et sur une longue période de temps qui le rend difficile à faire prévisions de long terme et certaines prestations indirectement, tels que l'impact de la croissance

économique de l'amélioration des transports si elle afin d'obtenir ces avantages sont généralement tenus, d'autres investissements, ils comprennent les comptes des éléments de coût encourus par les usagers de la route à la suite deleur utilisation dans le mouvement l'une des composantes de base nécessaires pour évaluer le bénéfice de cette

route pour eux Mener les comptes du coût des usagers à des alternatives du projet de choisir parmi eux et de les comparer pour aider à évaluer le bénéfice de la route.

مقدمة :

تمثل حسابات عناصر التكلفة التي يتحملها مستخدمي الطريق من جراء استعماله في تنقلاتهم احد المكونات الاساسية اللازمة لتقدير منفعة هذا الطريق بالنسبة إليهم فإجراء حسابات تكلفة مستخدمي الطريق لبدائل المشروع المطروحة للاختيار فيما بينهما (بما فيها البديل الذي يمثل الوضع الحالي) و المقارنة بينها يساعد على تقييم منفعة الطريق و في هذه الدراسة سنحاول تبويب عناصر التكلفة هذه و البحث في كيفية تقدير كل منها كميا بالوحدات النقدية.

هدف الدراسة :

كان من ضمن أهدافنا في هذا المقال هو محاولة عرض الصورة الشاملة لكافة بنود التكلفة المتداولة في هذه الأحوال و تبويب عناصر التكلفة لمستخدمي الطرق و البحث في كيفية تقدير كل منها كميا بالوحدات النقدية و تهدف هذه الدراسة إلى بلورة حقيقة أهمية مشروعات الطرق التي تعد من المشروعات البنية الاساسية اللازم توفيرها بدءا قبل تحقيق أي تنمية اقتصادية .

مشكلة الدراسة :

ومن هنا تظهر اهمية الموضوع وعليه يمكن طرح الاشكالية التالية : ما هي أهم المفاهيم الأساسية و الجوانب النظرية في تقييم منفعة مستخدمي الطرق ؟

وانطلاقا من هذا التساؤل يمكن أن تتفرع الأسئلة التالية :

1 ما المقصود بعناصر التكلفة و كيفية تقديرها ؟

2 كيف يتم حساب تكاليف مستخدمي الطرق باستخدام الأسلوب الرياضي ؟

3 ما ذا نعني بمناهج التقييم الكمي لأثر الازدحام الطريق على تكاليف تشغيل المركبات ؟

فرضية الدراسة :

ومن اجل الإجابة عن هذه التساؤلات يتم الانطلاق من فرضية أساسية مفادها مبررات وجود تقويم المشروعات الاستثمارية ذات الطابع الاجتماعي كمشروعات الطرق الذي شاع فيه اسلوب تحليل المنافع و التكاليف وتحسب المنافع على أساس مالي و أخر اقتصادي .

خطة الدراسة :

وللإجابة على هذه التساؤلات يناقش المقال المحاور التالية ؟

المحورالاول : عناصر التكلفة

المحور الثاني : كيفية تقدير عناصر التكلفة .

المحور الثالث: الحساب الرياضي لأهم بنود مستخدمي الطرق

المحور الرابع: اثر ازدحام الطريق على تكاليف تشغيل المركبات

منهج الدراسة:

يعتمد هذا البحث على منهج تحليلي رياضي من خلال استخدام أساليب رياضية التي يحتاجها المخطط الاقتصادي و ذلك بتقدير سعة الطريق و استخدامها في الحسابات اللازمة لتأكيد الجدوى الاقتصادية لمشروعات الطرق بأي من الوسائل المتبعة في مثل هذه الاحوال كتحليل عناصر التكلفة و العائد او تحليل فعالية التكاليف او ماشابه ذلك .

أولا: عناصر التكلفـة :

هناك عدة وسائل لتبويب عناصر تكلفة مستخدمي الطريق تختلف فيما بينها اختلافا بسيطة و يمثل التبويب الذي نعرضه له هنا الصورة الشاملة لكافة بنود التكلفة المتداولة في هذه الأحوال و التي قد تختلف في بعض جزئياتها عن المناهج الشائعة المتبعة في هذا الصدد كما سيتبين في الأجزاء اللاحقة و قبل البدء في عملية تقدير التكلفة يجب أولا تقسيم الطريق إلى أقسام متجانسة و تقسم أنواع المركبات المتدفقة إلى مجموعات متماثلة ثم يصار إلى تقدير العناصر التالية لكل قسم من أقسام الطريق بمعلومية نوعية سطحه و ذلك بالنسبة إلى كل نوعية من أنواع المركبات .(1)

1- تكاليف أساسية :

يطلق تعبير التكاليف الأساسية لكل قسم من الطريق على عنصرين أساسيين هما تكاليف تشغيل المركبات المتدفقة على هذا القسم بالإضافة إلى تكلفة وقت السير التي يتحملها مستخدمي هذه المركبات و ذلك في ظل توفر ظروف مثالية للتشغيل من حيث الانحناءات و تغير السرعات أي إن التكلفة الأساسية تتكون من العناصر التالية :

أ- تكاليف التشغيل المتغيرة : (2)

وهي تتوقف على عوامل عديدة و تعتبر متغيرة لأنها تعتمد على المسافة المقطوعة و تتكون مما يلي

- تكلفة الوقود لكل كلم
- تكلفة إهلاك المركبة لكل كلم
- تكلفة زيت المحرك لكل كلم
- تكلفة إهلاك الإطارات لكل كلم
- تكلفة الصيانة و الإصلاح لكل كلم

ب- تكلفة وقت السير :

- تكلفة وقت سائق و ركاب سيارات الركوب في رحلات العمل لكل ساعة للمركبة
- تكلفة وقت المركبة في حالة اللوري لكل ساعة للمركبة
- تكلفة وقت السلعة المنقولة في حالة اللوري لكل ساعة للمركبة

باعتبار إن السلعة تكون رأسمالا عاطلا خلال وقت الرحلة

ج- تكاليف إضافية :

و هي الزيادات التي تطرأ على بنود التكلفة الأساسية نتيجة لاختلاف ظروف التشغيل عن الظروف المثالية مثل :

- الزيادة في التكلفة الأساسية نتيجة للمنحنيات على الطريق
- الزيادة في التكلفة الأساسية نتيجة لتغيير السرعات على الطريق

– الزيادة في التكلفة الأساسية في حالات الازدحام التي ينتج عنها توقف اضطراري للمركبات على الطريق (كما هو الحال عند التقاطعات و الإشارات) أي عند مستويات مما تنتج عنه تكلفة أعطال إضافية . Fالخدمة التي يطلق عليها مستوى

2– تكاليف التشغيل السنوية الثابتة : (3)

– تراخيص ، ضرائب ، إجازات

– تامين زيوت تشحيم

– أجور عمالة (للمركبات التجارية فقط)

– تكاليف إدارية (للمركبات التجارية فقط)

– المكونة الثابتة للإهلاك

3– تكاليف الحوادث :

و أحيانا ما يعبر عنها بوحدات نقدية لكل كم طولي للطريق

إن حساب السرعة المتوسطة للتشغيل على المسارات الأفقية و المستقيمة يمثل حجر الزاوية الذي يتطلب حسابه أولا للوصول إلى عناصر التكلفة المتغيرة للتشغيل و عناصر التكاليف الإضافية للتشغيل نتيجة لوجود منحنيات على الطريق أو عدم وجوده وفقا للمعطيات الأولى للمشروع كما ان تكاليف التشغيل المتغيرة يتم حسابها أما على السطوح الأفقية أو السطوح المائلة وفقا للمعطيات الأساسية للمشروع .

ثانيا : كيفية تقدير عناصر التكلفة (4)

1– طريقة الجمعية الأمريكية لمسؤولي النقل و الطرق :

قدمت الجمعية الأمريكية لمسؤولي النقل و الطرق في دليلها عن تحليل منافع مستخدمي الطرق مجموعة من البنود المتعلقة بالتكاليف الأساسية و التكاليف الإضافية لأي قسم من أقسام الطريق و ذلك بمعلومية المدخلات أو المعطيات التالية :

– نوع و طراز المركبة

– نوع الطريق وطبيعة سطحه

لحركة النقل أو السرعة المتوسطة للسير. V/C– النسبة

– ميل الطريق على هذا القسم.

– السرعة التصميمية.

– مقدار الانحناء.

– قيمة الوقت للمركبة في الساعة .

2– طريقة جان دي ويل : (5)

يعتبر مرجع لجان دي ويل الذي وضعه جان دي ويل في أوائل الستينات احد الملامح الهامة على هذا الطريق الذي مازالت تلجا إليه بيوت الخبرة الاستشارية كلما تعرضت لحسابات تكاليف مستخدمي الطريق في قطر من أقطار الدول النامية و يقدم هذا المرجع جداول أساسية تمثل أرقام الاستهلاك الفعلية للبنود الستة التالية من تكاليف التشغيل :

– استهلاك الوقود

– استهلاك زيوت المحرك

– استهلاك الإطارات

– إهلاك المركبات

– الصيانة

– قيمة وقت سائق المركبة

و تعطي جداول مرجع جان دي ويل أرقام استهلاك العناصر السابقة وفقا للظروف التفصيلية التالية :

أ– نوعية السطح : مرصوف ، حصوي ، ترابي

ب– سبعة أنواع من المركبات : 3 سيارات ، 4 المركبات التجارية

ج– أربعة قيم مختلفة للسرعة منها سرعة التشغيل المتوسطة

و يجدر هنا ملاحظة النقاط التالية للمنهجية التي اتبعها مرجع السابق لجان دي ويل و التي يجب أن تؤخذ في الحسبان قبل الشروع في محاولة تطبيعها على مشروع بعينه و هذه الملاحظات هي:

1- إن الجداول التي يقدمها هذا المرجع لا تأخذ في الاعتبار اثر الازدحام في الطريق على تكاليف التشغيل و على هذا فان جداول هذا المرجع لا تفيد في الأحوال التي يكون من أهداف و منافع المشروع تحت التقييم التخلص من التخلص من ازدحام الحركة على الطريق الحالي و هذه على أي الأحوال حالات نادرة لا تظهر عادة في مشروعات الطرق التي تربط المدن في الدول النامية .

2- إن منهجية دي ويل و أن كانت قد أخذت بعين الاعتبار تكلفة وقت سائق المركبة على أنها احد مكونات تكاليف التشغيل إلا أنها لم تعتبر وقت الركاب ووقت السلعة ذاتها ولم تعط أية تقديرات لها على أساس أنها تخرج عن إطار تكاليف التشغيل و أن كان المرجع يعترف بأهميتها من حيث كونها جزءا أصيلا في منفعة الطريق .

3- كما أن المرجع أيضا لم يدرج أيضا في حساباته اثر المشروع على انخفاض معدلات الحوادث للصعوبة المنهجية في تقدير قيمة " الحياة البشرية "الا أن هذا البند جرت العادة أيضا على أن توضع قيم كمية له وفقا لمحاولات و اجتهادات مختلفة يتم اعتبارها احد منافع المشروع .

ثالثا: الحساب الرياضي لأهم بنود مستخدمي الطرق (6)

أ تكاليف التشغيل المتغيرة على الطرق المرصوفة :

و المقصود بالتكاليف المتغيرة هنا هو ذلك الجزء من تكاليف التشغيل المركبات الذي يعتمد مباشرة على المسافة المقطوعة أي انه لا يدخل في الاعتبار هنا التكاليف السنوية الثابتة لتشغيل المركبات مثل التامين و التراخيص السنوية و ما إلى ذلك و تتكون عناصر التكاليف المتغيرة من مجمع تكاليف الوقود و الاهلاك و زيوت المحرك و الاطارات و ذلك الجزء المتغير من تكاليف الصيانة و الإصلاح و فيما يلي النماذج الرياضية المستخدمة في تقدير كل عنصر من العناصر السابقة .

1- تكاليف الوقود :

يمكن استنباط استهلاك المركبة من الوقود من خلال الدالتين الرياضيتين التاليتين لكل من المركبات الخفيفة كسيارات الركوب و المركبات الثقيلة كاللوري بمعلومية سرعة التشغيل المتوسطة و ذلك على النحو التالي :

المركبات الخفيفة :

$$F(V) = 20.8304 - 0.5841V + 0.00002V3$$

المركبات الثقيلة :

$$F(V) = 59.3667 - 2.071V + 0.3152V2 - 0.00013V3$$

حيث :

= سرعة التشغيل المتوسطة بالكلم /ساعة V

= استهلاك الوقود باللتر / 100 كلم F(V)

و لا تصلح للاستخدام بطريقة مطلقة في هذه(V،F(V و الدوال السابقة تعطي فقط العلاقة بين كل من 0F الصورة بل يجب أن يسبق استخدامها تعديل معاملاتها و ذلك بمعرفة استهلاك المركبة من الوقود و هو ما يمكن الحصول عليه مباشرة من مواصفات المركبة المعنية فعند هذه السرعة فان 0V فإذا ما F0 /F(V0) فقط عند ضرب معاملات الدالة في المقدار F(V0) يمكن إن تساوي F0 هذا فيمكن حينئذ استخدام المعاملات الجديدة للمعادلة مع سرعة التشغيل المتوسطة على هذا القسم من الطريق لتحديد القيم المطلقة لاستهلاك الوقود باللتر /100 كلم.(7)

2- تكاليف الإهلاك:

نظرا لان عناصر تكاليف التشغيل هنا يتم حسابها بالنسبة لوحدة المسافة المقطوعة سواء أكانت كيلومتر أو ميل فمن هنا يصبح من الضروري أولا حساب المسافة المقطوعة بهذه المركبة سنويا و لنبدأ لهذا الغرض من البيانات المتعلقة بالسير الحر لهذه المركبة أي بدون ازدحام على هذا الطريق فإذا كانت :

= سرعة السير الحر للمركبة على الطريق V0

= المسافة المقطوعة سنويا بافتراض سير السيارة بالسرعة A0

= العمر الاقتصادي للسيارة في الظروف السابقة Y0

فاذا اختلفت الظروف الفعلية للتشغيل عن الظروف السابقة و كان هناك ازدحام على الطريق بحيث و بافتراض تساوي عدد ساعات التشغيل فتكون V0اقل من سرعة السير V كانت سرعة التشغيل و تتحدد بالمعادلة التالية A0 المقطوعة حينئذ اقل من المسافة Aالمسافة

$$A = V0\ A0\ V^* / V0 \quad ,\ V \langle V0 \quad (1)$$

و بالتعويض في المعادلة السابقةV0 اكبر من سرعة السير الحر Vأما إذا افترضنا جدلا إن السرعة و لكن نظرا لان سير المركبة اكبر من سرعة السير الحر هو افتراض غير واقعيA0اكبر من A تكون

V0من الوقت بينما تسير المركبة بسرعتها (P)لجميع أوقات السير بل يكون صحيحا فقط في جزء

بواسطة الشخص الذي يدرس (p) حيث يتم تحديد مقدار الكسر (1-p)في الجزء المتبقي من الوقت

على النحو التالي :A و يحلل النظام فتتحدد حينئذ المسافة المقطوعة

$$A = A0\ (1 - P + P * V/V0) \quad , \quad V \rangle V0 \quad (2)$$

المناظر للمسافةY و من هاتين المعادلتين و حسب الظروف السائدة يمكن حساب العمر الاقتصادي

كما يلي :Aالمقطوعة

$$Y = Y0 * A0/A \quad (3)$$

كما يلي:D و تكون تكاليف الاهلاك السنوية

$$C = \frac{r \qquad D}{(1+r)^{y} - 1} \quad (4)$$

= تكاليف إحلال المركبة عند انقضاء عمرها الاقتصادي C

= نفقة الفرصة البديلة أو سعر راس المال السائد R

و إذا ما أدخلنا في تكلفة الاهلاك السنوية تكلفة راس المال أيضا فيكون القسط النهائي للاهلاك في

R حيث تتحددRإطار هذا المفهوم (إحلال + تكلفة راس المال) بالنسبة للكيلومتر أو الميل الواحد هي

على النحو التالي :

$$R = (D + Cr) * 1/A \quad (5)$$

3- تكاليف زيت المحرك : (8)

على الرغم من أن تكاليف استهلاك زيت المحرك تعتمد نظريا على السرعة و من ثم المسافة المقطوعة و هو المنهج الذي اتبعته الجمعية الأمريكية لمسؤولي النقل و الطرق في الدليل الذي أعدته على منافع مستخدمي الطريق إلا أن تاثير السرعة على استهلاك السيارة من زيت المحرك يعتبر تأثير بسيط الأمر الذي يمكن معه إدراج هذا البند ضمن بنود التكلفة السنوية الثابتة بدون الوقوع في خطا كبير نتيجة لهذا الافتراض أو هذا التقريب .

4- تكاليف استهلاك الاطارات :

و إن عمرها الاقتصادي عند هذه السرعة هوV0إذا افترضنا إن المركبة تسير بسرعة السير الحرة بنفس CT بمعلومة تكلفة إحلال هذا الإطارTC فيمكن حينئذ حساب قسط استهلاك الإطار الواحدY0 الطريقة التي تم إتباعها عند حساب قسط الإهلاك للسيارة كما في المعادلة التالية :

$$\frac{r \quad = \quad TC \quad (6)}{(1 \quad + \quad r \quad) \quad y0 \quad - \quad 1}$$

حيث :

= التكلفة السنوية للاطار الواحد TC

= تكلفة إحلال الإطار CT

= سعر راس المالR

= العمر الافتراضي للإطار عند السرعة Y0

نتيجة للازدحام على الطريق مثلا فينتج عن ذلك إن المسافة V0و ليست Vأما إذا كانت السرعة و يكونV0التي يقطعها الإطار عن السرعة A0 سوف تختلف عن تلك المسافةAالمقطوعة سنويا حيث:Yالعمر الافتراضي للإطار حينئذ هو

$$Y0 * A0 / A = Y \quad (7)$$

لكل ميل أو كلم على النحو التالي:T و على ذلك تكون تكلفة استهلاك الإطارات

$$\frac{T \quad = \quad CT * T * N \qquad e \ (V - V0)}{1 - A \ (1 + T)}$$

حيث :

= تكلفة استهلاك الإطارات لكل وحدة من وحدات المسافة T

= عدد الإطارات في المركبة الواحدة N

= معامل يتوقف على نوعية السطح و تتحدد قيمته من الجدول التالي :X

	مركبات ثقيلة	مركبات خفيفة
طريق مرصوف	0،0225	0،0265
طريق حصوي	0،0080	0،0087
طريق ترابي	0،0036	0،0033

5- تكاليف الصيانة والإصلاح:

على الرغم من أهمية هذا العنصر من عناصر تكلفة التشغيل إلا انه لا توجد= حتى ألان صياغة رياضية دقيقة له تبين هذا البند كدالة لعمر المركبة و كل ما هو متاح ألان هو تقدير هذه المكونة اعتمادا على الخبرة على أن يتم الفصل ما بين الجزء الخاص بتكلفة قطع الغيار و ذلك الخاص بالعمالة كي يتسنى استخدام أسعار الظل الخاصة بالعمالة أي أن :

$$M = MP + M1 * S1 \quad (9)$$

حيث:

= تكلفة الصيانة للسيارة لكل ميل أو كلم M

= تكلفة قطع الغيار لكل ميل أو كلم MP

= تكلفة العمالة لكل ميل أو كلم 1M

= سعر الظل بالنسبة لعنصر العمل S1

ب- تكلفــة وقت السير: (9)

تتطلب معالجة هذا البند من بنود التكلفة التفرقة بين سيارات الركوب و المركبات التجارية أو اللوريات بعبارة أخرى

1- تكلفة وقت سائق و ركاب المركبة في رحلات العمل لسيارات الركوب:

في حالة سيارات الركوب يقتضي الأمر مرة أخرى التفرقة بين الرحلات المنتجة لهذه السيارات أي الرحلات لأغراض العمل و الرحلات التي تتم لأغراض غير منتجة (غير العمل) كالترفيه على سبيل المثال فهذه الرحلات الأخيرة لا تمثل أي نفقة من الوجهة الاقتصادية القومية

و يمكن التعبير عن تكلفة وقت سائق و ركاب سيارة الركوب في رحلات العمل بالمعادلة التالية :

TP = (DIP SDIPPDI + INP SPPP) / V

حيث :

TP = تكلفة وقت سائق و ركاب السيارة

DIP = دخل وقت سائق السيارة في الساعة

SDIP = معامل سعر الظل لأجر سائق السيارة

PDI = نسبة السائقين الذين يقودون سياراتهم في رحلات متعلقة بالعمل

I = متوسط دخل راكب السيارة في الساعة

NP = متوسط عدد ركاب السيارة الواحدة

SP = معامل سعر الظل لأجر ركاب السيارة

PP = نسبة الركاب الذين يستخدمون السيارة في رحلات متصلة بالعمل

2- تكلفة وقت سائق و العمال في الرحلات المنتجة للمركبات التجارية : (10)

عادة ما يتم إدراج تكلفة أجور الساق للمركبات التجارية و الماليين ضمن بنود تكاليف السنوية الثابتة للمركبة التجارية حيث يتقاضى هؤلاء أجورهم عادة على أساس شهري ثابت قد لا يعتمد مباشرة على المسافة المقطوعة و سواء أكانت المركبة مشغولة بالفعل في عملية منتجة أم متفوقة عن العمل

3- تكلفة وقت المركبة التجارية ذاتها :

و هو ما يعبر عنه بتكلفة الفرصة البديلة فإذا لم تكن مركبة قد استخدمت في عملية النقل الراهنة فلربما كانت قد استخدمت خلال نفس الوقت في عملية أخرى مربحة و لكانت قد حققت عائدا يمكن اعتباره هو تكلفة الفرصة البديلة .

4- تكلفة وقت السلعة المنقولة : (11)

تعتبر قيمة السلعة الموجودة في المركبة التجارية أثناء النقل راس مال عاطلا عن الدوران خلال الوقت التي تستغرقه عملية النقل فإذا كانت القيمة المتوسطة للسلعة المنقولة هي vc فان تكلفة وقت النقل بالنسبة للسلعة VTCتتحدد على النحو التالي باستخدام معامل استرجاع

راس المال:

$$VTC = \frac{r(1+r)}{(1+r)} * \frac{1}{A} * \frac{VC}{y}$$

y

رابعا : اثر ازدحام الطريق على تكاليف تشغيل المركبات (12)

يؤدي ازدياد الازدحام على الطريق إلى تقليص سرعة تشغيل المركبات و تداخلها مما يؤدي إلى زيادة تكاليف التشغيل فإذا ما زاد الازدحام إلى الدرجة التي تؤدي إلى توقف للسيارات بين الحين و الأخر فهنا يكون ارتفاع التكاليف ملحوظا بدرجة كبيرة وهناك عدة مناهج للتقييم الكمي لأثار الازدحام على تكاليف التشغيل من أهمها ذلك المنهج المتبع في دليل سعة الطرق في الولايات المتحدة الأمريكية وهو المنهج الذي سنعرض لخطوطه العريضة في الأجزاء التالية .

يعتمد المنهج المذكور في تقدير اثر الازدحام على تكلفة التشغيل على حساب قيمة كمية لهذا الازدحام تأخذ كما هو متبع في مثل هذه الأحوال صورة النسبة V/Cحيث V هي حجم حركة النقل على الطريق و c هي سعته و يبرز هنا على الفور نقطتان يجب التغلب عليهما هما .

- عدم تجانس المركبات المتدفقة على الطريق
- وجود عوامل عديدة تؤثر سلبا على سعة الطريق

و يقدم الدليل المذكور في سعة الطريق أنفا الوسائل المناسبة للتغلب على هذه العقبات فعد تجانس المركبات يتم التغلب عليه بحساب مكافئ حجم الحركة على الطريق كما إن العوامل التي تؤثر سلبا على سعة الطريق تأخذ هي الأخرى في الحسبان لحساب السعة المتاحة للطريق .

أ- مكافئ حجم الحركة على الطريق : (13)

يتم في هذه الطريقة التعويض عن إعداد المركبات الثقيلة (الحافلات و المركبات التجارية) بما يكافئها من إعداد المركبات الخفيفة (سيارات الركوب)بحيث يمكن اعتبار الحجم الذي يتم الحصول عليه مكافئا لحجم الحركة مكونة من مركبات خفيفة متجانسة و لها نفس التأثير على الطريق كما للحجم الأصلي الغير متجانس تتوقف قيم هذا المكافئ EC على نوع الطريق و طبيعة الأرض كما هو موضح في الجدول:

	طريق ذا مسارين	طريق متعدد المسارات
ارض مستوية	2،5	2
ارض منحدرة	5	4
ارض جبلية	10	8

و يتطلب تقييم اثر الازدحام التعبير عن حجم الحركة بالساعة و ليس حجم الحركة اليومية المتوسطة و التي تكون عادة متاحة من تعدادات المرور فإذا كانت :ADT

= حجم حركة النقل في الساعة V

= حجم حركة النقل اليومي المتوسط ADT

فان :

$$\frac{V}{15.4} = ADT$$

و هذه المعادلة تنتج مباشرة من المعادلة التالية :

$$\frac{V}{V0\ 2} = \frac{V0\ (1 + T2)}{}$$

بالتعويض التالي :

$$T = 0.75\ V0$$

= حجم الحركة المتوسط في الساعة V0

= الانحراف المعياري لحجم الحركة في الساعةT

= حجم الحركة في الساعة V

ب- السعة المتاحة للطريق : (14)

تمثل سعة الطريق احد المفاهيم الأساسية التي ينبغي السعي لإيجادها و التعبير عنها بطريقة محددة و بوحدات كمية فمصمم الطريق يهدف من ناحيته إلى اختيار مواصفات الطريق و تحديد أبعاده بالكيفية التي توفر السعة اللازمة لاستيعاب حركة النقل المتوقعة عليه مستقبلا كما أن المخطط الاقتصادي يحتاج لتقدير سعة الطريق لاستخدامها في الحسابات اللازمة لتأكيد الجدوى الاقتصادية لمشروعات الطرق بأي من الوسائل المتبعة في مثل هذه الأحوال كتحليل التكلفة و العائد آو تحليل فعالية التكاليف أو ما شابه ذلك و على ذلك يمكن التعبير عن السعة في الصورة الرياضية التالية :

$$C = D.V = \frac{1000*V}{L}$$

حيث :

C = سعة الطريق معبرا عنها بعدد المركبات في الساعة

D = كثافة حركة النقل على الطريق معبرا عنها بعدد المركبات المتواجدة على الكيلومتر الواحد من الطريق .

V = سرعة سير المركبات بالكلم في الساعة .

L = الطول اللازم لكل سيارة على الطريق و هو ما يساوى الطول الفعلي للسيارة بالإضافة إلى المسافة التي تفصل بينها و بين السيارة التي أمامها .

و من البديهي أن تتوقف مسافة الأمان التي تفصل بين كل السيارة و السيارة التي أمامها على سرعة السيارات حيث يحتاج سائق السيارة إلى مسافة أمان اكبر كلما زادت السرعة و العكس صحيح و على ذلك يمكن تفصيل المسافة L ليتم التعبير عنها على النحو التالي :

$$L = LV + Lb + Ls$$

حيث :

LV = الطول الفعلي للمركبة .

Lb = المسافة التي يحتاجها السائق منذ لحظة اتخاذ قرار الوقوف إلى التوقف الفعلي للسيارة و هي مسافة تتوقف على سرعة رد الفعل لدى السائق .

LS = مسافة أمان إضافية فبعد التوقف الفجائي للسيارة يجب أن تبقى مسافة تفصلها عن السيارة أمامها لتلافي الاصطدام بها .

يتضح مما سبق أن المعادلة السابقة أن السعة تتوقف على كل من السرعة (V) و(L) معظمها على شكل معادلة من الدرجة الثانية من خلال إيجاد العلاقة ما بين (C),V) و توقيعها على شكل منحنيات و منها يتضح أن السعة تزداد تدريجيا بازدياد حتى تصل إلى قيمة عظمى تبدأ بعدها في الانخفاض التدريجي مع استمرار ازدياد السرعة .

ج –انتظام السرعة مع زيادة حجم حركة النقل :

ورد سابقا الحديث عن السرعة بطريقة يفهم منها إن هذه السرعة منتظمة و من ثم فان تدافع المركبات على الطريق قد يشبه إلى حد ما تدفق السوائل في الأنابيب و هو افتراض غير واقعي وغير سليم فما هو السلوك الذي تسلكه السرعة مع ارتفاع حجم النقل و ما مدى صحة افتراض انتظام هذه السرعة ؟ إذا تصورنا جدلا أننا قمنا بتجربة فعلية على احد مقاطع طريق ما حيث قمنا خلال وحدة زمنية معينة و لتكن الساعة مثلا بقياس كل من (15)

1– عدد المركبات التي مرت عبر هذا المقطع خلال الساعة أي حجم حركة النقل .

2– سرعة كل مركبة على حدا.

إن هذه البيانات تمكننا من حساب السرعة المتوسطة للمركبات عبر هذا المقطع و إذا أردت أن تعبر عن هذا فانك تستطيع أن ترسم منحنى التوزيع التكراري لسرعة المركبات حول السرعة المتوسطة و هو توزيع يأخذ شكل المنحنى الطبيعي حيث تتوزع قيم السرعات حول قيمة متوسطة بتشتت معين يعبر عنه بمقدار الانحراف المعياري لهذا التوزيع .

إذا ما تكررت التجربة السابقة لأحجام نقل مختلفة فسوف يمكننا حينئذ ملاحظة أن تشتت سرعات السيارات حول السرعة المتوسطة سوف يقل تدريجيا بازدياد حجم حركة النقل على الطريق وبالتالي تصبح السرعة أكثر انتظاما و تفسير ذلك واضح و بسيط و هو أن قائد أي مركبة نقل حريته في اختيار سرعة القيادة كلما ازداد الازدحام على الطريق حيث يكون مطالبا حينئذ بالقيادة بسرعة تعتمد على سرعة السيارات التي أمامه و تلك التي خلفه.

خاتمة :

يتبين من خلال هذا المقال الذي استهدفنا منه استجلاء بعض الجوانب في موضوع تقييم منافع مستخدمي الطرق من خلال دراسات جدوى اقتصادية لمشروعات الطرق و ذلك باستخدام أسلوب تحليل عناصر أساسية لازمة تخص تكلفة مستخدمي الطرق بمجرد قياس التكاليف و تقديرها فيمكن وضع النتائج في إحدى صورتين:

– نسبة القيمة الحالية للمنافع إلى القيمة الحالية للتكاليف و يعتبر المشروع اقتصاديا إذا كانت هذه النسبة أكثر من الواحد الصحيح.

– معدل الفائدة الداخلي فإذا كان هذا المعدل اكبر من معدل الربح العائد من البنك اعتبر المشروع اقتصاديا و قد تتم مقارنة هذا المعدل بمعدل عام " المعدل الصحيح " يتم تحديده على مستوى الاقتصاد الوطني أو القطاع ، و في خال عدم وجود هذا المعدل الصحيح يتم ترتيب المشاريع تنازليا حسب معدل العائد الداخلي و يكتفي بالمشاريع التي تستوعب حجم الاستثمار المتاح .

– و في ضوء تقويم مشاريع الطرق التي في حاجة إلى استكمال يمكن ترتيبها حسب أولويتها و ذلك للبدء بالمشاريع الأكثر فائدة أو التي أثبتت دراسات الجدوى أفضليتها على غيرها و قد يتم تحديد هذه المشاريع للبدء بها في ضوء حجم التمويل المتاح.

و من المناسب ان تكون هناك خطة زمنية و قد تكون خمسية او اكثر و يتولى الصندوق المقترح إنشاءها في ضوء حجم الموارد المحتملة و ما تظهره دراسات الجدوى الاقتصادية .

وعليه فان الأمر لا يقتصر على مجرد تدبير الموارد في ظل ما سبق أن قدمناه من مقترحات بل ينبغي أن تتم أيضا دراسات الجدوى الاقتصادية لمشاريع الطرق المقترحة لتحديد ما يمكن البدء به لا سيما أن حجم التمويل المقترح لهذه المشاريع ضخم جدا .

– إن قياس المنافع من مشاريع النقل أصعب بكثير من قياس التكاليف لان بعض المنافع من الصعب تقويمها بالمال مثل الراحة الناتجة عن مشاريع تحسين الطرق كما أن بعض المنافع مثل تخفيض تكاليف النقل موزعة على عدد كبير من الناس و على فترة طويلة من الزمن مما يجعل من الصعب القيام بتنبؤات بعيدة المدى .

كما أن بعض المنافع غير مباشر كالنمو الاقتصادي المترتب على تحسن النقل إذا انه لكي تتحقق هذه المنافع يحتاج الأمر عادة إلى استثمارات أخرى و المنافع الممكنة مرتبة ترتيبا تنازليا حسب سهولة قياسها هي :

- خفض تكاليف النقل
- التقليل من الحوادث
- الوفر في الوقت بالنسبة للركاب و البضائع
- الزيادة في النمو الاقتصادي .

- يعتبر خفض تكاليف النقل اكبر المنافع المباشرة الناتجة عن المشاريع الجديدة أو مشاريع التحسين و أكثرها سهولة في القياس و إن كانت فائدتها تعود بالدرجة الأولى على الذين يستخدمون تسهيلات النقل إلا أن المنافسة و الرغبة في تحقيق اكبر ربح تؤديان بهم إلى اقتسام هذه الفائدة بدرجات متفاوتة و جماعات أخرى كالمنتجين و المستهلكين و بعد مدة ليست بطولية نرى أن خفض تكاليف النقل لا يقتصر أثره على الذين يستخدمون تسهيلات النقل بل يمتد ليشمل مستوى الاقتصاد الوطني كله و أفضل طريقة لقياس خفض التكاليف هو حساب تكاليف النقل باستعمال التسهيلات الجديدة و حساب النقل دون التسهيلات الجديدة و الخطوة الأولى في قياس المنافع الناتجة من خفض تكاليف النقل هي تقدير حجم الحركة التي ستنقل حسب تسهيلات النقل الجديدة خلال عمرها الاقتصادي و يمكن تصنيف حركة النقل ثلاثة أصناف هي :الحركة العادية و الحركة المحولة و الحركة العاملة .

المراجع و الهوامش :

1- احمد أبو إسماعيل - صناعة النقل و ظروفها الاقتصادية – دار النهضة العربية 1994- ص166
2- احمد حبيب رسول – دراسات جغرافية في النقل – دار النهضة العربية – بيروت 1986- ص95
3- « A Manual of Benefit Analysis of Highway and Bus Transit Improvements , 1977 AASHTO P77
4- وليام .وهاي – مقدمة في هندسة النقل – ترجمة دكتور سعيد عبد الرحمان القاضي و الدكتور أنيس عبد الله التنيـــر مطابع – جامعة الملك سعود - 1999 – ص 61
5- دكتور زين العابدين علي – مبادئ تخطيط النقل الحضري- دار الصفا للنشر و التوزيع عمان الأردن - 2000 – ص 113

6- كلاكسن .هـ . اوجلسبي – هندسة الطرق – ترجمة الدكتور علي سليمان حزين و اخرين دكتور طارق يوسف الريدي و الدكتور محمد صلاح الدين الهواري – الناشر – دار جون و ابنائه – نيورك – 2009- ص 211

7- محمد توفيق سالم – هندسة النقل و المرور دار الراتب الجامعية – 1985 – ص 26

8- محمد محمود يوسف الإدارة الإستراتيجية لتكاليف النقل و دورها في التنمية – حركة التجارة العربية البينية –منشورات العربية للتنمية الإدارية – القاهرة مصر- 2003- ص 33

9- د. خليل احمد أبو احمد - التصميم التخطيط الهندسي للطرق الحضرية و الخلوية دار الراتب الجامعية - 2007- ص 17

10- راضي عبد المعطي السيد – الآثار الاقتصادية لحوادث المرور - جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية - الرياض – ص 48

11- سميرة ابراهيم أيوب اقتصاديات النقل الدار الجامعية الجديدة الإسكندرية - مصر 2002 – ص 39

12- « Francis Kuhn Saïd Hayat » la qualité de service application aux transports - collectifs urbain – juillet - 1999-p 44

13- Athènes cote Borg les villes et leurs transports OCDE paris 1998- p76

14- Emile Quinet principes d'économie- des transports Economica France- -p 32 -1998

15- kanafani Adib Transportation Demand Analysis MC graw-Hill Book company USA 1988 -p 11

حوليات جامعة بشار
Annales de l'Université de Bechar
N° 12, 2011, 12 العدد
ISSN : 1112-6604

ثقافة المنظمة و مدى فعالية التغيير الثقافي في تطبيق الجودة الشاملة

ناصري نفيسة

د.بوثلجة جمال عبد الناصر

أ. مومن مزوري

الملخص:

تحتل طريقة الجودة الشاملة مركزا إستراتيجيا في إدارة أعمال المنظمات، مما يشكل دعامة متينة لتحقيق البقاء و الإستمرار. كما أن لثقافة المنظمة أهمية بارزة في توجيه سلوك أفراد المنظمة و تشكيل إطار خاص لأنماط السلوك المختلفة، و نظرا لتطور هذه الثقافة بشكل مستمر، فان هذا يمكن من تعديلها و تغييرها الأمر الذي يساعد على تحسين أداء و فاعلية المنظمة، غير أن الصعوبة في ذلك تكمن في تغيير القيم و المعتقدات الراسخة التي يتمسك بها أفراد المنظمة بدرجة عالية، و أن عدم مرونة التغير الثقافي سيؤدي إلى تدهور النشاط والى نزاعات خطيرة و إختلالات وظيفية. غير أن قبول التغيير يعمل على تحرير عملية التفكير و إزالة العراقيل و القيود التي تضعف الطاقات و القدرات.

الكلمات المفتاحية: ثقافة المنظمة، الجودة الشاملة، التغيير الثقافي، الأفراد، بيئة العمل.

Résumé:

La méthode de la qualité totale occupe une place stratégique dans la gestion des entreprises, ce qui constitue une base solide pour la survie et la continuité. Egalement que la culture de l'organisation a une grande importance dans l'orientation des comportements des membres de l'organisation et faisant partie des schémas particuliers de comportement différents, et compte tenu de l'évolution de cette culture sur une base continue, cela peut

être modifié et changé, ce qui contribue à améliorer la performance et l'efficacité de l'organisation, mais la difficulté qui se trouve c'est la changement dans les valeurs et les croyances profondément ancrées par des membres de l'organisation avec un haut degré, et que le changement culturelles inflexibles conduira à une détérioration de l'activité et à des conflits et de dysfonctionnements graves. Toutefois, l'acceptation du changement travaille sur la libéralisation du processus de réflexion, et de supprimer les obstacles et les contraintes qui affaiblissent les énergies et les capacités.

Les Mots Clés: la culture d'organisation, la qualité totale, changement organisationnel, les individus, environnement de travail.

المقدمة:

تظهر الأهمية البالغة لتطوير المؤسسة باعتبارها فاعلا هاما لتحقيق التغير الاجتماعي، و مساهما رئيسيا في التنمية الاقتصادية في ظل التغيرات التي يفرضها المحيط الجديد، إذ أن نجاح المؤسسة و ضمان بقائها ليس مرهونا فقط بوفرة مواردها المالية و المادية، و إنما يعتمد أساسا على العامل الإنساني عن طريق تعبئة كل الموارد البشرية التي تتوفر عليها. لهذا فانه على المؤسسة إختيار و إعداد استراتيجيات تساهم في مرونة تغيير المواقف و السلوكيات السابقة للفاعلين الاجتماعيين بحيث تجعل مهمة التحول أمرا سهلا، ولن يتحقق هذا إلا بنشر الوعي داخل الفئات المختلفة و تحسيسها بأهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه في تحقيق أهدافها و التي تلتقي مع أهداف المؤسسة و لا تختلف معها. قد حظيت ثقافة المنظمة باهتمام الباحثين، خاصة في الوقت الحالي الذي يتميز ببيئة أعمال سريعة التغير الذي من شانه التأثير على أداء المنظمات و تحقيق أهدافها، و لكي تستطيع المنظمة أن تضمن ولاء أفرادها وجب وجود اتفاق بين أهدافها و قيم و ثقافة هؤلاء الأفراد، و إيجاد ثقافة تنظيمية قادرة على خلق ذلك الولاء باعتبارها المحرك الأساسي للطاقات و القدرات.

1)-الثقافة التنظيمية مفهومها و تطورها التاريخي:

يرتبط مفهوم ثقافة المؤسسة بمفهوم الثقافة في المجتمعات، و تتضمن الثقافة الأفكار المشتركة بين مجموعات الأفراد و كذا اللغات التي يتم من خلالها إيصال الأفكار بها. قد ظهر مفهوم ثقافة المؤسسة أول مرة في

المؤلفات المتعلقة بالإدارة في أمريكا الشمالية في سنة **1981**، و استعمل مصطلح الثقافة المنظمة لأول مرة من طرف الصحافة المتخصصة سنة **1980**، عبر المجلة الاقتصادية الأمريكية **Business Week** حيث أدرجت مجلة **Fortune** ر كنا خاصا يتناول موضوع الثقافة التنظيمية و يحمل عنوان **Corporate Culture**، الى أن قدم الباحثان (**A.A Kennedy & T.E.Deal**) سنة **1982** كتاب تحت عنوان (**Corporate Culture**) واضعين بذلك اللبنة الأولى لهذا المفهوم ([xxxviii])، فيما يذكر **Hostfide** إن مصطلح الثقافة التنظيمية لم ينتشر استعماله إلا في حلول الثمانينات الميلادية، و يحيل **Hostfide** ذلك لكتابين اثنين هما: ثقافة المنظمة (**Corporate Culture A.A Kennedy & T.E.Deal 1982**) و كتاب البحث عن الامتياز **لبترز و ووترمان** (**In Search Of Excellence: Peters & Waterman 1982**) و في مطلع التسعينات تزايد اهتمام علماء السلوك التنظيمي بقضية " الثقافة التنظيمية " باعتبارها عاملا مهما في بيئة العمل، مما يؤثر على سلوك الأفراد و مستويات إنتاجيتهم و إبداعهم([xxxix]).

أ-تعريف الثقافة التنظيمية:

يعرف **Edgar Morin** الثقافة التنظيمية على أنها:

" ذلك النظام الذي ينقل التجربة الموجودة لدى الأفراد و المعرفة الجماعية المركبة التي تتمثل في الاتجاهات

(المعتقدات)، القيم و المعايير السائدة بين الجماعات، الأساطير و تاريخ المنظمات و الطقوس الجماعية"([xl]).

و يرى **Elliot Jacques** أن:

" ثقافة المؤسسة هي طريقة التفكير و السلوك الاعتيادي و التقليدي، و تكون مقسمة و مشتركة بين أعضاء المنظمة و تعلم شيئا فشيئا للأعضاء الجدد من اجل قبولهم في المنظمة"([xli]).

أما **Héléne Denis** يعرفها في كتابه: " **استراتيجيات المؤسسة و عدم التأكد من المحيط**" أنها:

" تلك المجموعة التي تربط كل من طريقة التفكير، الشعور، الحركة بطريقة مقننة، حيث تتقاسم و توزع بواسطة أغلبية الأفراد، و ان هذه الطرق تركب هؤلاء الأفراد في مجموعة متعاونة خاصة و متميزة" ([xlii]).

ب-أهمية ثقافة المؤسسة:

يرى كل من **Pederson & Screnssen** أنه يمكن حصر أهمية الثقافة في أربع وظائف كالتالي ([xliii]):

1. أن الثقافة أداة تحليلية من طرف الباحثين، حيث تساهم في فهم التنظيمات الاجتماعية المعقدة.
2. انها أداة للتغيير ووسيلة في عملية التطور التنظيمي.
3. أن الثقافة أداة إدارية لتحسين و تطوير المخرجات الاقتصادية للمؤسسة.
4. أنها تستخدم كأداة حس إدراكي لدى أعضاء المؤسسة عما يدور في البيئة الخارجية المضطربة.

ج-مكونات ثقافة المؤسسة:

تعتبر الثقافة التنظيمية نظاما متكاملا يتكون من مجموعة العناصر المؤثرة على سلوك الأفراد داخل المنظمة، والتي تشكل المحصلة الكلية لطريقة تفكير وإدراك الأفراد العاملين بالمنظمة ([xliv])، و تتمثل هذه العناصر في :

- **القيم:** هي ما يتعلق بالأفكار والمعتقدات والفلسفة التي يقتسمها الأفراد و التي تقود لتحقيق الإنسجام الذي يعكس كفاءة المؤسسة و يعتبرها **بيتر و ووترمان** أساس النجاح الدائم و المستمر و يمكن أن تتخذ القيم شكلين هما :

- **الشكل القولي** : وهو كل ما يبرز في خطابات المؤسسة .
- **الشكل غير القولي:** وهو ما يبرز في باقي متغيرات المؤسسة([xlv]).

- **المعتقدات** : وه ي عبارة عن أفكار مشتركة حول طبيعة العمل والحياة الإجتماعية في بيئة العمل، وطريقة إنجاز الأعمال والمهام ، ومن بين المعتقدات تجد مساهمة المرؤوسين في صنع القرار و المشاركة في العمل الجماعي([xlvi]).

- **الأعراف و التوقعات:** يقصد بالأعراف تلك المعايير المدركة غير الهلموسة التي يلتزم بها العاملون داخل المنظمة ([xlvii]). أما التوقعات تتمثل في التعاقد البس يكولوجي غير المكتوب والذي يعني مجموعة التنبؤات التي يحددها الفرد أو المنظمة كل منهما عن الآخر خلال فترة العمل بالمنظمة .

- **الرموز:** يمثل الرمز معنى خاص يتعلق بالنظام الثقافي للمنظمة كنوع اللباس، المكافئات وتمثل الرموز مرجعية المؤسسة في تكيفها مع البيئة الخارجية([xlviii]).
- **الطابوهات:** و هي ما تود المنظمة إخفاءه وهي كل المواضيع التي يجب عدم الخوض فيها و التي تكون نتاج تجارب مأسوية مرت بها المنظمة و من شأنها إحداث إ ضطراب في صورة العاملين و صورة المنظمة مما يؤثر سلبا على أداء كليهما([xlix]).
- **الأساطير:** وهي المعتقدات المشبعة بالقيم و المبادئ التي يعتنقها الناس ويعيشون بها أو من اجلها ويرتبط كل مجتمع بنسق من الأساطير البعيدة عن الصورة الفكرية المعقدة التي تتضمن في آن كل النشاط الإنساني [l].
- **الطقوس و الشعائر:** تخص الطقوس حجم معين من الأفعال اليومية وهو ما يجعل أغلب النشاطات اليومية يمكن أن تكون شعائرية .
- **الإشاعات:** تعتبر أخبارا لا أساس لها من الصحة تكون في شكل سيناريوهات خيالية توفر نوعا من الترويح عن النفس وإزالة القلق وحالة عدم اليقين لذا العاملين في المنظمة.

د-أنواع الثقافات التنظيمية:

يركز الكتاب على وجود علاقة مباشرة بين الثقافة و النجاح الاقتصادي ، وعموما يمكن تصنيف ثلاثة أنواع من الثقافات([li]) :

- **الثقافات القوية:**

إن المؤسسة ذات الثقافة القوية ترتكز على مجموعة من المبادئ و التطبيقات الواضحة و المحددة [lii] و تتمتع الثقافة القوية بمجموعة من الخصائص منها([liii]):

- الثقة: تشير إلى الدقة و التهذيب و وحدة الذهن و التي تعتبر كأهم عوامل تحقيق إنتاجية عالية .

- الألفة و المودة : تنتج من خلال إقامة علاقات ودية متينة مع الأفراد داخل المنظمة من خلال الإهتمام بهم ودعمهم وتحفيزهم بحيث يكونون عائلة واحدة.

– تشجيع وتحفيز النزعة نحو التصرف، مع التأكيد على الإستقلالية و المبادأة و تشجيع الموظفين و تحمل المخاطر([liv]).

– إرساء تصميم تنظيمي يؤدي لتحفيز الموظفين على بدل جهودهم وصقل مهاراتهم بغية تعظيم العمل الإنتاجي.

- **الثقافة الضعيفة:** هي الثقافة التي لا يتم اعتناقها بقوة من أعضاء المنظمة و لا تحظى بالثقة و القبول الواسع من معظمهم، و تفتقر المنظمة في هذه الحالة إلى التمسك المشترك بين أعضائها بالقيم و المعتقدات، وهنا سيجد أعضاء المنظمة صعوبة في التوافق مع المنظمة و أهدافها وقيمها ([lv]).
- **الثقافات المتطورة** :لقد وصف **رالف كيلمن** الثقافات المتطورة بأنها تلك الثقافة التي ترتكز على فلسفة المنظمة و على الثقة و حب العمل و على التصورات و تذوق المخاطر، فالأفراد في هذا النوع من الثقافات يوحدون جهودهم لحل المشاكل و تنفيذ الحلول بشكل تلقائي. ويرى **توم بيترز** أن الثقافة المتطورة هي التي تعتمد على الزبون([lvi]) و يفسر الثقافة من منظور المستهلكين و بالتالي هي دائما تدخل تغييرات مستمرة آخذة في الاعتبار تغير أذواق المستهلكين و احتياجاتهم لأجل تحقيق ذلك و هو ما يسمح للمؤسسة بالتطور.

2)–ثقافة المنظمة و التغيير:

لم يعد بإمكان الأفراد و التنظيمات وضع حدود و تصورات مطلقة لأنماط التسيير بالنظر للحركية الجدلية بين المفاصل الفرعية داخل المؤسسة و المحيط الخارجي سواء كان محليا أو عالميا مما يفرض ضرورة التلاؤم و تحقيق التغيير بالنسبة للأفراد أولا ثم التنظيمات ثانيا، لأن التحول و التغيير لا يمكن نجاحهما اذا أبدى الأفراد مقاومة شديدة. و يرى **Toffler** ضرورة أن تؤسس التنظيمات بنى مرنة بإمكانها تسهل تحقيق جودة الأداء.

حيث تشكل ثقافة المؤسسة قوة إنتاجية واقعية حقيقية، لأن فعالية المؤسسة و كفاءة أدائها لا يتعلق بالجوانب المادية و التكنولوجية و التنظيمية فحسب، و انما بطبيعة القيم و المعايير التي يتبناها الفاعلون الاجتماعيون فيها، لذا فان عملية تفكيك و تحليل منظومة القيم المرتبطة بالأنماط السابقة في التسيير ليست بالعملية السهلة خاصة إذا أدركنا و جود ميل طبيعي لدى الأفراد و التنظيمات لمقاومة التغيير ([lvii]). و عليه فعدم امتلاك المؤسسة لإستراتيجية مرنة محددة من اجل تسيير أي تغيير قد يظهر في حياتها يجعلها عرضة لمحاولات

إعادة التوازن و الاستقرار أكثر منها لمحاولات تجسيد التغيير، خاصة اذا كان هذا الأخير يمس شبكة العلاقات و المصالح و السلوكيات على أساس جملة من القيم الجديدة مثل: المنافسة، المخاطرة، المبادرة و الشراكة...الخ. ان عمليات تغيير مثل هذه يجب ان تبنى على أساس إرادة حقيقية لمختلف الفاعلين الاجتماعيين لتحقيق الانسجام الداخلي و مواجهة تحديات و أخطار المحيط الخارجي الذي هو في تحول مستمر([lviii]).

أ-التغيير في المنظمة:

لقد بينت العديد من الدراسات السوسيولوجية في مجال علم الاجتماع التنظيم و في مجال الإدارة و التسيير ان فشل المؤسسات الصناعية في مجتمعنا يرجع أساسا إلى تبني المسيرين و كذا العمال لقيم ثقافية قديمة و تقليدية لا تتماشى مع العصرنة و الحداثة التي تفرضها العولمة ومنطق السوق. و بهذا الصدد يشير **عنصر** في احد أبحاثه إلى أن من: "أهم التناقضات التي أفرزتها عملية التصنيع تلك التي وقعت بين الشروط الضرورية لقيام قاعدة صناعية معتمدة على عقلانية صورية و نفعية من جهة، و بنى اجتماعية لا تزال تعتمد في حركتيها على قيم و معايير ذات جذور راسخة في منظومة ثقافية قديمة من جهة ثانية...."([lix]).

ان نقطة البداية في التغيير هي تحديد جوانب السلوك و الأداء المتوقع و دفعها داخل أرجاء التنظيم، بناءا على تشخيص دقيق للوضع الحالي للإطار الثقافي، من خلال تحليل سلوكيات الأعضاء و الطرق التسييرية، و على ضوء النتائج المتوصل إليها يجري التفكير في انسب الطرق لإحداث تغيير يساعد على تجديد نظام القيم السائدة و إحلالها بقيم و ثقافة وقائية تكون معدة لتتلاءم مع التحولات المستمرة. تعتبر عملية التشخيص الثقافي خطوة أساسية لمعرفة مستوى الثقافة السائدة بغية تدعيمها او تصحيح ها و علاج الأخطاء الثقافية او تغييرها كليا ([lx]).

اضافة الى ذلك فان الاكتشاف السريع و الذكي للأمراض التنظيمية و تدعيم المناعة التنظيمية يكون من شانه بناء مناخ تنظيم ايجابي ([lxi]), ان التشخيص الكامل يتعرض لجميع العناصر الداخلية والخارجية عن طريق تقييم مدى صحة المنطلقات الثقافية التنظيمية السائدة و تقييم مدى شمول و تكامل وظائف الثقافة التنظيمية، وتقييم مدى قابليتها لتطوير وظائف جديدة تتناسب مع التغيرات في بيئة المنظمة. إن التغيير يحتاج الى بيئة ديمقراطية شفافة مدعمة لآليات التنافس مع العمل لخلق جيل جديد و قيم ثقافية جديدة في إدارة المؤسسات ([lxii]).

ب- أهم الجوانب التي يمسها التغيير الثقافي:

يمس التغيير الثقافي الجوانب التالية ([lxiii]) :

1- إعادة النظر في طرق وأساليب العمل :عن طريق وضع تقييم إجمالي لطريقة التسيير المنتهجة داخل اطار المنظمة و تشجيع ماهو ايجابي و تصحيح ماهو سلبي.

2- بيئة العمل:عن طريق حصر جميع المتغيرات البيئية و تقييم مدى تأثيرها على مخرجات المنظمة.

3- تقنية المعلومات: ان تقنية المعلومات جعلت من الموظف العادي يستطيع القيام بما يقوم به الخبراء للجمع بكفاءة بين الإدارة المركزية واللامركزية لما توفره تقنية المعلومات والاتصالات من ربح كبير.

ج- الخطوات العملية لإحداث التغيير الثقافي:

يجب اتباع مجموعة من الخطوات، لإحداث التغيير الثقافي، من أهما([lxiv]):

- تغيير السلوكات و العادات القديمة و تفادي الخلط بين العلاقات الانسانية و الشخصية و اهداف و مصالح المنظمة مع التاكيد على اهمية التقويم المستمر.

- دراسة و تشخيص الثقافة السائدة قصد تحديد الجوانب الايجابية و السلبية، العمل على تطوير ماهو ايجابي و القضاء على ماهو سلبي.

-مساهمة القيادات الادارية بالسلوكات الايجابية باعتبارهم القدوة داخل المنظمة، وتغيير نظرتهم الى العاملين باعتبارهم كمورد في المنظمة و ليس كتكلفة.

- العمل على تغيير المعتقدات و الممارسات الخاطئة داخل الادارة الى مبادئ وممارسات ايجابية.

- التعرف على رصيد و معارف و تجارب المنظمات الرائدة و تنشيط و تفعيل الندوات و الملتقيات.

- وضع نظام فعال للاتصال داخل المنظمة لتسهيل انسياب الأفكار داخل المنظمة.

د-عوامل نجاح التغيير الثقافي:

تتطلب نجاح عملية التغيير الثقافي عدة عوامل منها ([lxv]):

- قدرة القادة و المسيرين على مسايرة عملية التغيير الثقافي و مدى توفرهم على المهارات و القدرات المناسبة

– العمل على نشر و تبني قيم سليمة و جديدة في المنظمة بين الادارة و المرؤوسين مما يساعد على توجيه عملية التغيير الثقافي الى وجهة صحيحة رغبة في تحقيق النتائج الايجابية المرجوة.

– محاولة الادارة التقرب من المرؤوسين ومعرفة اتجاهاتهم لاستغلال الايجابي منها و تفادي الاتجاهات السلبية.

– محاولة كسب ولاء المرؤوسين و إقناعهم بعملية التغيير و دفعهم لتقديم افضل انجازاتهم، و هذا لا يتحقق الا بمعرفة دوافعهم و حاجاتهم و رغباتهم و العمل على محاولة اشباعها.

هـ–وسائل التغيير الثقافي:

–**اللغة:** لاعتبار اللغة أداة إيصال المعلومة، فان إحداث التغيير في المنظمة يرافقه إدخال مصطلحات جديدة تحمل قيما و مبادئ جديدة، و بالتالي يجب ان تكون مصطلحات اللغة اكثر مرونة و سهولة و قبولا لدى جميع العاملين، لضمان فعالية التسيير.

–**التعليم و التكوين:** إن تبني فلسفة إدارية جديدة في المنظمة نتيجة إحداث عملية التغيير يتطلب تكوينا للعاملين و تعليمهم مبادئ هذه الأساليب الإدارية الحديثة.

–**الاتصال :**ان عملية الاتصال الفعال تسهل عملية التغيير داخل المؤسسة و ذلك باحاطة العاملين بكل المعلومات الضرورية حول عملية التغيير و بالتالي زيادة رغبتهم في تقبل التغيير بعد فهمهه جيدا.

–**التوقع و الرؤية:** ان التهديدات هي من اهم الأخطار التي تواجه المنظمة، لذا فان النظرة الثاقبة للقادة و قدرتهم على توقع الأسوأ و تنبيه المرؤوسين اليه امر مهم في ضمان تسهيل و تواصل عملية التغيير بازالة كل العواقب في طريقها.

–**الانتظار المعياري:** يقصد يه عملية نقل ما تنتظره المنظمة من العاملين من انجازات على جميع المستويات، و لا يتم ذلك الا من خلال وضع المعايير و الممارسات الضرورية و تحديدها ليتقيد العاملين بها.

–**الموضة:** يقصد بها الأفكار و الآراء في ميدان الإدارة و التسيير، الذي يشهد تعدد الموضات الادارية منذ ظهور مبادئ الإدارة إلى يومنا هذا، اذ يجب ان تكون هذه الموضة جريئة و فعالة بما يكفي لاحداث التغيير .

-**الأمثلة و النماذج:**وجود قدوة صالحة في المنظمة للاقتداء بها امر ضروري للايمان بالتغيير من طرف المرؤوسين و العمل على إنجاحه.

-**وسائل و أدوات أخرى :** منها الأداء الجيد، الالتزام ببرامج العمل و احترام عملية التنفيذ في الوقت المحدد، العمل الجماعي، و القيم و المبادئ الأساسية في العمل الإداري.

و-عوامل فشل التغيير الثقافي في المؤسسة

يفرض منهج ادارة الجودة الشاملة احداث تغيير ثقافة المؤسسة لتوحيد الطاقات والإمكانيات نحو تحقيق اهداف استراتيجية المؤسسة غير ان هذا المبتغى لا يتحقق نظير تعرضه لمجموعة من الحواجز منها([lxvi]):

- تجاهل قيم ومفاهيم الأفراد و الثقافة التنظيمية للمؤسسة،
- الاكتفاء بالنتائج المتواضعة التى تحققها المؤسسة في بداية انتهاج اسلوب ادارة الجودة الشاملة،
- التراجع المبكر في منهج ادارة الجودة الشاملة،
- عدم البدء بعمليات التغيير وتبينها من قبل قمة الهرم الاداري،
- دفن اهداف عمليات التغيير وسط جداول اعمال،
- محاولة تنفيد عمليات التغيير مع محاولة ارضاء الجميع بما يتعارض مع الاهداف .

3)-الجودة الشاملة والتغيير:

أ-الجودة الشاملة:

يشير **جابلونسكي** إلى أن مفهوم إدارة الجودة الشاملة كغيره من المفاهيم الإدارية التي تتباين بشأنه المفاهيم والأفكار وفقاً لزاوية النظر من قبل هذا الباحث أو ذاك "إلا أن هذا التباين الشكلي في المفاهيم يكاد يكون متماثلاً في المضامين الهادفة إذا أنه يتمحور حول الهدف الذي تسعى لتحقيقه المنظمة والذي يتمثل بالمستهلك من خلال تفاعل كافة الأطراف الفاعلة في المنظمة".

ب-تعريف إدارة الجودة:

إن تباين مفاهيم وأفكار إدارة الجودة الشاملة وفقاً لزاوية النظر من قبل الباحثين انعكس بشكل واضح على عدم وجود تعريف عام متفق عليه من قبلهم إلا أن هناك بعض التعاريف التي أظهرت تصور عام لمفهوم **الجودة**. ويمكن ملاحظة التعاريف التالية:

منظمة الجودة من وجهة النظر البريطانية: "أنها الفلسفة الإدارية للمؤسسة التي تدرك من خلالها تحقيق كل من احتياجات المستهلك، وكذلك تحقيق أهداف المشروع معاً".

أما **وجهة النظر الأمريكية فتعرفها كما يلي :** "إدارة الجودة الشاملة هي فلسفة وخطوط عريضة ومبادئ تدل وترشد المنظمة لتحقيق تطور مستمر وهي أساليب كمية بالإضافة إلى الموارد البشرية التي تحسن استخدام الموارد المتاحة وكذلك الخدمات بحيث أن كافة العمليات داخل المنظمة تسعى لأن تحقق إشباع حاجات المستهلكين الحاليين والمرتقبين".

ولتحقيق مفهوم إدارة الجودة الشاملة ثمة سبعة عناصر هي([lxvii]):

1-**الإستراتيجية** :وتعني الرؤية الكلية التي تحكم فكر وعمل و أهداف فريق اعمل في إطار المنظومة.

2-**الهيكلة** :استخدام التشكيلات الإدارية المناسبة لتحقيق الاستراتيجية بما يتضمنه ذلك من إعادة تغيير الأنماط السائدة في العلاقات والعمل.

3-**النظم** : لكي تؤدي الأعمال بصورة صحيحة ويتم ذلك بالمرونة والابتكار.

4-**العاملون** :وهم أهم عنصر في تحقيق الجودة الشاملة بتأكيد أسلوب الرقابة الذاتية بالاشراك الوظيفي والإدارة بالأهداف.

5-**المهارات** :أي ضرورة استثمار لكل المهارات الحالية والكامنة لدى الأفراد في منظومة.

العمل وتشجيع الابتكار والتطور فيها للتغيير المستمر إلى الأفضل.

6-**النمط** : ويعني نمط القيادة الذي يقود إدارة الجودة في النظام. .

7-**القيم المشتركة** : وهي نظم القيم السائدة التي يجب أن تؤمن بمفهوم الجودة الشاملة في ثقافة تنظيمية يتفق عليها، وتكون بمثابة معايير وقائية من أي انحراف عن الأهداف.

ج-التغيير الثقافي و الجودة الشاملة:

تظهر الدراسات المعاصرة طبيعة العلاقة التداخلية بين ثقافة المؤسسة و تحسين الأداء ([lxviii]) ففي استقصاء لـ **615** مديرا في بعض منظمات الأعمال الدولية في الولايات المتحدة الأمريكية رأت نسبة **43** منهم ان التغيرات في ثقافة المؤسسة هي جزء أساسي و متمم للجودة و تحسين الأداء. و بما أن الثقافة المؤسسية تتشكل من المعتقدات و التوقعات المشتركة لمدراء و قادة المؤسسة و التي تشكل بالأساس: رسالة المؤسسة، مبادئها، ادواتها، استراتيجية المؤسسة، فقط لوحظ ان المؤسسات الدولية تعمل على تصميم توقعات تنظيمية تحدد مسارها الوظيفي، خصوصا المنظمات متعددة الجنسيات ، ويتطلب التطبيق الفعال لإدارة الجودة الشاملة تغييرا هاما في الثقافة التنظيمية المرتبطة بسلوك المرؤوسين في المنظمة، كي تصبح هذه الجودة نظاما أساسيا في إدارة المنظمة و جزءا من الممارسات اليومية لوظائف المنظمة.

-**تعريف ثقافة الجودة:** يقصد بها مجموعة من القيم ذات الصلة بالجودة التي يتم تعلمها بشكل مشترك من اجل تطوير قدرة المنظمة على مجابهة الظروف الخارجية التي تحيط بها و على ادارة شؤونها الداخلية ([lxix]).

د-التغييرات الثقافية المطلوبة بغرض تطبيق ادارة الجودة الشاملة:

لتطبيق مفهوم ادارة الجودة الشاملة داخل ادارة المنظمة لابد من احداث التغييرات الضرورية في الثقافة التنظيمية لضمان فعالية تطبيق هذا المفهوم الاداري الحديث ([lxx])، ان عملية ارساء ثقافة الجودة داخل المنظمة ليست بالأمر الهين، لأن ذلك يحتاج الى وجود قيادة ادارية محنكة تعمل على ترسيخ فكرة الجودة داخل المنظمة.و تتطلب عملية نشر و ترسيخ ثقافة الجودة جهودا مهمة يمكن حصرها فيما يلي:

1 خلق ثقافة ادارة الجودة الشاملة: و لا يتحقق ذلك الا من خلال توافر السبعة عناصر السابقة الذكر.

2 نشر و ترويج ثقافة ادارة الجودة الشاملة: تقع هذه المسؤولية على عاتق ادارة المنظمة، و لتحقيقها لا بد من الوفاء بعدة التزامات أهمها:

- تحسيس الفرد و اشعاره باهميته داخل المنظمة،
- ان يكون القائد قدوة مثلى للأفراد داخل المنظمة،
- ايجاد قيم مشتركة لتطوير روح التعاون بين الجميع في المنظمة،
- تغيير الرموز بما يجسد خلق التغيير الثقافي الذي يعتبر اساس تطبيق ادارة الجودة الشاملة،

– شرح قواعد مفهوم ادارة الجودة الشاملة و تشجيعهم على العمل بها،

– الاتصال المستمر بين العاملين داخل المنظمة و تحفيزهم و تشجيعهم لزيادة خدمة الزبائن،

– تشجيع العمل الجماعي من خلال فرق تحسين الجودة،

– حث العاملين على تفادي ومنع نقل الخطا الى المرحلة التالية، و التركيز على تسليم الجودة من مرحلة لأخرى.

هـ–ادارة الجودة الشاملة ومقاومة التغيير:

ان تطبيق ادارة الجودة الشاملة في المنظمة قد يواجه مقاومة من طرف بعض العاملين، وقد تكون هذه المقاومة مفيدة أو غير مفيدة الأمر الذي يحتم على الادارة معالجة هذه المقاومة ومحاولة احتوائها.

1 – مقاومة العاملين لادارة الجودة الشاملة([lxxi]):

قد ترجع هذه المقاومة لجهل العاملين بحقيقة واهداف ادارة الجودة الشاملة، او لعدم مشاركة العاملين في التخطيط و صناعة ادارة الجودة الشاملة، او لرضاهم عن الوضع الحالي و عدم وجود ضرورة لدخول غمار التحويل.

2 – التعامل مع مقاومة التغيير:

ان استخدام ثقافات و مفاهيم جديدة قائمة على مبادئ الجودة يجب ان يسبقه تقبل الجميع للبرنامج و التغلب على مقاومتهم المتوقعة للتغيير، وهذا لا يتحقق الا بـ:

– وضوح رؤية و استراتيجية المنظمة وتفهمها لآراء جميع العاملين

– التركيز على التدريب و التعليم للعاملين و المشرفين داخل المنظمة

– تطوير روح القيادة و المسؤولية داخل جماعات الأفراد

–المشاركة الجماعية و تكوين فرق تحسين العمليات والاتصال داخل المنظمة

– تحسين بيئة العمل والاهتمام بالحوافز و المكافآت و الالتزام باخلاقيات العمل

الخاتمة:

ان قبول التغيير يبدأ من خلال مراجعة ومساءلة كثير من الممارسات، السلوكيات و المواقف بهدف تحرير عملية التفكير، ومن اجل تحطيم الأطر الصلبة التي لم تؤد الا لتقييد الكفا ءات و تهميشها و اضعاف القدرات،لا بد من التركيز على البدء في عملية التغيير على فئة الاطارات بالدرجة الأولى الذين تقع المسؤولية عليهم في مواجهة التحديات المطروحة، ومن اهم هذه التحديات ادارة الجودة الشاملة التي تعتبر منهج شامل للتغيير، حيث ان تطبيقه يحدث تغييرا في جميع الجوانب بدءا من المنظمة نهاية بالأفراد، ان ادراة الجودة الشاملة تعد من اهم مداخل التغيير في المنظمة حيث ان العمل بها يؤدي الى اتخاذ انسب القرارات لتطوير و تحسين الأداء. ان الالتزام من قبل اي منظمة بتطبيق منهج ادارة الجودة الشاملة يعني قابليتها لتغيير سلوكيات الأفراد رغبة منها في تحقيق رضا العميل.

وبهذا الصدد يقترح البحث التوصيات التالية:

– تطوير ميثاق اخلاقي يلزم الاداريين التقيد به اثناء ممارساتهم لواجباتهم على اختلاف الوظائف و المسؤوليات الأمر الذي يهيء الأفراد لتقبل اي تغيير ايجابي في المنظمة،

–الاستفادة من المدارس المختلفة في مجال التدريب و التوظيف و تطوير راس المال البشري،

–تكييف انظمة قوانين في مجال مسؤوليات الموظف و حقوقه في القطاعين العام والخاص،

– الاهتمام بتكوين الأفراد و المرؤوسين داخل المنظمات بغرض تحسين مستوياتهم و صقل مهاراتهم.

حوليات جامعة بشار
Annales de l'Université de Bechar
N°10, 2011, 10 العدد
ISSN : 1112-6604

التنشئة الاجتماعية للتلميذ المراهق والنظام الايديولوجي بالوسط الريفي

أ. ميهوبي اسماعيل
جامعة العربي تبسي –تبسه–
Mihoubi.smail@yahoo.fr

ملخص:

يرتبط مصطلح التنشئة الاجتماعية بالنمو الاجتماعي للفرد خلال مراحل النمو المتباينة ، وتظهر المراهقة كمرحلة هامة تبرز خلالها معالم شخصية الفرد في جوانبها المختلفة: اجتماعيا، معرفيا، نفسيا، ثقافيا و إيديولوجيا، وكلها تؤدي أدوار تأثيرية متبادلة بينه ومع مجتمعه، وتظهر نتائجها على مستويات الحياة المختلفة تبعا لطبيعة المجتمع المحلي الذي ينتمي إليه الفرد، ومنه المجتمع المحلي الريفي الذي تحكمه منظومة ايكولوجية وثقافية مترابطة، وتمارس فيه النظم الاجتماعية تأثيراتها على حياة الأفراد والجماعات، لاسيما النظام الإيديولوجي الذي يعتبر حلقة وصل بين النظم الاجتماعية المختلفة، ويؤثر بشكل مباشر على التنشئة الاجتماعية للتلاميذ المراهقين خاصة في مسار تعلمهم المدرسي.

Résumé : Associé à la socialisation terme pour développer le social à l'individuel à travers les étapes de la croissance, différenciées, et montrer une étape adolescente, une évidence importante qui dispose de la personnalité individuelle dans ses différents aspects: social, cognitif, psychologique, culturel et idéologique, qui tous les rôles principaux de la mutuelle sympathie entre lui et avec sa communauté, et de montrer des résultats sur les niveaux de vie différentes selon la nature de la communauté dans laquelle l'individu appartient, et de la communauté rurale qui est régi par le système, interdépendants écologique et culturel, et exercés par l'impact social des systèmes sur la vie des individus et des groupes, en particulier l'idéologique, qui est un lien entre les différents systèmes sociaux, et influe directement sur la formation adolescents sociale notamment pour les élèves au cours de leur apprentissage à l'école.

مقدمة: يرى سوسيولوجيو التربية أن تنشئة الأفراد لا يمكن تحقيقها إلا في إطار علاقات تبعية متباينة interdépendants بين جميع مكونات المؤسسات التوجيهية الساهرة على التنشئة، ويصلون في الأخير إلى اختزال هاته المؤسسات في اثنان: المؤسسة الأسرية و المدرسية لأهميتهما التربوية البالغة، دون أن نتناسى أدوار باقي المؤسسات.

وأمام التغير الذي عرفته المجتمعات البشرية من خلال تغيير الوظائف والأدوار التربوية للأسرة، وجدت هاته الأخيرة نفسها غير قادرة بل أمام مفترق طرق في ممارسة أدوارها التربوية، ف كانت حاجة المجتمع إلى المدرسة كمكمل هام لأدوار الأسرة و أهدافها.

وجدت المدرسة كإحدى مؤسسات المجتمع المدني التي تنتظم في نسق كلي وفق قواعد محددة، وتخصصت تاريخيا في مجال الممارسة التربوية والثقافية، وقد نشأت في المجتمع البشري الذي عرف تقسيم العمل وتشكل الدولة لتكون رديفا للأسرة في تلقين النشء مختلف المعارف التربوية والثقافية، وهي تؤدي دورها هذا المنوط بها تحت هيمنة الدولة والطبقة السائدة، فهي إحدى أجهزة الدولة الإيديولوجية في مجال الفعل التربوي، وهي تمارس دورا أساسيا في إعادة إدماج العلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع محققة هيمنة الدولة وسيادتها بواسطة الإقناع والتراضي حسب تعبير **غرا مشي**، أو بواسطة عنف وقسر يختلف عن عنف الدولة المادي بكونه عنفا رمزيا حسب **بورديو**.

إن الإشكالية التي تطرح نفسها وبإلحاح داخل حقل سوسيولوجية التربية اليوم، هي علاقة المؤسسة المدرسية بمحيطها الاجتماعي، وكيف يمكن تحويلها من مجرد آلة لتكوين أطر الدولة وإعادة إنتاج ذاتها في الزمن، إلى مؤسسة تعليمية تعمل على إعداد أفراد فاعلين ومندمجين داخل المجتمع.

إن اللامساواة في الحظوظ الملاحظ من خلال النتائج الدراسية، وعدم تكافؤ الفرص بين الذكر والأنثى، بين الريفي والحضري، وبين مختلف أبناء الفئات والشرائح الاجتماعية يطرح علاقة الإيديولوجيا بالتنشئة التعليمية عامة، وفي الريف على وجه الخصوص لما يتميز به هذا الوسط من خصوصيات ومرجعيات ثقافية واجتماعية تصقل

شخصية التلاميذ فيها لاسيما المراهقين، فتبنى خلالها شخصياتهم الاجتماعية التي تحدد توجهاتهم الفكرية ثم طموحهم المعرفي فالمهني فيما بعد.

الايديولوجيا إذن مرتبطة بعلاقة جدلية وطيدة بالمؤسسة المدرسية حيث تحدد أهداف التربية وغاياتها ومناهجها وأغراضها القريبة والبعيدة المدى، يقول **بورديو**: إن الإنتاجية الخاصة بالعمل البيداغوجي تقاس موضوعيا بدرجة أثرها الخاص في التلقين الإيديولوجي [1]، ويذهب **آلان تران** في نفس الاتجاه حينما يؤكد أن المدرسة ترسل القيم وأن طبيعة هذه القيم ترتبط في أهداف معينة قد تكون تدعيما لقيم معينة أو تأصيلا لقيم جديدة تتماشى والتغير الاجتماعي [2].

وإن كانت المدرسة في المجتمعات الليبرالية تبني أهدافها انطلاقا من المشروع الاجتماعي والإيديولوجي حيث تسعى لتعزيز القيم الليبرالية ومفاهيم الفردية والحرية الشخصية وتكرس العقلية العلمية، فهل هي كذلك بالنسبة لدول العالم الثالث؟

سنحاول خلال هذا العرض الإجابة على تساؤل الإشكال الذي يتضمن مدى تأثير النظام الإيديولوجي السائد بالوسط الريفي على عملية التنشئة الاجتماعية (التعليمية خاصة) للتلاميذ المراهقين معتمدين على تسلسل الأفكار الآتي:

1- التنشئة الاجتماعية عملية اجتماعية: التنشئة الاجتماعية مصطلح لمفهوم يشتمل على عمليات مختلفة ومتعددة أهمها تكوين الأنا، ومن المصطلحات البديلة لهذا المفهوم التطبيع أو التطبع الاجتماعي، تتداول في صيرورة مراحلها مؤسسات مختلفة: الأسرة، المدرسة، الجماعات المرجعية، جماعات الرفاق، مختلف الوسائل الإعلامية و مراكز الخدمات والنشاطات الاجتماعية، وهي وسيلة يتعلم عن طريقها الفرد كيفية إشباع حاجاته الأساسية ويتعلم المعاني ويدرك المفاهيم ويكون حصيلته الاجتماعية (الإطار المرجعي) وما يشملهمن عادات وتقاليد وأعراف ومثل وأخلاقيات، وبناءا على الخبرات التي يستقيها الفرد من الأسرة والمدرسة والمجتمع يكتسب إدراكا مميزا لمختلف المواقف التي تمكنه من اختيار الطرق التي يتصرف ويتعامل بها مع مختلف المواقف.

تناول **دوركايم Durkheim** باعتباره من الأوائل الذين ذكروا مفهوم التنشئة الاجتماعية Socialisation في سياق حديثه عن العملية التربوية هذا المفهوم (التنشئة الاجتماعية) باعتبارها عملية انتقال الفرد من حالته اللااجتماعية البيولوجية إلى حالته الاجتماعية الثقافية، فوظيفة التنشئة تتمثل في إزاحة الجانب البيولوجي من تركيبة الفرد لصالح النماذج الخاضعة للسلوك الاجتماعي المنظم، وتعمل التنشئة على تكوين الضمير الجمعي للاندماج في الحياة الاجتماعية، فهي تكوّن الفرد لا على حساب ما حددته الطبيعة إنما على حساب ما يريده المجتمع، وهي الوسيلة التي يستخدمها المجتمع لإعادة إنتاج شروط الحياة الاجتماعية والثقافية.

وحسب **موندرا Henri Mondra** فهي نتاج التفاعل بين البيولوجي والمعطيات الاجتماعية الثقافية ، وتعتبر تجربة التفاعل التي يسميها التاريخ الشخصي موضوع التنشئة، وهي نتاج ثلاث معطيات: المعطى البيولوجي، المعطى الثقافي والسيرة الذاتية للفرد .

كما اعتمد **ماكس فيبر Max weber** في تحليله التنشئة الاجتماعية على المفاهيم الأولية خاصة ما تعلق بمفهومي الجمعوية Communalisation والمجتمعوية Sociation، حيث تتعلق الجمعوية بعلاقة اجتماعية من خلالها يرتكز تنظيم الفعل الاجتماعي على الشعور الذاتي للانتماء إلى نفس المجموعة، أما المجتمعوية فهي تتعلق بعلاقة اجتماعية يرتكز فيها تنظيم الفعل الاجتماعي على حكم المصلحة المبررة عقلانيا أو على إشراك مجموعة مصالح مبررة بنفس الطريقة، و من خلال هذين المفهومين يضع **فيبر** في طرفي نقيض شكلين عامين لتوجيه سلوك الفرد اتجاه سلوك الآخر، ما يسميه من جهة بالفعل التشاركي Communautaire أو عملية الدخول في الجماعة والذي يترجم في شكل التنشئة التشاركية، وما يسميه من جهة أخرى بالفعل المجتمعي sociétaire أو عملية الدخول في المجتمع والتي يمكن أن تترجم في شكل التنشئة المجتمعية.

بناء على ما سبق ذكره فإن التنشئة الاجتماعية عملية تراكمية وتراتبية تؤسس لإنجاح أهدافها مؤسسات متنوعة ومنها المدرسة.

1-1- المدرسة مؤسسة تنشئة اجتماعية : اشتقت كلمة المدرسة **لغويا** من اللغة اليونانية التي تعني الفراغ[3].

يعرفها **فرديناند بويسون** المدرسة مؤسسة اجتماعية ضرورية تهدف إلى ضمان عملية التواصل بين الأسرة و المجتمع من أجل إعداد الأجيال الجديدة ودمجها في إطار الحياة الاجتماعية [4]، أما **تورستان** المدرسة عنده مؤسسة اجتماعية رسمية تقع تحت سيطرة الوصاية المباشرة للسلطة السياسية تعيد إنتاج الإيديولوجيا الغالبة ويتواجد هذا النوع من المدارس في العالم الثالث [5]، وجاء تعريف **دوركايم** للمدرسة باعتبارها تعبيرا امتيازيا للمجتمع الذي يوليها بأن تنقل إلى الأطفال قيمة ثقافية واجتماعية يعتبرها ضرورية لتشكيل الراشدين وإدماجهم في بيئتهم ووسطهم[6]، بينما **إليتش** فالمدرسة عنده مكان يجتمع فيه أشخاص من سن معينة حول معلم و هم مجبرون على الحضور وإتباع بعض البرامج [7] وينظر **هربرت سبنسر** للمدرسة على أنها منظمة اجتماعية ذات طابع خاص [8] ليست للتعليم فحسب بل تمارس ألوانا من التفاعل الاجتماعي كالتعاون والتفاعل والتنافس والصراع، أما **ديوي** فيرى في المدرسة مؤسسة اجتماعية أساسا لذلك يجب أن تشمل على الأهداف الاجتماعية والفردية معا والعمليات الاجتماعية داخل المدرسة ينبغي ألا تختلف جهودها عن العمليات خارجها فالمدرسة ليست إعدادا للحياة بل هي الحياة نفسها[9]، ويعرفها **النجيحي** بأنها مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع لتقابل حاجة من حاجاته الأساسية وهي تطبيع أفراده تطبيعا اجتماعيا يجعل منهم أعضاء صالحين في المجتمع [10] ، أما **ب دمبرجي** فالمدرسة واحدة من المؤسسات الاجتماعية التي أوكل لها المجتمع رسميا مهمة التربية والتي يستمد منها المتمدرسون معالم هويتهم ، فهي تختلف عن الأسرة أو جماعة الرفاق التي تتبنى التقليد في عملية التلقين كونها تعيد إنتاج خطابها الإيديولوجي.

لقد أجمعت هاته التعاريف وجهات نظر تؤكد الدور الهام للمدرسة كمؤسسة اجتماعية مخولة بتطبيع التلاميذ تبعا لمنظومة مجتمعية محيطة تسعى لتحقيق أهدافها ضمن إطار التنشئة الاجتماعية لهم، وإن كانت كذلك فهي تختلف تبعا للتسلسل العمري للتلاميذ و دون أن نميز مرحلة عن أخرى، تبقى المراهقة من المراحل الهامة في تكوين شخصية الفرد و تحقيق اجتماعيته خلالها.

2– المراهقة : تعتبر المراهقة مرحلة جديدة بالنسبة للفرد الذي تجاوز مرحلة الطفولة، حيث تزداد أهمية العلاقات الاجتماعية بالنسبة له و تتفاقم صراعاته و تتغير انفعالاته ويحقق من خلالها ذاته [11]، كما أنها مرحلة الانتقال من الطفولة إلى الشباب وهي فترة معقدة من التحول والنمو [12]، إن مراحل النمو هاته تجعلنا نقف عند كل نوع:

النمو البيولوجي: يقصد به تلك المرحلة التي تبدأ من بداية البلوغ أي بداية النضج الجنسي حتى اكتمال نمو العظام[13].

النمو العقلي: يعبر عن ذلك بالاتجاه نحو التمايز الذي يكسب حياة الفرد أنواعا من الفعالية تساعده على إعداد نفسه للتكيف الصحيح مع البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها [14] ويؤدي اكتمال تطور العقل الموازي للنضج إلى سلوك راشد [15]. النمو الانفعالي: حيث تختلج نفس المراهق ثورات تمتاز بالعنف والانفعال، كما تساوره من وقت لآخر أحاسيس بالضيق والتبرم والزهد[16].

النمو الاجتماعي: يفسر على أنه فترة من حياة الفرد تبدأ من نهاية طفولته وتنتهي عند بداية بلوغه سن الرشد، وهي فترة انتقالية يمر المراهق من خلالها إلى الاستقلال عن أسرته، إلى أن يصبح شخصا مستقلا بذاته[17]، غير أن هذا الانتقال يعتمد كل الاعتماد على أسرته، ويتطلب توافقا جديدا تفرضه ضروريات التمييز بين سلوك الطفل والراشد.

يربط **Stanley hall** بين الناحيتين النفسية الانفعالية والاجتماعية في تحديده مفهوم المراهقة فيرى بأنها فترة عواطف و توتر و شدة تكتنفها الأزمات النفسية وتسودها المعاناة، الإحباط، الصراع، القلق والمشكلات وصعوبات التوافق[18]، ومن هذا المنطلق فهي عملية بيولوجية عضوية في بدايتها وظاهرة اجتماعية في نهايتها، كما أن مجمل التحولات البيولوجية والفيزيولوجية التي يمر بها المراهق تؤدي إلى سلسلة من التغيرات النفسية تدفعه إلى الاستقلال عن أسرته وتكوين روابط وعلاقات اجتماعية مع الآخرين . ولما كانت المراهقة مشحونة بجملة من التحولات الممتدة حسب أطوارها المختلفة فإنها تشكل مرحلة حساسة ذات أثر بيولوجي ، عقلي، نفسي و اجتماعي واضح، وعن طريقها ينتقل الفرد من مرحلة الطفولة إلى الرشد، و هي تتميز بخصائص معينة تبنى على أساسها معالم شخصية الفرد التي يرد عليها المراهق بسلوكات معينة، كما أنها تختلف تبعا لطبيعة المجتمع المحلي الذي ينتمي إليه المراهق ومنه المجتمع المحلي الريفي.

3- المجتمع المحلي الريفي : يشير المجتمع المحلي إلى جماعة من الأفراد يصنفون طبقا لمعيار معين، يرى **نيسبت R.Nisebt وبراونل B.Brownell** أن المجتمع المحلي وحدة نفسية يكتسب الأفراد من خلالها شعورهم بالانتماء والاستقرار النفسي، أما **أموس هاولي** فالمجتمع المحلي حسبه هو تلك الرقعة المكانية التي يرتبط

بها الأفراد والتي من خلالها يتم التكامل واستجابة متطلباتهم اليومية وخصائصها .

ماكيفر يؤكد أن المجتمع المحلي حيز للحياة المشتركة والعامة بما يحويه هذا الحيز من عوامل فيزيائية، بيولوجية، نفسانية و اجتماعية، و يؤدي إلى تشابه بين الأفراد الذين يعيشون بداخله ويشكلون طريقة للحياة وخصائص مشتركة[19].

و لما كان الريف جزءا من المجتمعات المحلية انطلق **عبد الرحمان بن خلدون** في دراسته له من العوامل الاقتصادية ومن خلالها ربط جميع التفاعلات الاجتماعية و نوعية الروابط بين الأفراد، و يبقى في نظره الاقتصاد يمثل العصب الحقيقي للتجمعات السكانية ونوع النشاط الاقتصادي هو الذي يحدد طبيعة العلاقات السلوكية والاجتماعية، وما يترتب على ذلك من بناء القرابة والسلطة والدفاع إلى غير ذلك من الأمور الاستهلاكية الأخرى والأسعار والتنظيم[20]، كما تطبع البيئة حياة الريفيين في علاقاتهم وسلوكاتهم حيث تسودهم طبائع الرضا والقناعة والتعاون فيما بينهم واعتمادهم على الأرض و تأسيسا على ذلك يقرر **ابن خلدون** متانة العلاقات الاجتماعية التي تربط الأفراد، كما أنهم يعزفون حياة الترف و طلب الكماليات، إن خصائص الحياة الريفية تنعكس على ثقافتهم فتصبح هاته الأخيرة متواضعة، بسيطة وأولية، ولكنها معبرة أصدق تعبير عن حياة الجماعة فيها في كل مجالات الحياة، إلا أنه يجب أن ننوه بأن هاته الخصائص خاضعة لكل أنواع التغير التي يعيشها المجتمع، فالتحولات لا تمس الجوانب المادية فقط بل هي تصيب الجوانب الثقافية و الاجتماعية للمجتمع المحلي أو الكلي.

أما **ريدفيلد** فتوجه إلى وضع المتصل الريفي الحضري (البدائي – الريفي – الحضري)، فوصل إلى أن المجتمع الريفي هو درجة متقدمة بالنسبة للأول (البدائي) وفي كل المجالات، كما أنه يتطلع إلى الحياة الحضرية وما تشتمل عليه من صناعة و تجارة و معرفة متنوعة، كما اهتم بالجانب الثقافي وتأثيره في تكوين الشخصية لأنه يعتقد أن البعد الثقافي ذو أهمية بالغة في ترابطات الجماعة ضمن علاقات معينة يمكن وصفها بالسطحية أو المتينة، فالمجتمع في اعتقاده يتجه من ثقافة بسيطة دعاها (الشعبية folk)إلى ثقافة عامة معقدة أكثر اتساعا وتنوعا تمثل حياة المدينة ، وعليه يمكن كشف السمات التي تتكون منها الظاهرة الريفية وتفكيك رموزها المعقدة في إطار مجموعة نظم اجتماعية مختلفة تؤثر في تنشئة التلاميذ لاسيما المراهقين بهذا الوسط(الريف)،

ومنها النظام الإيديولوجي. **4- الايديولوجيا:** إذا عدنا إلى المدلول اللغوي الاشتقاقي لكلمة إيديولوجيا ذات الأصل اليوناني(فكرة=idea) و(logos=علم) فهي تعني علم الأفكار ، ومبتكر لفظة إيديولوجيا هو الفرنسي **ديستوت دوتراسي Destutt de Tracy** وتعني عنده العلم الذي يدرس الأفكار بالمعنى الواسع لكلمة أفكار، أي مجمل واقعات الوعي من حيث صفاتها وقوانينها وعلاقتها بالصفات التي تمثلها[21].

أعطى **انجلز** تحديدا موسعا للإيديولوجيا حيث قال أن الإيديولوجيا صيرورة يقوم بها المفكر المزعوم عن وعي بلا شك، ولكنه وعي خاطئ، أما القوى الحقيقية التي تحركه فتظل خفية عليه وإلا فإننا لا نكون تجاه صيرورة إيديولوجية[22]. وقد تضمن تعريف **كارل ماركس** للإيديولوجيا اهتمامه بتاريخ الأفراد، فالإيديولوجيا كلها ترد إما إلى تصور خاطئ لهذا التاريخ [23] و إما إلى عملية تجريد كاملة لهذا التاريخ[24].

أما **أنطونيو غرامشي** فالإيديولوجيا حسبه تساوي الفلسفة والنظرة الكونية الشاملة أي مجمل الأفكار التي تحرك مجتمعا ما وتشمل القيم والمعتقدات [25]، وفي حين يعتبر **ماركس** الإيديولوجيا وعيا زائفا فإن **غرامشي** يعتبر أن لها وجودا موضوعيا مثل الاقتصاد، وتعبر عن وجودها في مؤسسات وأجهزة مختلفة يتم الصراع على أرضيتها. إن الصراع الإيديولوجي يجري في المجال الفكري والسياسي والقيمي والأخلاقي من خلال الأجهزة الإيديولوجية وبالتالي يمكن أن تتحقق سيطرتها المعبرة عن المرحلة التاريخية الجديدة التي تساعد على الوصول إلى السلطة، لأن الإيديولوجيا في الأخير هي سيطرة طبقة على أخرى، طبقة حاكمة و أخرى تابعة (دول العالم الثالث خاصة).

التبعية إذن هي ظرف موضوعي تشكل تاريخيا ينطوي على مجموعة علاقات اقتصادية، ثقافية، سياسية، عسكرية وتربوية تعبر عن شكل من أشكال تقسيم العمل على الصعيد الدولي يتم بمقتضاها توظيف موارد مجتمع معين مجتمع متخلف أو تابع لخدمة مصالح مجتمع آخر أو مجتمعات أخرى مجتمعات متقدمة صناعيا خاصة[26].

تتضح ملامح التبعية وبخاصة في القطاع الفلاحي(الريف) لبلدان العالم الثالث، أين هجر الفلاح ون أراضيهم وتركوا المناطق الريفية بحثا عن لقمة العيش خارج نطاق القطاع الريفي وفقدوا تدريجيا أراضيهم ونزحوا إلى المناطق الحضرية سواء في الداخل أو في الخارج بمعنى العمل في مناطق أخرى غير مجتمعاتهم، وتحولوا إلى ما يمكن أن نطلق عليه "بروليتاريا هامشية" تعيش خارج نطاق النسق الإنتاجي في المجتمع [27].

إن خبرة الصراعات اليومية على المستوى المحلي أو ما يمكن أن نطلق عليه إعادة إنتاج الصراع الاجتماعي Reproduction of Social Conflit من شأنها إتاحة الفرصة لتشكيل و بلورة الوعي الاجتماعي لدى مجموعات الفلاحين الريفيين المشتركين في عمليات الصراع، وهي بذلك تؤثر في مستويات عدة على حيا تهم خاصة في مستو ى أفكارهم وتطلعاتهم التربوي ة.

إن أي فكر تربوي أو أي ممارسة تعليمية تعبر بالضرورة عن فئة أو طبقة أو مجتمع و تخدم مصالحها، بل إن أي فكر أو ممارسة اجتماعية (سياسية، اقتصادية، أخلاقية أو غير ذلك) في حقيقتها تعبر عن مصالح فئة أو طبقة اجتماعية معينة، والتنشئة الاجتماعية بمؤسساتها المختلفة خاصة المدرسة ليست حيادية فالتأكيد بأن التربية –المدرسة– محايدة، هو بحد ذاته إيديولوجية تقدم لن ا، وهنا تتم عملية **أدلجة** للمعرفة والقيم التي يتم تلقينها للتلاميذ بالمدارس، فالمدرسة تؤكد أن المعرفة التي تقدمها للأفراد تساعد على المشاركة في قيادة المجتمع ، كما أنها تقدم في آن واحد المعرفة والقيم التي تبثها وتضفي عليها علاوة على ذلك طابع وصفة الشرعية، ومن هنا فليست المدرسة كمؤسسة اجتماعية مجرد وسيط (محايد) لنشر المعرفة والعلم –الايد يولوجيا– أو مكان يتم فيه الاتصال ما بين المعرفة والتلاميذ، بل هي تعبير عن الايديولوجيا السائدة وأحد الأدوات الهامة لتعليمها ونشرها.

فالتلميذ يجد نفسه محاصرا بين جهاز الدولة العائلي، و جهاز الدولة المدرسي و أكثر طوعية وخنوعا للمواد الملتصقة با لإيد يولوجيا المسيطرة(الحساب، التاريخ الطبيعي، العلوم، الآداب) أو الإيد يولوجيا المسيطرة في حالتها الصامتة (الأخلاق، التربية، الفلسفة، المنطق) ثم حوالي المراهقة يتوجه جزء كبير منهم إلى الإنتاج ، إنهم العمال أو الفلاحون الصغار، ويتابع الجزء–القسم– الآخر منهم دراسته، و يجتاز بأي ثمن مرحلة ليقع في الطريق ويستعيض عن ذلك بمراكز المناصب المتوسطة (الصغيرة): المستخدمين [28]، الموظفين المتوسطين والصغار ، البورجوازيين على اختلاف أنواعهم ويتوصل القسم الأخير إلى القمة ليقع شبه عاطل عن العمل: مثقفي العمل الجماعي، وكلاء الاستغلال(رأسماليون تقنيون) وكلاء القمع (عسكريون، رجال بوليس، سياسيون، إداريون)، محترفو ا لإيد يولوجيا (مدنيون، مثقفون).

5- الإيديولوجيا بالريف وأثرها على التنشئة التعليمية للتلميذ المراهق:

لم تكن التنشئة الاجتماعية ممثلة في التعليم الرسمي خاصة غائبة عن توجهات النظام الإيديولوجي، بل كانت حاضرة في عمق وعيه خاصة في دول العالم الثالث، على اعتبار أنها موضوع كل أسرة تنشغل به وتنفعل معه وقد تبلور ذلك من خلال سياسات وخطط التعليم المتوالية موازاة مع التحولات الاجتماعية المحلية والدولية وما رافقها من بروز ظواهر اجتماعية واختفاء أخرى.

5-1- واقع تعليم المراهق بالريف : تمثل المراهقة مرحلتي التعليم المتوسط والثانوي على وجه الخصوص، وفي دراسة قام بها الباحث لتلاميذ الريف الطور الثانوي(التلاميذ ذوو الأصول الريفية) تضمنت مفاهيم التنشئة الاجتماعية، والنظم المجتمعية بهذا الوسط[29] توصل إلى أن خصائص الظروف التعليمية الريفية تختلف عنها في وسط آخر من خلال: التواجد المحدود للمؤسسات التعليمية، غلبة الطابع الحكومي على هاته المؤسسات، غياب مدارس التكوين التقني وتعليم اللغات، غياب الوسائل التدريسية الحديثة لاسيما المتعلقة بالمواد الطبيعية والتقنية في مراحل التعليم المختلفة خاصة المتوسط و الثانوي، عدم ملائمة المنهج إمكانيات التلاميذ بهذا الوسط، وكذا غياب الأخصائيين الاجتماعيين والتنظيمات المجتمعية المدرسية الداخلية والخارجية والتي تبقى مقتصرة على جمعية أولياء التلاميذ كتنظيم هيكلي يفتقد إلى عناصر مثقفة تفهم وتستطيع استغلاله الاستغلال الأمثل لتحقيق أهدافه التي أسس لأجلها، وكذا بعض المباني الخاصة بالشباب كدور الثقافة والشباب التي تبقى مراكز للتسلية وللتجمع دون سواها من الأهداف التربوية والتثقيفية التي أسست لأجلها و المكملة لأهداف التنشئة التعليمية.

إن هاته الخصائص التي يحويها النظام التعليمي تنعكس على سير العملية التربوية للتلاميذ المراهقين بهذا الوسط على مستويات عدة تظهر نتائجها في نتائج تحصيلهم الدراسي، وفي لاتجانس ثقافتهم الفرعية بوسطهم مع ثقافة المدرسة، وفي توجههم نحو تخصصات ذات الطابع الأدبي والابتعاد عن تخصص اللغات، وعدم ممارستهم أنشطة تربوية ذات طابع تثقيفي، كما أن غياب التنظيمات المجتمعية المدرسية من جهة ولا فعاليتها من جهة أخرى يؤدي إلى عدم إسهامها في مد تواصل عملية التنشئة بين أسرهم ومدارسهم، بالإضافة إلى الأدوار الثانوية التي تقوم بها هاته التنظيمات والتي لا تتناسب مع الأهداف المرجوة منها ويظهر أثرها في عدم ممارسة الأنشطة الثقافية والتربوية بداخل المدرسة أو بخارجها.

وعليه فإن محدودية خصائص النظام التعليمي بالوسط الريفي تؤدي إلى تنشئة اجتماعية تمتاز بنوع من الستاتيكا وعدم مواكبة التطورات المتسارعة اجتماعيا نتيجة غياب وسائل التنشئة من جهة و عدم أدائها لأدوارها من جهة أخرى.

وفي ظل هاته الظروف التعليمية تمارس الإيديولوجيا بهذا الوسط أدوارها المؤثرة بل المهيمنة لتؤسس شخصية التلميذ المراهق ثم الراشد فيما بعد.

5-2- الايديولوجية التربوية بالريف:

أ- **ديمقراطية التعليم** : إن مفهوم ديمقراطية التعليم هو ترجمة حقيقة لديمقراطية النظام السياسي ، وفي المجتمعات المتخلفة (دول العالم الثالث) يتحدد شعار ديمقراطية التعليم في إطار الحركة العامة للصراع الاجتماعي والسياسي في المجتمع حيث تلعب مؤسسات التنشئة وخاصة التعليمي ة دورا طبقيا في المجتمع، وفي ظل التعددية السياسية والتي من المفترض أن تمثل التيارات الاجتماعية المختلفة يتم تحديد حقيقة وطبيعة ديمقراطية التعليم من خلال فتح أبواب التعليم بمختلف مراحله أمام الأفراد وبوجه خاص أمام الفئات الكادحة و المحرومة بحكم وضعها الطبقي المتدني [30]،غير أن ديمقراطية التعليم لا تنحصر فقط تعميمه في بنية اجتماعية ضيقة بل تعنى بتعميم التعليم في فئات واسعة تكون متزايدة بين أبناء الطبقات الكادحة بشكل خاص لاسيما في الريف.

إن تعميم التعليم يقضي على الأمية بمقدار ما يتطلب ذلك تطور الإنتاج الاجتماعي في إطار التجدد المتوسع للرأسمال، كما يدفع ويؤكد اللامساواة الاجتماعية، هذا ما دفع بعض المفكرين أمثال **اليتش و ماك لوهان** الدعوة إلى إلغاء المؤسسات المدرسية التي تقف عقبة في وجه أبناء الفئات الاجتماعية المحرومة يقول **إليتش** : إن المجتمع الذي يخلو من المدرسة سيخلو من العقبات التي تقف في وجه أبناء الفئات الاجتماعية المحرومة، إن الدعوة إلى مشروع تربوي متكافئ وعادل ما هي إلا هراء و حماقة بورجوازيين [31]، في إشارة إلى الوضع الاجتماعي فإن هذه الفكرة في البلدان المستقلة حديثا هي مفهوم غير عملي نظرا للتجربة الصغيرة للمدرسة في العالم الثالث ، لأن المواقف الاجتماعية غير مبلورة و واضحة مقارنة بموقف النظام، ففي بلدان ال عالم الثالث فإن نمط التنمية الاقتصادية والاجتماعية المطبق

من طرف النظام السياسي وديمقراطية التعليم سمحت معظم الأطفال في سن التمدرس بالتعلم في أطوار مختلفة وتراجع الأمية حتى في المناطق الريفية هذا ما يجعل الأصل الاجتماعي وارتباطه بالمدرسة والنجاح المدرسي غير واضح عملي ا. وإذا كان السلم الحالي للقيم الخاصة بالنظام العالمي الحالي زيادة على النظام التربوي عوامل شوهت الدور الاجتماعي وا لأسر ي للتعليم حيث أن هذا الأخير أصبح شبه نظام مهني مختص ذو فوائد محجوزة كإنتاج موجه للأقلية المحظوظة مقابل بقية المجتمع الذي يتحمل نتائجه السلبية في الغرب، فإن السلم القيمي في بلدان العالم الثالث لم يوفر لديمقراطية التعليم الدور الاجتماعي الملائم فكل ما يحيط بديمقراطية التعليم يعمل ضده ، يقول **محمد مزيان** : من الخطأ اعتبار أن التربية وظيفة خاصة بالمؤسسات التعليمية بل هي عملية كاملة، كيف نفسر اعتقاد شباب ثانوياتنا أنه بواسطة العلم يمكن أن نكسب النجاح في المجتمع وهذا الأخير يسير بقواعد تشوبها البزنسة والأعمال غير المنتجة، كيف نربي فيهم الإخلاص والعمل والعالم الخارجي عكسه؟ إن التخلف يبقى جاثما مالم تتغير الذهنيات التي تعرقل التنمية [32].

ب- تكافؤ الفرص في الحياة و التعليم:

تحدد هذا المفهوم مستويات عدة:

- مدارس اللغات الخاصة و الأجنبية : يشكل التعليم الخاص و الأجنبي ومدارس اللغات إهدارا أساسيا لديمقراطية التعليم ولمبدأ تكافؤ الفرص التعليمية ، كما يشكل ثنائية في تشكيل وعي المواطن وفي خلق نمطين من الحياة و من الأفراد، فكما أن هناك نمطين من المدارس فهناك نمطين من الثقافة : ثقافة العامة و تتولاه المدارس الرسمية (متواجدة بالريف والمدينة) وثقافة الصفوة و تتولاها المدارس الخاصة والأجنبية ومدارس اللغات (غير متواجدة بالريف) ، و تسعى السياسات التعليمية مستقبلا اهتماما زائدا بهذا النوع من التعليم على اعتبار أنه تعليم للنخبة وتدعيم الروابط بين نخب بلدان المركز في شكل توحد ثقافي وإيديولوجي.

- التعليم الفني وديمقراطية التوزيع : لا جدال في أهمية التعليم الفني في أي مجتمع يتطلع إلى تطوير إنتاجه وتحقيق قدر أكبر من الاستغلال والاعتماد على الذات ولا جدال في أن توافر تعليم فني

سليم هو أحد الشروط الضرورية و إن كانت غير كافية لاستزراع تقنية محلية و لفتح آفاق الإبداع في مجالات عدة.

إن الاهتمام بالتعليم الفني والمهني ليس أمرا معيبا أو سيئا في حد ذاته وهي الصورة التي تم عرضها من خلال برامج الإصلاح التربوي لدول العالم الثالث في فترات مختلفة ، وهي دعم لفكرة المسارات على مستوى التعليم انطلاقا من المتوسط حيث سيكون هناك المسار المهني من المتوسط ، والمسار المهني مختلف عن الأكاديمي الذي يؤهل الطالب للتعليم الثانوي ثم الجامعي مستقبلا . إن الشيء الأكيد أن هذه المسارات المهنية تصطبغ بالصبغة الطبقية حيث أن الأبناء القادرين يتبعون كافة الوسائل التي تمكنهم من عدم الدخول في هذه المسارات أما أبناء الفقراء وخاصة بالريف لا يجدون أمامهم سوى الدخول في هذه المسارات المهنية نظرا لإمكانياتهم المادية المحدودة.

5-3- تأثير الإيديولوجية بالريف على التنشئة التعليمية للمراهق : تنعكس ممارسات الفعل الإيديولوجي على التلميذ المراهق بهذا الوسط على مستويات عدة تتعلق بجانب تكوينه التعليمي أولا، ثم تجاه شخصيته المعرفية الثقافية التي توجه ميوله و طموحه الفكري والمهني بعد ذلك.

إن انحصار مصادر الوعي الإيديولوجي للتلميذ المراهق بالوسط الريفي في العناصر التقليدية كالأسرة مثلا، وغياب الحركات والمنظمات الاجتماعية و دونها ذات الطابع الإيديولوجي، وانصراف التلاميذ عن اقتناء الجرائد لاسيما تلك المكتوبة باللغة الأجنبية، وعزوف أغلبهم عن مشاهدة القنوات ذات الميول الإيديولوجية، واقترابهم من وسط جماعات رفاق لا تمارس الفعل الإيديولوجي بشكل عميق، وغياب مظاهر الإيديولوجية بالوسط التمدرسي، كل هاته الظروف التي ينشأ فيها ال تلميذ في مرحلة المراهقة بهذا الوسط تنعكس على عملية تنشئته الاجتماعية فينشأ فرد ذو مستوى إيديولوجي محدود في معظمه ويبقى بعيدا عن فهم وإدراك القيم الاجتماعية التي تبنى انطلاقا من فهم الأدوار الإيديولوجية التي يجب على الأفراد بما فيهم التلاميذ ممارستها سواء بمدارسهم أو في محيطهم الخارجي، كاللامبالا ة في استلام أدوار المسؤولية، واللاوعي الكامل في ممارسة قيمتي الإيثار والحوار، والتفرد بالرأي مع الجماعة واللاإدراك التام لاحترام الملكيات العامة، كما أن غياب أدوار الفعل الإيديولوجي داخل المؤسسات التعليمية أدى

إلى مخرجات سلبية كالتسرب، ومحدودية مستويات التدرج التعليمي للفتيات، والتوجه نحو تخصصات علمية ومهنية معينة تتماشى و ذهنية الريفيين، وانتشار النظرة المادية وسط التلاميذ ثم المجتمع و إهمال مكانة المثقفين(33).

إن كل هاته المعطيات تؤكد محدودية وعدم إدراك الفهم الحقيقي للدور الإيديولوجي بالوسط الريفي الذي يحول دون الفهم الكامل للتلاميذ المراهقين قواعد التنشئة الاجتماعية التعليمية من خلال الممارسات الغير واعية التي يبدونها والتي تظهر نتائجها السلبية مستقبلا سواء في مسار تدرجهم المدرسي أو حتى أثناء توقفهم عنها وفي محدودية ارتقائهم الاجتماعي أيضا.

الخاتمة : نخلص في الأخير أن التنشئة الاجتماعية (التعليمية خاصة) للتلميذ المراهق مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتأثير المباشر للإيديولوجيا السائدة بالوسط الريفي، ودون أن نتناسى الأدوار التربوية و التعليمية للمدرسة تبرز مظاهر غياب ديمقراطية التعليم وانتقاء مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية لتؤكد أن أزمة التعليم في دول العالم الثالث غير مستقلة بل تابعة ومرتبطة بأزمة النظام الإيديولوجي، ذلك أن مشكلات النظام التعليمي تكمن خارج بنيته، و أن حل المشكلات التربوية لن يكون إلا بحل التناقضات القائمة في هاته المجتمعات.

إن التغير الاجتماعي الذي تعيشه هاته الدول لاسيما بوسطها الريفي، وفي ظل العولمة أفرز كثيرا من ال معايير أدت إلى تذبذب وتناق ض الرؤى بين القيم النظرية و الواقع الاجتماعي، ونتج عنه اضطرابات في النمو الأخلاقي والسلوكي وفي التوجه الاجتماعي للتلاميذ المراهقين خاصة علميا وفكريا ثم مهنيا، نتيجة عدم وضوح الدور الإيديولوجي وضبابية المعايير القيمية بين أنماط السلوك التي يتعلمونها في مختلف مؤسسات التعليم وبين الواقع الذي يحيونه بهذا الوسط.

إن التنمية التعليمية في المجتمع التي تنطلق من مبدأ ديمقراطية التعليم ليس من أهدافها الحراك الاجتماعي فقط ، وإن كان من أهم أهدافها الذي يغير حركة الأفراد أو الجماعات من وضع اجتماعي لآخر ، وهو يعبر عن الجانب الدينامي لنسق التدرج الاجتماعي بعيدا عن التناقضات التي تطرحها المسألة الاجتماعية، ومن هنا ف إن الدور الإيديولوجي المناط بالنظام التعليمي هو التوعية بتلك

التناقضات ومحاولة كشف التمويه الطبقي الكامن خلف مقولات تطوير السياسة التعليمة بغية الارتقاء بالمنظومة التربوية وتحقيق ديمقراطيتها ما يسمح باكتشاف الطاقات المعرفية للتلاميذ انطلاقا من مراحل التعليم الأساسي والثانوي ثم الجامعي (المراهقة في مراحلها المختلفة) ومن ثم توجيهها تبعا لخصائصها و إمكانياتها لاسيما بالمناطق الريفية التي أثبتت التجارب أنها تحوي الكثير منها ليتم استغلالها في الأخير استغلالا أمثلا (عن طريق التنشئة الاجتماعية السليمة) لأجل تحقيق أهداف التنمية الشاملة مستقبلا.

قائمة المصادر و المراجع:

1-Bourdieu, P, et Passeron Jean Claude, La reproduction, élément pour une théorie du système d'enseignement , Paris, Minuit, 1970, p20.

2-Gra, Alain, Sociology de l'éducation, Paris, (ed) La rousse, 1974, p38.

3- صالح، عبد العزيز، التربية الحديثة، دار المعارف، مصر،ط6، 1975، ص 193.

4- وطفة، علي أسعد، علم الاجتماع التربوي، منشورات جامعة دمشق، سوريا،1993، ص 95.

5- Torsten ,Husen, l'école en question, paris, ED,Pierremardage, 1979, p 35.

6- Durkheim ,Emile,_Education et sociologie, paris, PUF, 1966, p 42.

7- Illich, Ivan, Une societe sans école, Paris, ED du Seuil, 1971, p 51.

8- مصطفى، محمد الشعبيني، دراسات في علم الإجتماع، دار النهضة العربية، مصر، 1974، ص 15.

9- فرانسيس، عبد الأنور، التربية و المناهج، دار النهضة المصرية، مصر، د ت، ص 71.

10- النجيحي، محمد لبيب، الأسس الاجتماعية للتربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1984، ص 70.

11- طلعت حسن، عبد الرحيم، الأسس النفسية للنمو الإنساني، دار الفكر للنشر و التوزيع، 2001، بدون طبعة، ص25.

12- مخول مالك، سليمان، علم النفس الطفولة و المراهقة، مطابع مؤسسة الوحدة، دمشق، 1981، ص332.

13- محمود عماد الدين، إسماعيل، كيف نربي أطفالنا، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1982 ، ط2، ص102.

14- محي الدين،مختار، محاضرات علم النفس لاجتماعي،د.م.ح،الجزائر،1982،ص56.

15- P. Bernard, Le développent de la personnalité, édition, Masson, Paris, 1975.p52.

16- مصطفى، غالب، في سبيل موسوعة النفسية،دار مكتبة الهلال،بيروت،1983، ص103.

17- فاخر، عاقل، علم النفس التربوي، دار العلم للملايين، بيروت، 1980،ط1، ص86.

18- محمد عماد الدين، إسماعيل، كيف نربي أطفالنا، مرجع سابق، ص10.

19- See maciver R M. community.A. sociological study p 02.

20- يوحنا، قمير، ابن خلدون، دار الشروق، بيروت، 1983، ص24.

21- رشيد مسعود، ملاحظات حول الفهم الفلسفي للإيديولوجيا، الفكر العربي، د ت، ص55.

22- لاباساد ورينيه لورد، مقدمات في علم الاجتماع، تر: هادي ربيع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1982، ص123.

23- حافظ الجمالي، الإيديولوجيا والفلسفة، الفكر العربي، العدد 15، السنة الثانية، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1980، ص11.

24- لاباساد ورينيه لورد، مقدمات في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 124.

25- أنطونيو غرامشي، قضايا المادية التاريخية، تر: فواز طرابلس، دار الطليعة، بيروت، 1971، ص ص 77 – 97.

26- سمير أمين، التطور اللامتكافئ: دراسة في التشكيلات الاجتماعية للرأسمالية المحيطة، تر: برهان غليون، دار الطليعة، بيروت، 1974، د ص.

27- مجموعة أساتذة علم الاجتماع الريفي (دراسات نظرية وبحوث ميدانية)، دون ذكر مكان النشر، مصر، 2003، ط1، ص268.

28- لويس ألتوسير، دراسات لاإنسانية، ترجمة: سهيل القش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1981، ص ص95-96.

29- ميهوبي إسماعيل، التنشئة الاجتماعية للتلاميذ و النظم المجتمعية بالوسط الريفي، رسالة ماجستير في علم الاجتماع الثقافي التربوي، قسم علم الاجتماع،جامعة الجزائر، 2006، ص238.

30- مهدي عامل، مقدمات نظرية لدراسة الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني، دار الفارابي، بيروت، 1986، ص169.

31-Illich, Ivan, Une société sans école, Paris, (ed) Du seuil, 1971,p26.

32- محمد مزيان، المظاهر السلوكية والتناقضات التربوية في عملية التنمية، مجلة الرواسي عدد(01)، دار الشهاب، الجزائر، 1991م، ص94.

33- ميهوبي إسماعيل، التنشئة الاجتماعية للتلاميذ و النظم المجتمعية بالوسط الريفي، مرجع سابق، ص242.

حوليات جامعة بشار
Annales de l'Université de Bechar
العدد ***N° 12, 2011, 12***
ISSN : 1112-6604

المرأة الجزائرية و تحدياتها

أ. دريدي نورة

ملخص:

إن الحديث عن المرأة الجزائرية و تحدياتها المعاصرة بعد حديث عن مشكلة فكرية و واقعية لها ماضيها و جذورها الفكرية و التاريخية، الأمر الذي يؤكد أهميتها و خطورتها على كافة الأصعدة.

فصحب أن المرأة هي نصف المجتمع، فهي:"الأم، الأخت، الزوجة، والزميلة في العمل "، لكن هل هي فعلا النصف بالنسبة للمجتمع الجزائري بكل ما له من خصوصيات سياسية و ثقافية؟.

هذا الطرح ليس دعوة لمساواة تضر بالمرأة أكثر مما تنفعها لأنها ليس رجل ناقص على حد التعبير "فرويد" لوعيها بدورها في مجتمع داخل عالم متغير نحو العولمة هذه الأخيرة التي تعمل على تخريق الخصوصيات الحضارية، و تفريغ المجتمعات من روحها، لهذا فإن المرأة الجزائرية التي تبوأت مهام هامة أثبتت للجميع على أنها العنصر الفعال في تحرير البلاد و القيام بأعباء التسمية بعد ذلك مطالبة بالوقوف أمام مختلف تحديات العصر الراهنة و المطالبة للعولمة داخليا و خارجيا، فهل ستوقف المرأة الجزائرية في ذلك؟.

تمهيد:

إن موضوع المرأة من المواضيع القديمة و الجديدة و المتجددة، فقديمة لأن تناولها في علم الاجتماع كان بتناول المجتمع، باعتبارها جزء منه له من الخصائص و المميزات ما يجعل الوقوف عندها بالتناول أمرا لا مفر منه.أما الجديدة المتجددة فكونه يحاول في كل مرة تغطية جانب من جوانب حياة هذه المرأة بما فيها من تحديات تختلف باختلاف الزمان و المكان، فالمرأة الجزائرية التي ناضلت و كافحت قديما و حديثا فساعدت على تحرير بلادها و تحررها من قيود الاستعمار، عملت بعد الاستقلال على التحرر الاقتصادي و المشاركة في المسيرة

التنموية و دخولها بقوة في عالمي العلم و العمل و مع هذا لم تنل مكانتها اللائقة بها كنصف للمجتمع، لأن العناية بهذا النصف و الاهتمام به و بتحدياته من المواضيع المتجددة و المتنوعة كل حسب اختصاصه، هدفه و غايته سواء نفسية محددة في خصوصياتها و طموحاتها و أمالها، أو اجتماعية بما في ذلك التأثير على مردو ديته ا و أدائها ،وقد يتعلق الأمر بعلاقاتها و اتصالاتها،ما ينعكس مباشرة على المجتمع و تنميته إن لم نقل توازنه و استمراره فتتغير أدوار المرأة و تحدياتها يتغير بأوضاع مجتمعها المضطر إلى تغيير في أوضاعه، فمجتمع ما بعد ألفين ليس نفسه مجتمع العهد التركي و لا مجتمع الاحتلال الفرنسي و لا حتى فترة حداثة الاستقلال، لكن هل الذهنية الجزائرية سواء للمرأة أو الرجل إزاء المرأة تغيرت أم بقيت ذاتها ؟.

فرغم تنوع الكتابا ت، و المطالب و التشريعات، لا يزال التغير في مركز المرأة و دورها تحديا محددا في ذات المرأة و في ذهنية الرجل و مواقفه و اتجاهاته..و الدليل هو التساؤل عن : كون المرأة الجزائرية هل هي تلك المتواجدة في العمل في الجامعة أم في المدن الكبرى؟ أم هي تلك المتواجدة في المد.اشر و القرى الجزائرية و مناطقها النائية؟ و التي لا تعرف سوى الرجل كسند قوة و سلطة مطلقة لأنها لا ترى سوى أمها و زوجها و فقط؟ لنقل هل التحديات نفسها في الحالتين؟؟.

إشكالية المرأة–(النظرة الدونية للمرأة) :

إن الحديث عن المرأة الجزائرية و تحدياتها المعاصرة يعد حديثا عن مشكلة فكرية و واقعية لها مفاهيمها و جذورها الفكرية و التاريخية ،الأمر الذي يؤكد أهميتها و خطورتها على كافة الأصعدة.ليتواجد بذلك مدافعين عن مطالب المرأة كما كان لها دوما معارضين و رافضين لفكرة الحقوق و الواجبات كنوع من أنواع التحدي، فالمنطلق الفكري يبدو قديما بقدم تواجد المرأة، فإذا عدنا للحديث عنها قديما لوجدنا أن النظرة الدونية للمرأة كانت عامة ، حيث أن فرويد يعّرف المرأة بأنها رجل ناقص [1] ، هذا التعريف الذي يمكن تحليله في إطارين مقلوبين:

الأول: اعتبار المرأة رجلا، و هو انتقاص لها و طمس لحقوقها في أن تكون مختلفة عن الرجل، هذا الأخير الذي سيصبح نموذجا و محكا، فلا ترتقي لتصبح أصلا متميزا عنه.

الثاني: اعتبار المرأة رجلا و لكن رجلا ناقصا، فحتى هذا التشبيه يستكثره فرويد و أتباعه على المرأة لتبقى بذلك مجرد صورة باهتة و مشوهة و تتسم بالنقصان أمام الرجل الكامل.

من كل هذا و حسب هذه الذهنية نجد أن هناك فقط رجل كامل و آخر ناقص بمعنى لا وجود للمرأة، فأين المرأة إذا؟ بذلك نجد المرأة مشكلة نوع، إذ أنها ضحية نوعها الذي جعلها دون الرجل حظا في القوة العضلية ،و افتقادها لذلك هو سبب كماله و نقصانها، فكثيرون هم الذين يوافقون فرويد في تحليله اعتمادا على الفروق البيولوجية.

كما أن هناك من يرى بأن دماغ المرأة هو أقل قابلية في السعي و القوى العقلية" [2] و بهذا يكون الحكم على تحديد دور المرأة في الحياة، أين لا تحتاج على جهد فكري، لتتأكد مقولة المرأة رجل فاشل ليس بحاجة للتفكير.

أما في الثقافة الحديثة فجرى النظر إلى العقل بوصفه ذكرا، فحلا، قويا، منتصرا [3] و الدليل على ذلك ما استوحاه "هيجل" في رؤيته لنابليون على رأس جيوشه إذ عبرّ قائلا:"رأيت العقل يمتطي جوادا" [4]،بهذا تكون المرأة للمرة الثانية اقل حظا من الرجل في ميزة أخرى ألا و هي العقل.و بهذا تبقى هذه الرؤية الدونية للمرأة كرجل ناقص من حيث القوة البدنية و حتى العقلية، لتبقى مجرد طفل كبير يحجر على آرائها و أفكارها.لتتأكد فكرة معاناة المرأة من شعور الرجل بالتفوق عليها، و بالتالي معاملته على ذلك الأساس.

و هذه الحقائق عن الصورة الدونية للمرأة لا تقتصر على مكان محدد، بمعنى أن هذه الرؤية تتأكد بانتقالنا من مجتمع لآخر حتى نصل إلى المجتمع الجزائري الذي قد اختلف مكانيا و تقاطع زمانيا مع هذه الرؤية و التي قد تكون خفت حدتها مع مجيء الإسلام إلا أنها لم تلغى نهائيا خصوصا في مجتمع من عاداته و تقاليده و عرفه التفوق المطلق للرجل، هذا التفوق قد يرد إلى تلك الخصائص و السمات المميزة للمرأة عموما.

. <u>خصائص المرأة:</u>

نحاول الوقوف عند أهمها تحديدا في الجانب النفسي فنذكر:

1- النرجسية:

من سمات المرأة أنها قد تكون مرنة في أي مجال إذا شعرت بأنها محبوبة ، حيث أنها قادرة على إظهار ابتكارات دون الدخول في صراعات تنافسية بمجرد مكافأتها و لو معنوية شفوية. فهي تطلب الحب و التقبل كتعويض عن تنازلها عن بعض اتجاهاتها الإيجابية، و هي في أمس الحاجة إلى الحماية.مع استقلالها التام في

التفكير و المشاعر المتعلقة بحياتها الداخلية، هذه النرجسية التي تختلف من امرأة إلى أخرى قد تثري الحياة النفسية و تؤدي في بعض الحالات إلى أمراض خطيرة، بمعنى أن المرأة من نرجسيتها قد تصل إلى حالة التطرف في مشاعرها و يرجع ذلك إلى اختلاف وضع و مكانة المرأة من مجتمع لآخر، فأحيانا قد يكون سلبيا و أخرى إيجابيا و ذلك حسب أنواع التدريب الذي تتلقاه المرأة خلال مراحل حياتها، و مسالة القدرة على الثقافة التي تنالها المرأة إلى جانب استعداد المجتمع لتقبل أي نشاط يمكن أن تساهم به هذه المرأة.

2- المازوكيـة:

من أهم خصائص المرأة النفسية إلى جانب النرجسية و الحس المرهف نجد استشعارها بالألم، و هذا راجع إلى حساسيتها الشديدة اتجاه أي مؤثر خارجي.و قد افتقاد المرأة لقواها النفسية و الجسدية يزيد من إحساسها بالضعف و الخذلان أما مختلف الإرهاقات و حتى الانهيارات العصبية اكثر بكثير من الرجال.

3-الغيـرة:

من سمات المرأة أيضا نجد الغيرة التي من المؤكد أنها عند المرأة أكثر منها عند الرجال، و منطلق ذلك قد يكون حبها الدائم للمقارنة ببقية النساء و إرادتها القوية بمعرفة قيمتها الحقيقية عند الرجل... !! والغيرة هذه تعدت حدودها تصبح من الصفات المنقصة للمرأة، لهذا يقال أن المرأة أكثر عاطفة بينما الرجل أكثر موضوعية و منطقية. إذ يعتمد الرجل عل التفكير في مواجهة المشاكل و لكن المرأة تعتمد على الحواس، فيرد البعض على هذا باستعراض بعض الإنجازات الفعلية للمرأة المعاصرة في مقابل الأخطاء الفادحة للرجل المعاصر، و هذا يؤدي إلى وجود اختلاف في السلوك العاطفي و العقلي بين الجنسين.ليقال أن المرأة تختلف عن لرجل اختلافات جذرية، قوي بطبيعته،و بعاطفة أقل قوة من المرأة، لهذا يمكن القول بأن:

- المرأة أكثر تمحلا لإرهاق النفسي من الرجل.
- المرأة أكثر تحملا للصدمات من الرجل لقوة عاطفتها رغم نرجسيتها و غيرتها .
- المرأة تمتاز بذاكرة قوية باعتبار الذاكرة سمة من سمات التقبل.
- المرأة تميل إلى خدمة الآخرين و ليس نفسها و زوجها فقط.

هذه بعض معطيات المرأة عموما التي أكيد تتقاطع بصفة جد كبيرة إن لم نقل أنها تنطبق على المرأة الجزائرية، و هذا ما سنحاول التأكد منه في بقية هذا المقال.

المرأة الجزائرية و مكانتها:

قديمـا كانت المرأة الجزائرية مشرقة، حيث تمتعت بالاحترام و التقدير فكانت محترمة الجانب مسموعة الكلمة و قد جعلتها قوتها و تمتعها بحقوقها قاعدة للأسرة الجزائرية القديمة، لقد كانت تشارك في كل صغيرة و كبيرة ، فتركب الخيل و تساهم في الزراعة و الحرب مثلما تعتني بطفلها و أسرتها في مجتمع تسوده القيم العالية و يعشق الحرية.

و هناك نماذج حية عن هذه المرأة الجزائرية كالكاهنة التي جلست على العرش لما تتمتع به من شجاعة و ذكاء. و لا تفوتنا الإشارة على ما كانت عليه المارة الجزائرية سواء في العهد الرستمي أو الحمادي أو الموحدي و الزياني أين تبوأت مكانة سياسية و علمية و فقهية و شعرية، حتى في العهد العثماني لم تطمس شخصيتها و لم يلغى كيانها بل ظهرت بوضوح مكانتها و دورها [6].و يأتي بعد ذلك الاستعمار الفرنسي لتبرز للوجود نساء محنكات منهن علجية بنت عزيز شيخة قبيلة الحنانشة التي قال عنها رحالة مستشرق: حقا أن لكل أمة جانداركـ [7].كما كانت هناك سيدات متعلمات و عالمات نذكر منهن السيدة زهراء بنت العربي بن أبي داو و د المعروفة بالصلاح و الحكمة و العلم [8] ، و باية بنت أحمد حسان قارئة القرآن و المتقنة لعلوم كثيرة، و لالة فاطمة نسومر و بطولتها.و الأسماء كثيرة لا يمكننا في هذا المقام لكن التأمل لمكانة المرأة الجزائرية عبر التاريخ يخرج بنتيجة مفادها ان المرأة الجزائرية ذات صفات ثابتة فيها عبر العصور و هي: القوة، الذكاء، الشجاعة، حسن التدبير و الحكمة. كما أنها تعشق الحرية و تضحي لأجلها بالنفس و النفيس. و إنصافا للمجتمع الجزائري آنذاك نقول بأنه لم يكن سلطويا تجاه المرأة أو على الأقل بالشكل الذي يتصوره البعض، فلو كانت يكتب طموحها ويخمد أنفاسها التواقة للعلم و العمل.لما حكمته امرأة، و لما قادت جيوشه امرأة، و لما أشرقت على زواياه امرأة. لكن كيف صارت هذه المكانة مع احتلال غاشم جاء أساس لطمس الهوية الجزائرية من خلال هدم مقومات الشخصية و لفترة بالهينة، فماذا سنجد؟.

المرأة الجزائرية أثناء الاستعمار الفرنسي:

لقد بحث الكتاب الفرنسيين في وضع المرأة الجزائرية المسلمة مفسرين ذلك الوضع في استقراء مكانتها، لتأتي تفسيراتهم ضربا في مواطن قوة الكيان الجزائري من خلال التشكيك و التحقير مرجعيين سبب تخلف المارة الجزائرية إلى الدين من خلال جعلها ضحية للتعاليم الإسلامية كقوامة الرجل عليها و منح حقوق الطلاق للرجل،لتكون الرجل و ضحية التخلف و الأمية و منهم من اعتبرها نمطا واحدا سواء في المدينة أو الريف بكونها مجرد خادمة بين و آلة غسيل و حاضنة أطفال وجبالة حطب ليكون المجتمع الجزائري بذلك مجتمعا رجاليا لا مكانة فيه للمرأة. و باعتبار الاستعمار الفرنسي ناقل حضاري–على حد تعبيرهم-إلا أعطى المثل السيئ في الاعتداء على الحرمات و التقاليد و الأعراف مما زاد في تطبيق الخناق المارة الجزائرية، لكن هذا لم يمنع بعض الجزائريين عن تعليم بناتهم، لأن المرأة الجزائرية لم تكن جاهلة تماما.من منطلق أن التعليم كان سمعيا لا يعتمد على نظام الشهادات. و بذلك عانت المرأة الجزائرية آنذاك حالة من الاغتراب خصوصا بعد فتح المستعمر لورشات تعليم النساء لاستغلال مهارات في صناعات الزرابي و النسيج للتباهي بها على أنها منتجات فرنسية. و بعد الحرب العالمية الأولى تطور الاهتمام بالمرأة إذ انتشر التعليم بين الجنسين، و تمت الحركة الوطنية بتعليم المرأة باعتبارها عضوا في إصلاح المجتمع.

المرأة الجزائرية أثناء الثورة:

لم تبقى المرأة الجزائرية بعد اندلاع ثورة 1954م مجرد امرأة عادية، بل أصبحت مجاهدة بكل ما تنطوي عليه الكلمة من معاني النضال و الإخلاص، الصبر و الفاعلية كتعبير عن وعيها العميق بقضيتها الوطنية،هذا الوعي الذي لم يشأ من عدم، و الذي ينفي مقولة أن المارة الجزائرية لم تكن ممرضة، إذ لا يغير ذلك من بطولتها و لا ينقص من عظمتها ، لذا نجد أن مكانة المرأة و تحدياتها قد قسمت على:

أولا: قسم يمثل حالة التخلف والجهل و الحرمان قبل الثورة.

ثانيا: قسم يمثل الحيوية و الإرادة و الإيمان الفعال أثناء الثورة، مما يجعلنا أمام طفرة اجتماعية و ثقافية و سياسية، لا يمكن لها في أي حال من الأحوال أن تزول. فكيف لهذه المارة أن تستحضر وعيا بذلك العمق و تلك الفاعلية. فحجم تلك التضحيات أثناء ثورة التحرير.و لقد اعتبر فرانس فانون مشاركة المارة في الثورة استخداما لها كعنصر ذي أهمية لملاءمتها،و فعاليتها ، و ليس رغبة أصلية في تحريرها و الدليل على ذلك هو نصوص وضعها بعد الاستقلال[9] .

و كحوصلة لكل ما سبق يمكن القول بأن المرأة الجزائرية تتمتع بصفات ثابتة فيها و ذلك من خلال قراءة تاريخية تؤكد على أن مختلف الأسماء النسوية التي برزت في تاريخ الجزائر يعد الحديث عنها حديثا على المارة واحدة سواء تعلق الأمر بالكاهنة، لالة فاطمة نسومر، زينب محمد قاسم و فصيلة سعدان و جميلة بوحيرد) و غيرهن كثيرات لا يسمح المجال بعدهن و حصرهن كنماذج للمرأة الواعية، القوية و الفاعلة، فقد تختلف الأسماء و تتغير المواقف لكن تبقى الصفات و الميزات المتأصلة فيها هي ذاتها، هذا عن المارة الجزائرية قبل و إبان الاحتلال الفرنسي و حتى أثناء الثورة، فماذا عنها و عن تحدياتها بعد ذلك؟.

المرأة الجزائرية بعد الاستقلال :

إن ما قدمته المرأة لثورة التحرير يلقي عليها بتبعات كبيرة، إذ أن المحللون يتحسرون على تراجع دورها و عدم مواصلتها لذلك الدرب الذي شقته بدمها و دموعها. فمنهم من بعيده لعدم الاعتراف بوجودها و جهودها من قبل صناع القرار بعد الاستقلال، و لكون المرحلتين المتعاقبتين قبل و بعد الاستقلال ليست ميكانيكية و مرد ذلك على عوامل عديدة في مقدمتها نجد الخيارات السياسية و الاقتصادية و الفيزيولوجية، إن نجد أنه بعد الاستقلال لم يلاحظ أي تحسن جذري لوضعية و مكانة المرأة لتتغير تحدياتها، حيث تم إبعادها من ساحة اتخاذ القرارات، و تحمل المسؤوليات لتعاد إلى البيت. فبالقدر الذي كان الإعجاب بدورها أثناء حرب التحرير، كان الأسف على هذا الدور و عدم تقدمه و تطوره فقد يكون مرد ذلك لسوء التقدير لمنطلقات المرأة في تأدية دورها أثناء الثورة باعتقاد أنها تحركت آنذاك إيمانا منها بقضيتها كامرأة لإثبات ذاتها. لكن الأمر أبعد من ذلك، لأن تحرك المرأة الجزائرية

كان إيمانا منها بقضيتها الوطنية تماما كالرجل. و يبقى من حق المرأة أن تتساءل، هل كان إسهامها في حرب التحرير نابع عن هذا الإيمان ؟ أو هو مجرد استغلال لطاقاتها و روحها الوطنية ؟ فحتى و إذا قيل أنها قد فقدت حقوقها في المساواة بعد الاستقلال فإنه اليوم على واقع المرأة أن تجيب و تحدد مفاهيم كثيرة و على رأسها المساواة و المشاركة في صنع مصير بلادها و هي النقاط التي سنحاول الوقوف عليها في بقية هذه الورقة بالتطرق إلى العنصر الموالي.

المرأة والتنمية في المجتمع الجزائري:

تعد المرأة نصف المجتمع البشري في أي نسق اجتماعي. و التنمية كعملية تكون في جميع الأنسق و البنية الاجتماعية للرجل و المرأة و بهما معا. حيث أن التنمية الفعلية تتطلب حسن استغلال مواردها المادية و البشرية معتبرة المرأة موردا بشريا لا يستهان به إطلاقا في عالم الشغل خاصة بعد التطور الذي مس كافة ميادين الحياة ليغير في البناء الاجتماعي. و عليه فالمرأة دورا مكملا لدور الرجل في تحقيق هذه التنمية بنفس الحقوق لأن دورها هو المحدد لحقوقها و بالتالي مكنتها في النسق الاجتماعي و هو ما يؤكد اقتحامها لعالم الشغل بمعناه الواسع متخطية بذلك دورها التقليدي الذي عرفت به، و ليس في ذلك أدنى تقليل لهذا الدور الذي ميزها كزنها تؤدي أنبل المهام ألا و هي تربية الأجيال، إلى جانب احتلال مراكز قيادية هامة لتصبح في مواقع اتخاذ القرارات للتسيير و التوجيه في مختلف الإدارات.

لكن هذه الأدوار التي أوكلت لها لا تخلو من الصعوبات بالنظر على مجتمع جزائري تحكمه ضوابط و تقاليد و أعراف مازالت تقيد المرأة، و كدليل بسيط على ذلك هذه المعطيات الإحصائية هن المشاركة السياسية للمرأة الجزائرية منذ الاستقلال :

. 10نساء نواب من أصل 197 منتخبا أي بنسبة 5.07% من مجموع أول مجلس وطني تأسيسي 1962 – 1964.

امرأتان (2) من اصل 127 منتخبا أي بنسبة 1.57% في أول مجلس شعبي وطني 1977 – 1982 – 1987. و هذا ما يؤكد ما سبق ذكره حول تراجع مكانة المرأة و دورها بعد الاستقلال.

.7نساء من أصل 295 منتخبا أي بنسبة 2.37% في ثالث مجلس شعبي وطني، و في أي واحدة منهن في الدور الأول، و 12 امرأة نائب أي بنسبة 3.15% في خامس مجلس وطني شعبي 1997 – 2002، و 53 امرأة من مجموع 13123 منتخبا في المجالس الشعبية البلدية أي بنسبة 0.4% المجموع لسنة 1997، و 3 نساء منتخبات و 5 معينات في مجلس الأمة بنسبة 5.5%، و قد شغلت 12 امرأة مناصب وزارية منذ 1982.

من خلال ما سبق عرضه حول المرأة الجزائرية انطلقا من إشكاليات الفكرية و النظرة الدونية للمرأة عموما و التي قد تصل ببعض المجتمعات الصغيرة للمجتمع الجزائري إلى أن نحاول إعطاء تتبع كرونومتري لتحدياتها في المجتمع الجزائري منذ القدم و إلى وقتنا الحالي.

هذا الطرح ليس دعوة لمساواة تضر بالمرأة أكثر مما تنفعها لأنها ليست رجلا ناقص على حد تعبير فرويد، لكنها دعوة للنظر و التوازن الداخلي للمرأة لوعيها بدورها في مجتمع داخل عالم متغير ينحو نحو العولمة التي تعمل على تخريق الخصوصيات الحضارية و تفريغ المجتمعات من روحها، لهذا فإن المرأة الجزائرية التي تبوأت مهام هامة أثبتت للجميع أنها العنصر الفعال في تحرير البلاد و القيام بأعباء التنمية بعد ذلك مطالبة بالوقوف بعد ذلك أمام مختلف تحديات العصر الراهنة و المصاحبة العولمة داخليا و خارجيا. فهل ستوفق المرأة الجزائرية في ذلك ؟

. الهوامش :

1/ سيغو موند فرويدك : الحياة الجنسية، ترجمة جورجطرابيشي، دار الطليعة للنشر، بيروت، لبنان ط1، 1982، ص 25

2/ عمر رضا كحالة : المرأة في القديم و الحديث/ مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان 1982 ط2، ص 17.

3/ عبد الله محمد الغذامي : المرأة و اللغة في ثقافة الوهم، مقاربة حول المرأة و الجسد في اللغة، المركز الثقافي العربي، بيروت 1988 ط1، ص66

4/ رجاء غارودي : في سبيل ارتقاء المرأة، ترجمة جلال مطرجي، دار الأدب، بيروت، لبنان 1982، دط، ص 142

5/ عبد الحميد خالدي : وقفات مع المرأة الجزائرية، مؤتمر الجزائر حول المرأة، : قضايا الأسرة بين المبادئ الإسلامية و معالجات القوانين الوضعية، الجزائر، المجلس الإسلامي الأعلى 13/12/11 أكتوبر 1999

6/جميلة معاشي : نماذج عن مكانة المرأة خلال العهد العثماني، مجلة التراث، الجزائر، العدد 8 نوفمبر 1995 ص 20

7/ المرجع السابق ص 21

8/ أبو القاسم يعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب العربي، ج6، 1998 دط ص3

9/ Frantz fanon : sociologie d'une révolution, petite collection, Maspero, FM, Paris 1975 pp 4850

10/ جريدة الخبر 4 مارس 1999.

حوليات جامعة بشار
Annales de l'Université de Bechar
العدد ***N°10, 2011,10***
ISSN : 1112-6604

البعد البشري والبعد البيئي للتنمية

أ.غزال آسية

ملخص

في العقد الأخير من القرن الماضي تنامي الوعي بقيمة الإنسان، هدفا و وسيلة في منظومة التنمية الشاملة، وبناء على ذلك كثرت الدراسات والبحوث والمؤتمرات التي عقدت لتحديد تنمية البشرية وتحليل مكوناتها وأبعادها كإشباع الحاجات الأساسية ولرفع مستوى المعيشة، وتحسين نوعية الحياة، وتستند قيمة الإنسان في ذاته وبذاته إلى منطلقات تنص على كرامة الإنسان والذي جعله الله خليفة في أمته ليعمرها بالخير والصلاح، ولقد ترسخ الاقتناع بأن المحور الرئيسي في عملية التنمية هو الإنسان، ففرض مصطلح التنمية البشرية تقني، ومع التطور التكنولوجي، والنشاط المتزايد للإنسان داخل البيئة التي يعيش فيها، ونتيجة للآثار المترتبة عن هذا النشاط على المستوى البشري والمستوى البيئي، ظهر مفهوم جديد، يحاول التركيز على الإنسان والتوازن البيئي ألا وهو التنمية المستدامة.

تمهيـــد

– يتواتر في السنوات الأخيرة، مفهوم التنمية البشرية، باعتباره المعيار الجوهري في تقييم الجهود الإنمائية، وفي إمكانات تطورها في أي مجتمع من المجتمعات.

– ولقد حظي هذا المفهوم بمصداقية هائلة خلال ما تحتويه مضامينه وعملياته من مفاهيم، النمو الاقتصادي وتنمية الموارد البشرية، وتكوين رأس مال البشري، والتنمية التعليمية والعلمية والصحية، أو التكنولوجية، وفي احتوائه لتلك المفاهيم فهو بذلك يتجاوز مفرداتها في كليته وغايته وأهميته.

– إن التنمية البشرية في طرحها للقضايا تعتبر جزء من الكل، فهي لم تطرح مستقلة بحد ذاتها، بل أن مفهومها ينطلق من الاقتناع المتنامي بكل أبعاده ومكوناته نتيجة لخبرات التنمية في العقود الثلاثة الأخيرة، وهو اقتناع مستمد من القيمة المطلقة للإنسان ولقيمته الجوهرية في تفعيل موارد التنمية.

أولا: تطور مفهوم التنمية البشرية:

– لقد استخدم مفهوم التنمية البشرية، للدلالة على مفهوم تنمية البشر فلقد استخدم في البداية مثلا، تعبيرات "تنمية العنصر البشري" أو "تنمية الرأسمال البشري" أو "تنمية الموارد البشرية" أو "التنمية الاجتماعية".....الخ، إلى أن استقر حاليا عند استخدام هذا المفهوم بالشكل الذي حدده برنامج الأمم المتحدة الإنمائي الذي برز مع بداية التسعينات عبر إصدار تقرير التنمية البشرية، وبالطبع كان مضمون التنمية البشرية يختلف باختلاف التسميات المعتمدة.

– يبدو أن الفكر التنموي الحديث، بعد أكثر من أربعة عقود من النقاش عاد ليكتشف الحقيقة البديهية وهي "أن البشر هم صانعوا التنمية يجب أن يكون هدفها" تماما كما كان فلاسفة اليونان قد اكتشفوا ذلك من قبل، وخصوصا أرسطو عندما قال "إنه من الواضح أن الثروة لا تمثل الخير الذي يسعى إلى تحقيقه، فهي مجرد شيء مفيد للوصول إلى شيء آخر"[33] أو كما ذكر ابن خلدون في مقدمته "إن الإنسان غاية جميع ما في الطبيعة، وكل ما في الطبيعة مسخر له"[34].

– ومن خلال تتبع مسيرة مفهوم التنمية البشرية، ومضمونها كما وردت في أدبيات الأمم المتحدة، سوف نتأكد فعلا أن الإنسان هو صانع التنمية وهدفها وغايتها.

1– التنمية البشرية قبل التسعينات:

---

[33]: حسين عبد الحميد احمد رشوان: التنمية اجتماعيا، ثقافيا، اقتصاديا، سياسيا، إداريا، بشريا، مؤسسة شباب الجامعة 2009 ص 14.

[34]: حامد عمار: دراسات في التربية والثقافة في التنمية البشرية وتعليم المستقبل، مكتبة الدار العربية للكتاب، 1999 ص 24.

– لقد ساد في الخمسينات النموذج الاقتصادي المتمحور حول تكوين رأس المال والقائل بأن عمليات التنمية تحتاج أساسا إلى تمويل خارجي، وأن شأن تراكم رأس المال المستمر أن يعكس إيجابا عاجلا أم آجلا على مختلف الفئات الاجتماعية.

– ضمن هذا النموذج، ينظر إلى العنصر البشري كوسيلة للتنمية، تم إغفال أن هذا العنصر هو هدف التنمية، بحجة أن النمو الاقتصادي، المستمر كاف، بحد ذاته لتوفير المكاسب الاجتماعية لأفراد المجتمع كافة.

– ومع بداية الستينات اتجهت نماذج النمو الاقتصادي إلى الاستثمار في البشر، من خلال إعطاء أولوية التعليم والتدريب، وظهر في تلك الفترة مفهوم "رأس المال البشري" و"تنمية الموارد البشرية" حيث تم الالتفات إلى أهمية عنصر القوى العاملة في مجمل عوامل الإنتاج بعد أن كانت قوى العمل لا تحظى بتقديرها، على اعتبار أنها متاحة دائما من حيث الكم والنوع المطلوب.

– ولقد دلت بعض الدراسات التطبيقية التي قام بها "كندريك" و"تستولتر" [35] على نتائج مذهلة حول أثر تحسين قدرات البشر في النمو الاقتصادي بحيث أن 90% من ذلك التحسن في النمو الإنتاجي، يعود إلى تحسين قدرات الإنسان ومهاراته والمعرفة، فالقدرة الإنسانية، وليس رأس مال هي العنصر الدافع رقم واحد[36].

– وهكذا يتضح أن مفهوم تنمية الموارد البشرية، الشائع في تلك الفترة قد أولى البشر عناية خاصة من حيث توفير المستلزمات، الضرورية لتمكينهم من مزاولة إنتاجهم ورفع إنتاجيتهم.

– ومع ذلك فإن السياق الاقتصادي لهذا المفهوم لم يتعد في نظرته إلى الإنسان او العامل غير كونه مجرد مورد اقتصادي، شأنه شأن المال والأرض، والتكنولوجيا وأن هدف الاستثمار فيه هو تعظيم قدراته الإنتاجية وبقي بعيدا في النظر إلى أن البشر بصفتهم هدف التنمية النهائي.

---

[35]: البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، تقرير التنمية البشرية 1990، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ص 170.

2: برنامج الأمم المتحدة الإنمائي: الصندوق العربي الإنمائي والاقتصادي والاجتماعي، تقرير التنمية البشرية لعام 2003، المكتب الإقليمي للدول العربية، الأردن ص ص 18 – 19.

– ومع بداية السبعينيات عالج الفكر التنموي مسألتين مهمتين: الأولى تتعلق بعدالة توزيع الدخل وظاهرة الفقر، والثانية ترتبط بأهمية تامين "الحاجات الأساسية" لأفراد المجتمع كافة، ولقد لقيت هاتان المسألتان دعما قويا من خلال تبنيهما من قبل منظمة العمل الدولية والبنك الدولي.

– لقد تبين أن جانب "البشر هم هدف التنمية" قد بدأ يتضح أكثر فأكثر وإن بقي الأمر مقتصر على توزيع الأثمار المادية للتنمية دون التطرق إلى النواحي والسياسية والنفسية والثقافية.

– أما في منتصف الثمانينات، فبدأ هذا المسار الإيجابي للفكر التنموي الانحراف عن مساره، وتم تغليب المقاربة الاقتصادية من جديد وركنت البشر في الصف الثاني وأصبح الهمّ منصبا من جديد على النمو الاقتصادي بحد ذاته من دون النظر إلى آثار هذه السياسات على الفئات الاجتماعية المختلفة.

– وبدا واضحا أن هناك تيارين رئيسيين على المستوى الدولي: يتعارضان بالنسبة للتنمية البشرية الأول: وقد حمل لواءه صندوق النقد الدولي يركز على النمو الاقتصادي أساسا، إذ أنه في غياب هذا النمو لا يمكن توزيع سوى الفقر بحسب اعتقاده، وبالتالي فإنه يرجئ الاهتمامات البشرية كافة إلى مرحلة لاحقة، والثاني وقد حمل لواءه برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، يحاول جاهدا أن يضع البشر أولا في صلب العملية التنموية.

2– التنمية البشرية تقارير برنامج الأمم المتحدة:

– قد لا تكون مبالغة منا إذا قلنا أنه مع صدور تقرير التنمية البشرية لعام 1990 حصلت قفزة نوعية في الفكر التنموي، من حيث معالجته للتنمية البشرية، فإذا كان مفهوم تنمية الموارد البشرية، قد تطور حتى نهاية الثمانينيات، ليشمل جوانب تشكيل القدرات البشرية كافة لاستخدامها، في العملية الإنتاجية، فإن مفهوم التنمية البشرية، قد ركز بالإضافة إلى ذلك على الانتفاع بالقدرات البشرية بحيث أعيد التوازن للمقولة إلى أن "الإنسان هو صانع التنمية وهدفها".

– ويستهدف مفهوم التنمية البشرية وضع الإنسان في موقع الصدارة، وفي بؤرة التركيز، هدفا نهائيا، ومسهما فاعلا في جهود التنمية ومن ثم استدعى الأمر تصحيحا في النظرة إليه وباعتباره مجرد رأس مال، أو موردا بشريا في عمليات الإنتاج.

– فالتنمية البشرية كما طرحها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في تقاريره، وذلك منذ عام 1990، هي "التنمية البشرية هي عملية تهدف إلى زيادة الخيارات المتاحة أمام الناس"، [37] وهذه الخيارات هي أساسا غير محدودة، لكنه يجب التميز بين خيارات أساسية وهي "أن يحيا الناس حياة طويلة خالية من العلل، وأن يكتبوا المعرفة وإن يحصلوا على الموارد اللازمة لتحقيق مستوى حياة كريمة وتتسع الخيارات لتشمل الحريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتوفير فرص الإبداع واحترام حقوق الإنسان.[38]

– إن ربط التنمية البشرية بزيادة الخيارات المتاحة أمام البشر قد أضفى على هذا المفهوم ديناميته، إذ أن الخيارات البشرية، غير محدودة، وتتطور باستمرار مع تغير ظروف الحياة.

– وللتنمية البشرية جانبان الأول، هو تشكيل القدرات البشرية مثل تحسين المستوى الصحي والمعرفي، والمهارات، والثاني هو انتفاع الناس بقدراتهم المكتسبة إما للتمتع بوقت الفراغ أو في الأغراض الإنتاجية أو الشؤون الثقافية.

– فالتنمية البشرية إذن تستهدف إلى وضع الإنسان في نوقع الصدارة وفاعلا في جهود التنمية، فالإنسان غاية وهدف التنمية البشرية وعليه ومع هذه المقولة، نتعرف إلى طرفي المعادلة الداعية "أن الإنسان هو صانع التنمية" وهو تعكسه أساسا مسألة تشكيل القدرات والاستثمار في البشر، وكذلك "الإنسان هو هدف التنمية"، وهو ما تعكسه أساسا مسألة انتفاع البشر بقدراتهم المكتسبة.

– ويوضح مفهوم التنمية البشرية المقدم من قبل برنامج الأمم المتحدة الإنمائي حدود علاقاته مع ما سبقه من مفاهيم فهو يوافق على أهمية النمو الاقتصادي المستمر، غير أنه لا يوافق النموذج الاقتصادي الذي يرى في هذا النمو هدفا بحد ذاته، بحيث يكون كفيلا بتوزيع ثمار التنمية على أوسع الفئات الاجتماعية، بل يعتبر هذا النمو بمثابة الشرط الضروري وغير الكافي.

---

[37]: **حامد عمار: مقالات في التنمية البشرية، سلسلة العلوم الاجتماعية، مكتبة الأسرة، القاهرة 2008 ص 34.**

[38]: **إبراهيم العيسوي: التنمية في عالم متغير، دراسة في مفهوم التنمية ومؤشراتها، دار الشروق القاهرة، 2001 ص 130.**

– كذلك يحدد هذا المفهوم المسافة بينه وبين نظريات تكوين رأس المال البشري وتنمية الموارد البشرية، من حيث أن هذه النظريات تركز أساسا على تشكيل القدرات البشرية على اعتبار البشر وسيلة العملية الإنتاجية، وتهمل إلى حد بعيد الجانب الآخر المتمثل في انتفاع البشر بقدراتهم المكتسبة وبكونهم الهدف النهائي للتنمية.

– كما يوضع المفهوم المسافة بينه وبين مفاهيم الرفاه الاجتماعي البشري التي تركز أساسا على الانتفاع بالقدرات البشرية المكتسبة وتغفل جانب اكتساب القدرات وعملية الاستثمار في البشر ويبين منهج توفير الحاجيات الأساسية للبشر من مجموع السلع والخدمات التي تحتاجها الفئات السكانية المحرومة، مثل "الغذاء، المأوى، الملبس، الرعاية.....

– فالتنمية البشرية تستهدف إلى توفير الشروط اللازمة التي تمكن الإنسان —كل إنسان — من تحقيق إنسانيته وأن هذا التحقيق لذاتيته، الإنسان بمختلف مقوماتها وخصائصها، وهو خط البداية في تصور مطالب الإنجاز الإنمائي.

– ويتطلب تحقيق ذاتية الإنسان مقومات إنسانيته، الإدراك المتكامل لكينونته وصيرورته وما يتطلبه ذلك من الوفاء باحتياجاته، البيولوجية والعقلية، والوجدانية والاجتماعية، والثقافية واعتبارها متوحدا، فالإنسان في كل الظروف وفي كل وقت كائن بيولوجي وعقلاني متفرد واجتماعي، يسعى إلى تحقيق طموحاته.

– ومع هذا التوسع في مفهوم القدرات الإنسانية يزداد الالتفاف إلى أهمية كونها مركبا كليا، ولما كانت تنمية تلك القدرات تتطلب توفير الاحتياجات اللازمة لإشباعها، فقد تم تقسيم الاحتياجات إلى احتياجات مادية، واحتياجات غير مادية، وتعتبر الأخيرة من الخصوصيات التي ينفرد بها الإنسان في تمييزه عن سائر الكائنات الحية الأخرى.

– ومن بين الاحتياجات الإنسانية التي يجب أن تكون، من أجل الحصول على التنمية المتكاملة لقدرات الإنسان، وطاقاته هي:

أ– احتياجات النمو البدني: وتشمل:[39]

– الغذاء — الماء — الكساء — الصحة والعافية — السكن — حماية الجسم من الاعتداء.

ب– احتياجات النمو المعرفي: تشمل:[40]

[39]: **حامد عمار: مقالات في التنمية البشرية، الأحوال والبيئة الثقافية، الدار العربية للكتاب 1998، ص 40.**

– التعليم واكتساب المعرفة – الثقافة المشتركة – اكتساب المهارات – نمو المواهب – التعليم الذاتي – إنتاج المعرفة وتجديدها.

ج– احتياجات النمو الاجتماعي: وتشمل:

– التواصل الاجتماعي.

– المشاركة التأثير في صياغة الحاضر والمستقبل.

– تأمين العمل المفيد.

– طمأنينة الإنسان على عمله، أسرته حاضرا ومستقبلا.

– القدرة على التنقل إلى المواقع التي يريدها.

– الترويج والاستمتاع بوقت الفراغ.

د– احتياجات النمو النفسي السيكولوجي، وتشمل:

– الطمأنينة وإبعاد عوامل الخوف.

– المحبة والتحاب داخل المجتمع مما يؤدي إلى الشعور بالراحة.

– التقدير للإنسان لذاته، والاعتراف بقيمته.

– الانتماء والوعي بالهوية، وإدراك دوره، في المجتمع، وعلاقته مع الآخرين.

هـ– احتياجات النمو الروحي والمعنوي، وتشمل:

– حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية، واحترام عقائد الغير.

– حرية التعبير والتنظيم.

---

[40]: **حامد عمار: مقالات في التنمية البشرية، مرجع سابق ص 41.**

- المساواة أمام القانون، وتكافؤ الفرص في حقوق المواطنة و واجباتها.

- إبعاد الطلب الذي قد يقع على الفرد والجماعة.

- التمتع بحقوق الإنسان التي أقرتها شرعية حقوق الإنسان للأمم المتحدة، وإعلانات حقوق الطفل والمرأة.

3- العلاقة بين الاحتياجات الإنسانية:

- ينبغي ضرورة إدراك طبيعية المركب الكلي لهذه الاحتياجات، وعناصرها، وذلك يعني أن إشباع حاجة معينة، أو بعض عناصرها لا يغني عن إشباع الاحتياجات الأخرى، والتأكيد على اعتبار الاحتياجات الإنسانية كلا موحدا يقتضي ضرورة الوفاء بها كمجموعة متكاملة، وضمن هذا المفهوم يتعارض مع ما ظهر من أدبيات، تركز على ما اصطلح على تسميته الحاجات الأساسية والحاجات الكمالية، أو الحاجات الولية والحاجات الثانوية.

- لكن ما هو واضح أنه من أجل تنمية قدرات الإنسان فالاحتياجات كلها أساسية وضرورية وهذه الاحتياجات متشابكة ومتكاملة ومتفاعلة مع بعضها البعض، بحيث أصبح كل منها هدفا و وسيلة، في الوقت ذاته، في إطار منظومة الحاجات الإنسانية.

- إن إشباع الحاجة إلى الطعام مثلا هدف في حد ذاته، وهو وسيلة إلى التعلم الجيد وإلى توفير مقومات الصحة، وتوفير فرص التعليم هدف في حد ذاته، و وسيلة التغذية السليمة وإلى معرفة قواعد الصحة الشخصية والبيئية.

4- عناصر التنمية البشرية:

أ- التمكين:

- يجب أن تكون التنمية من صنع الناس، وليس من أجلهم فقط ومن ثم يجب أن يشارك الناس مشاركة كاملة، في القرارات والعمليات التي تشكل حياتهم فالتنمية تعتمد بصفة أساسية على المشاركة الشعبية وهذا يعني ضرورة أن يساهم جميع أفراد المجتمع وأعضاء المجتمع في كل مراحل التنمية إبتداءا من التخطيط للتنمية حتى آخر مراحلها، وذلك حتى تأتي المشاريع التنموية محققة لأهداف أفراد المجتمع ومعبرة عن احتياجاتهم العقلية وآمالهم وتطلعاتهم، فالمشاركة هي السبيل

الوحيد لإتاحة الفرصة أمام أعضاء المجتمع لكي يساهموا بصورة فعالة في صنع القرارات التي تتعلق بجوانب حياتهم الاقتصادية والاجتماعية.

– ويرتبط التمكين بالتقوية ويركز على إتاحة الفرص وبصفة خاصة للفئات الأقل قوة وتأثير في المجتمع، كالفقراء والمرأة، وذوي الاحتياجات الخاصة.....

– ويتأتى التمكين من خلال تقوية جميع أفراد المجتمع بمختلف فئاته وشرائحه، في مشاركتهم وإتاحة الفرص والخيارات، التي تساهم بشكل أو بآخر على تمكين هؤلاء من تقرير مصيرهم بأنفسهم ومشاركتهم الفاعلة في اتخاذ القرارات التي تؤثر في حياتهم خاصة أو حياة المجتمع عامة.

ب– الإنتاجية:

وهي تمكين الأفراد داخل المجتمع من زيادة إنتاجيتهم ومن المشاركة الكاملة في عملية توليد الدخل من خلال إتاحة فرص العمل والحصول على أجر ملائم نظير ما يقومون به من أعمال، فالتنمية البشرية موجهة إلى الإنسان باعتباره العنصر البشري الفعال الذي يساهم في عملية تنمية المجتمع، كما أن عملية التنمية تهدف في حد ذاتها إلى تحقيق الرفاهية الاقتصادية للإنسان أي أن الإنسان وسيلة التنمية وغايتها.

ج– الإنصاف:

– يجب أن يكون بإمكان جميع أفراد المجتمع الحصول على فرص متساوية ومن ثم يجب إزالة جميع الحواجز التي تحول دون الحصول على الفرص الاقتصادية والسياسية لكي يتمكن الأفراد من المشاركة في هذه الفرص ومن ثم الاستفادة منها، فالتنمية لا تسعى إلى تحقيق الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية لطبقة أو فئة معينة دون أخرى، ولكنها تنطوي على استغلال كافة إمكانات المجتمع وموارده المادية والطبيعية والبشرية، من أجل صالح الكل وخاصة تلك الفئات الاجتماعية التي حرمت طويلا من فرص النمو والتقدم.

و– الحريات والديمقراطية:

يرتبط حدوث التنمية البشرية ونهوضها على توافر الحريات الديمقراطية الصحيحة في بيئة مجتمعية تساعد الأفراد على القيام بمسؤولياتهم وضمان حقوقهم وتساهم بشكل أو بآخر في تحقيق العدالة والمساواة بين المواطنين والتوزيع العادل لعائد التنمية وتعتبر المواطنة كمقومات التنمية البشرية.

- إن قياس الديمقراطية الصحية مسألة ذات أهمية للغالبية العظمى من الناس الذين يتفقون على أن الديمقراطية الصحيحة هي مكون هام من مكونات التقدم والرفاهية، لكن نادرا ما نجد مقاييس تقيس صحة الديمقراطية، في المؤشرات القومية التي يضعها المجتمع وهذا يرجع إلى كون مثل هذه المقاييس موضع خلاف كبير.

- ولكن النظر إلى الديمقراطية كفكرة وكممارسة وفي إطار سياق اجتماعي أكثر اتساعا قد يعنى وجود أربعة مستويات أو أبعاد في غاية الأهمية بالنسبة للديمقراطية وهي:

1- المستوى المؤسساتي (وجود برلمان.....)

2- الفاعلية الحقيقة من جراء ممارسة الحقوق الديمقراطية يتمتع الجميع بهذه الحقوق

المستوى اللامؤسساتي أو الغير رسمي "كالمجتمعات المحلية، المدارس....."

3- آخر مستوى وهو لا يقل عن المستويات السابقة يتمثل في ثقافة الديمقراطية على اعتبار أنها إحدى أهم القيم السياسية وعملية ديناميكية تتيح للأفراد الفرصة للمشاركة في الإدلاء بأصواتهم وبآرائهم في مختلف مجالات الحياة.

هـ- المواطنة:

ترتبط المواطنة ارتباطا مباشرا بحقوق الإنسان في المجتمع وتعتمد المواطنة على متغيرين أساسيين كشروط وهما:

أ- الديمقراطية.

ب- أن يكون المجتمع المدني مفتوحا وحرا وتسمح الحكومة باستيعابه و وضع الشروط اللازمة.

- وتشير المواطنة إلى حالة الأفراد في مجتمع حر ديمقراطي لكل أفراد حقوق متساوية، باعتبار أن الأفراد مواطنين تابعين للمجتمع ومجبرين على طاعة القوانين والإجراءات التي وضعوها لأنفسهم ومن ثم ترتبط بالحقوق والالتزامات.

وعليه فالمواطنة ترتبط بالمساواة والحقوق والواجبات، وعدم التميز.

و- نوعية الحياة:

لم تعد المؤشرات القديمة لمعدل الوفيات ومتوسط العمر ومعدل وفيات الأطفال الرضع، مؤشرات حقيقة لمتابعة الصحة السكانية بالرغم من استخدامها أكثر من مائة عام.

بل يجب أن تشمل هذه المؤشرات مؤشرات نوعية الحياة (كمؤشر نوعي وليس كمي) ولذا يجب الجمع بين معدل الوفيات ومؤشرات نوعية الحياة في مؤشر واحد يعكس متوسط سنوات السلامة الصحية ويشمل مفهوم الصحة مفاهيم السلامة البدنية والعقلية والاجتماعية والروحية.

- وبعد الرضا عن نوعية الحياة وجود الحياة ومؤشراتها المختلفة للفرد داخل المجتمع كمؤشرات للتقدم في حين يمتد مفهوم نوعية الحياة ليشمل نوعية العمل، ويتضمن أمان الوظيفة والثقة في الدخل واستمراريته، والتي تؤثر على شعور الناس بالأمان.

وإشباع الوظيفة لأسباب الحياة الكريمة، وفرص توفيرها بالإضافة إلى نمو الثقة بالذات والمرونة وبناء القدرات.

ثانيا: التنمية المستدامة:

- لقد تم استخدام مفهوم التنمية المستدامة أو المتواصلة لأول مرة في الإتحاد الدولي للحفاظ على البيئة ولقد طرح في هذا الملتقى قضايا عدة كان من أبرزها:[41]

- الحفاظ على العمليات الإيكولوجية.

- الاستخدام الدائم والمتجدد للموارد.

- الحفاظ على التنوع الوراثي.

1: عاطف عبد الله قبرصى: التنمية البشرية المستدامة في ظل العولمة، التحدي العربي، سلسلة دراسات التنمية البشرية، الأمم المتحدة، نيويورك 2000، ص 55.

– ولم تم طرح هذا المفهوم نتيجة للاهتمام بضرورة الحفاظ على البيئة، حيث أدت التكنولوجيات الحديثة إلى تلوث البيئة وإلحاق أضرار بالغة بالموارد المتاحة وبالأخص الأرض والمياه والهواء كما تعتبر التنمية المستدامة محورا أساسيا لمستقبل البشرية.

– وترتبط التنمية المستدامة بالإنسان الذي يعتبر الركيزة الأساسية لبناء التنمية والانطلاق بمعدلاتها، وتوجيهها لصالحه، وذلك من خلال أنشطته المتعددة والمتزايدة وجهوده المتواصلة والتنظيمات التي يقوم بإدارتها والواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي يعيش في إطاره، وعائد أنشطته في إبعاد هذا الواقع إيجابيا أو سلبيا.

– ويتوقف قوة ونوعية هذا العائد على استمرار التنمية وتواصلها من خلال التوازن بين أنشطة الإنسان في المجتمع والبيئة التي يعيش في لإطارها بنظمها المختلفة وتنظيماتها وتنمية استخدامه للموارد البيئية المتاحة، أو تلك التي يمكن إتاحتها مستقبلا من خلال إستراتيجية واضحة محددة لأهدافها التنموية على المدى القصير أو المدى البعيد والتي تحقق التوازن البيئي المنشود.

– إن التنمية لا تحدث فقط من أجل الجيل الحالي ولكن يجب أن تنطلق من حاضر تنموي إلى مستقبل أكثر معدلات في التنمية.

– ويرتبط كل ذلك بشكل مباشر بالتخطيط لحدوث التنمية من أجل حاضر و واقع أكثر ارتباطا بحاجات الإنسان ومستوى معيشي ودرجة ومستوى من الرفاه تتوافق مع إنسانية الإنسان ومستقبل أكثر إشراقا في مقابلة حاجاته ومستوى أرقى من المعيشة والرفاهية.

– ومن ثم تتسم التنمية بالتراكم المستمر ويتوقف كل ذلك على قدرات وطاقات الإنسان وأنشطة وجهوده في حسن استثمار إمكانات المجتمع، وإحداث التوازن المنشود بين جهوده المتعددة والبيئة.

– لقد بدأ هناك إدراك متزايد بأن الفقر يعد من أشد العوامل المسببة لتهديد وتخريب البيئة وبالأخص في البلدان النامية، إذ يؤدي الفقر إلى الإسراف في قطع أشجار الغابات وإلى إضعاف التربة في الزراعة، كما يؤدي إلى استخدام المياه الملوثة، غير المأمونة والتعرض إلى أخطار المبيدات الزراعية ومن ثم إهدار صحة الأفراد، وعليه أصبح هناك تناقض في قاعدة

الموارد التي تعيش عليها الدول النامية بالإضافة إلى الانتقاص فرص نموها في المستقبل ومن هنا برز مفهوم التنمية المستدامة.[42]

1- مفهوم التنمية المستدامة:

تتعد مفاهيم التنمية المستدامة ولا يوجد اتفاق عام حول هذا المفهوم بالرغم من الاتفاق على التركيز على الإنسان والتوازن البيئي بين أنشطته وجهوده والبيئة بوقائعها المختلفة ويقصد بها "تامين وتلبية احتياجات الحاضر دون الإخلال أو الانتقاص من قدرات الأجيال المقبلة أو القادمة على تلبية احتياجاتها.[43]

والسبيل إلى ذلك ليس فقط من خلال الاستخدام الرشيد للموارد الحالية والحفاظ عليها أخطار التلوث والتبديد والتخريب، ولكن من خلال الأخذ في الاعتبار حق الأجيال المقبلة في التنمية وذلك بالعمل على تنمية الموارد الحالية، كما أن أي خطط لتحسين البيئة يجب أن تتضمن برامج للحد من الفقر في البلدان النامية باعتباره سببا مباشرا من أسباب تخريب البيئة وهكذا برزت من جديد مسألة القضاء على الفقر وتحسين وتوزيع الدخل لصالح الفئات الفقيرة وذلك ليس من منظور العدالة الاجتماعية فحسب بل من أجل الحفاظ على البيئة وحمايتها وتحقيق التوازن بداخلها.[44]

- وتحدد التنمية المستدامة بأنها "التنمية الحقيقية ذات القدرة على الاستقرار والاستمرار والتواصل من منظور استخدامها للموارد الطبيعية [45]والتي يمكن أن تحدث من خلال إستراتيجية تتخذ التوازن البيئي كمحور ضابط لها، ذلك التوازن الذي يمكن أن يتحقق من خلال النظم السياسية والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية التي تحافظ على الإطار البيئي من خلال استخدام الأساليب العلمية، والعملية التي تنظم استخدام الموارد البيئية وتعمل على تنميتها في نفس الوقت.

1: نوزاد عبد الرحمن: التنمية المستدامة في المنطقة العربية الحالة الراهنة والتحديات المستقبلية، مجلة شئون عربية، العدد 125، 2006 ص 103

[43]: محمد عبد الفتاح محمد: التنمية الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية 2003، ص 65.

: علي أحمد الطراح، غسان منير حمزة سنو: التنمية البشرية في المجتمعات النامية المتحولة، دار النهضة العربية 2004، ص 50[44].

[45]: البنك الدولي: مؤشرات التنمية في العالم 1999، القاهرة، مركز الأهرامات للترجمة والنشر ص 83.

- كما يمكن أن تحدد التنمية المستدامة بأنها أساليب علمية مخططة لتحقيق التوازن البيئي بين أنشطة الإنسان وجهود والبيئة[46] بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من خلال إستراتيجية واضحة، وحسن إدارة وتنظيم وتنمية واستخدام الإنسان لموارد البيئة المتاحة والتي يمكن إتاحتها لتحسين فرص الحياة للإنسان، في المجتمع حاضرا ومستقبلا.

- من خلال المفاهيم السابقة يتضح أن التنمية المستدامة تطرح عدة قضايا وهي:

1- أن التنمية المطلوبة لا تسعى لتقدم بشري في أماكن قليلة ولسنوات معدودات بل للبشرية جمعاء وعلى امتداد المستقبل البعيد.

2- إشباع حاجات الأجيال الحاضرة دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على توفير حاجياتها.

3- إن مستويات المعيشة التي تتجاوز الحد الأدنى من الاحتياجات التي لا يمكن إدامتها إلا عندما تراعي مستويات الاستهلاك.

4- إن الاحتياجات كما يتصورها الأفراد تتحدد اجتماعيا وثقافيا ومن ثم فإن التنمية المستدامة تتطلب انتشار القيم التي تشجع مستويات الاستهلاك التي لا تتخطى حدود الممكن بيئيا.

5- إن التخطيط الفعال للموارد المجتمعية المتاحة والتي يمكن إتاحتها يتضح من خلاله إدارة فاعلي، ومنظمة لاستخدام أنسب الأساليب لتحقيق أهداف التنمية القريبة والبعيدة المدى، للانتقال بالمجتمع من وضع إلى آخر أفضل منه في فترة زمنية محددة.

- تحقيق التوازن البيئي المنشود بين جهود وأنشطة الإنسان والبيئة التي تعيش في إطارها وتحدد آثارها الإيجابية والسلبية، لجهود الإنسان في البيئة وتدعيم الإيجابية والتغلب على السلبية التي تحدث خللا في التوازن البيئي ومنح استنزاف الإنسان لموارد البيئة خاصة الطبيعية بصورة تؤثر على التوازن والتكامل البيئي، ومستقبل التنمية في المجتمع ومن ثم تواصل واستمرارية التنمية.

---

[46]: **إبراهيم أحمد السيد إبراهيم: التعليم والتنمية البشرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية 2007، ص 200.**

– وجود إستراتيجية محددة و واضحة لتحقيق أهداف التنمية القريبة والبعيدة المدى، وترتبط هذه الإستراتيجية بوقائع المجتمع المختلفة وظروفه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية ويتطلب ذلك وجود خطط واقعية قصيرة وطويلة المدى، تنبثق من إستراتيجية عامة للتنمية المستدامة لتحقيق التوازن البيئي الطبيعي للعناصر والموارد الطبيعية في المجتمع.

– إدارة فاعلة للمنظمات البيئية التي تمكن وتساعد الإنسان على حسن استثمار وتنظيم وتنمية استخدامه للموارد البيئية وعدم استنزافها بصورة تحدث خللا بيئيا على حاضر ومستقبل التنمية ومن ثم تواصلها واستمراريتها.

2– عناصر التنمية المستدامة:

أ– النمو الاقتصادي: من خلال الاستغلال الأمثل للموارد الطبيعية وتحقيق معدلات مرتفعة في الناتج القومي.

ب– العدالة الاجتماعية: من خلال تحسين أحوال البشر وتحسين سبل الحصول على الخدمات الصحية والتعليمية واحترام حقوق الإنسان.

ج– حماية البيئة: وذلك بالحفاظ على الموارد الطبيعية وحسن استغلالها وحمايتها من التدمير وسوء الاستخدام.

3– أهداف التنمية المستدامة:

– إن للإنسان الحق في الحياة بمستوى لائق حاضرا ومستقبلا في إطار تنمية حقيقية.

– ليس من حق الإنسان في المجتمع تبديد أو استنزاف الموارد المجتمعة المتاحة لصالح التنمية حاضرا، مما يؤثر على التوازن البيئي المنشود بين جهوده وأنشطته والبيئة التي يعيش في إطارها، ومن ثم استمرارية التنمية ومستقبلها.

– يتوقف استمرارية وتواصل التنمية في المجتمع على قدرات الإنسان الفاعلة وتنظيمه لاستخدام الموارد المجتمعية وتنميتها ومن ثم فإن الإنسان في المجتمع من أهم موارده وثرواته، ومن هنا يجب التركيز على التنمية البشرية كمدخل أساسي وضروري لإحداث التنمية المستدامة، باعتباره طاقة مجتمعية ومحور عملية التنمية لا تتم إلا به، ولا هدف لها سواه، وهو الذي يسير للمجتمع السلع والخدمات اللازمة لإحداث التغيرات الوظيفية والهيكلية التي تسهم في بقاء المجتمع، وتنميته وتقدمه.

- العمل على تشجيع النمو الاقتصادي القادر على إيجاد فائض في القيمة لإشباع الحاجيات الأساسية للأفراد وتوفير المعرفة الفنية من خلال استخدام التكنولوجية حديثة غير ملوثة للبيئة.

- إشباع الحاجات الأساسية للأفراد، وتحقيق المشاركة الشعبية الواسعة لكل فئات المجتمع.

- المحافظة على التوازن بين الموارد المتاحة والحاجات الأساسية للبشر جميعا على المدى البعيد.

- وضع سياسات سكانية والحفاظ على معدلات نمو ثابتة حتى يتماشى معدل النمو الاجتماعي مع معدل النمو الاقتصادي.

- وضع خطط التنمية للموارد الطبيعية المتجددة وغير المتجددة في إطار زمني يحقق العدالة بين الأجيال.

- ترشيد استغلال كافة الموارد و وضع أولويات للاستخدامات المختلفة.

- دمج القضايا البيئية والاقتصادية في عمليات صنع القرار.

- إدارة المخاطر والأزمات من خلال الاستخدام الرشيد للتكنولوجيا.

حوليات جامعة بشار
Annales de l'Université de Bechar
العدد ***N°10, 2011,10***
ISSN : 1112-6604

قراءة مقاصدية في المنهج النبوي وأعمال الصحابة

أ: زلافي عبد الحميد

جامعة بشار

hzelafi@yahoo.fr

ملخص

لا شك أن المنهج النبوي هو امتداد للسّنن القرآني، في بعده المقاصدي، فهما لروح الوحي ،ومعانيه ،والبيئة المحيطة به ، ومن ثم كان منهجه صلي الله عليه وسلم وفق ميزان ترجيحي سطر أدواته المنهج التطبيقي النبوي في أعماله ومواقفه صلي الله عليه وسلم ومن مظاهر هذا الميزان ترك الفعل لمآل راجح الفساد على المصلحة المقصودة به، كامتناعه بناء الكعبة على أساس إبراهيم عليه السلام. كما تميز عصر الصحابة عليهم الرضوان بتثبيت دعائم الفقه المقاصدي في فهم النصوص، واستيعاب معانيها ورفع التعارض بينها، ومن أعلام الترجيح المقاصدي في هذا العصر عائشة رضي الله عنها وأبو بكر الصديق وعمر ابن الخطاب وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

Résumé :

Il ne fait aucune doute que la méthodologie du prophète Mohammed (que ALLAH le bénisse) suivent le chemine de Quarrant sur le du Macassid les toute Qurani avec une connaissance de esprit révélation est avec notre connaissance de environnement de texte du Quran et en cours le méthode de prophète Mohammed (que ALLAH le bénisse) sur le plan préférence le Macassid sur touts sur le plan pratique .Et même remarque été prendre des compagnons du prophète Mohammed (que ALLAH le bénisse) ce distante sur le plan préférence le Macassid.

الكلمات المفتاحية:

الترجيح – المقاصد – روح والوحي – التعليل – الفقه المقاصدي - معنى النص

لا شك أن المنهج النبوي هو امتداد للسّنن القرآني، في بعده المقاصدي، فهما لروح الوحي ،ومعانيه ،والبيئة المحيطة به ، ومن ثم كان منهجه صلي الله عليه وسلم وفق ميزان ترجيحي سطر

أدواته المنهج التطبيقي النبوي في أعماله ومواقفه صلي الله عليه وسلم ومن مظاهر هذا الميزان ترك الفعل لمآل راجح الفساد على المصلحة المقصودة به ، كامتناعه بناء الكعبة على أساس إبراهيم عليه السلام و علل هذا الامتناع لعائشة رضي الله عنها فقال:« لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت ثم لبنيته علي أساس إبراهيم عليه السلام ...›› قال ابن حجر:‹‹ويستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة ›› [1]فقدم النبي صلي الله عليه وسلم مصلحة حفظ الدين لحديث عهد بالإسلام على مصلحة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام ، وهذا ترجيح مقاصدي منه صلي الله عليه وسلم وفي ترجيح المصلحة العامة على المصلحة الخاصة نهى صلي الله عليه وسلم عن تلقي الركبان فقال :‹‹ لا تلقوا الركبان ، ولا يبيع حاضر لباد›› [2] وقد بين الشاطبي وجه الترجيح في نهيه صلي الله عليه و سلم فقال :‹‹وهو من باب ترجيح المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ››[3] و عند ازدحام المفاسد نجد أن النبي صلي الله عليه ـ وسلم يرجح الفعل المشتمل على مفسدة لدفع مفسدة أعظم منه ، ولهذا ‹‹ رد رسول الله عليه وسلم علي عثمان بن مظعون التبتل ، ولو أذن له لاختصينا ›› [4] فقد اعتقد بعض الصحابة أن حفظ النفس من الوقوع في الزنا عند المباعدة عن الديار و الأهل يكون بالاختصاء ، فأبان لهم النبي صلي الله عليه وسلم أن الفعل المحرم المشتمل على فسادٍ وضرر لا يدفع بآخر أربى و أعظم منه فسادا وضررا لأن في الاختصاء إتلاف العضو ' و تعطيل منفعته و الشارع جاء بالمحافظة على النفس و النسل لذا فقد دلهم صلي الله عليه و سلم على فعل مشروع يدفع به هذا العارض و هو زواج المتعة ثم نسخ هذا الزواج وحرِّم إلى يوم القيامة قال الشاطبي : ‹‹فالخصاء بقصد التبتل و ترك الاشتغال بملابسة النساء و اكتساب الأهل و الولد مردود مذموم و صاحبه معتد غير محبوب عند الله ›› [5] و من تطبيقاته لقاعدة ‹‹ دفع أعظم المفسدتين و لو باحتمال أدناها ›› [6] في موقفه من الأعرابي الذي بال في المسجد ، فقد أمر أصحابه بالكف عنه للمصلحة الراجحة وهي عدم تنفيره من الإسلام أو خشية الارتداد فقد روى أبا هريرة رضي الله عنه فقال: ‹‹ قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس ، فقال لهم النبي صلي الله عليه وسلم : دعوه و هريقوا على بوله سجلا من الماء – أو ذنوبا من الماء ›› [7]وقد بين النووي وجه الترجيح في هذا الموقف النبوي فقال: ‹‹ وفيه دفع أعظم الضررين باحتمال أخفهما لقوله صلى الله عليه وسلم (دعوه) قال العلماء: وهاتين المصلحتين إحداهما أنه لو قطع عليه بوله تضرر و أصل التنجيس قد حصل فكان احتمال زيادته أولى من إيقاع الضرر به .

والثانية : أن التنجيس قد حصل في جزء يسير من المسجد فلو أقاموه في أثناء بوله لتنجست ثيابه و بدنه ومواضع كثيرة من المسجد›› [1] نخلص أن شأن الرسول صلي الله عليه و سلم عند تعارض المصالح مع المفاسد فإنه يرجح المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، ويرجح

المصلحة الكبرى على المصلحة الصغرى و يدفع أعظم المفسدتين باحتمال أيسرهما وعند تعارض المصالح مع المفاسد يرجح المصلحة الكبرى على المفسدة الصغرى ،ويدرأ المفسدة الكبرى على جلب المصلحة الصغرى وغيرها من أنواع الترجيح المقاصدي ، فإذا كان شأن الرسول صلي الله عليه وسلم كذلك فما هو شأن صحابته عليهم الرضوان ؟

تميز عصر الصحابة عليهم الرضوان بتثبيت دعائم الفقه المقاصدي في فهم النصوص ، و استيعاب معانيها ورفع التعارض بينها ، ومن أعلام الترجيح المقاصدي في هذا العصر عائشة رضي الله عنها ' التي ردت خبر ابن عمر رضي الله عنهما في أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه فقالت:‹‹ رحم الله عمر والله ما حدّث رسول الله عليه وسلم : إن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه وقالت : حسبكم القرآن :‹‹ ولا تزر وازرة وزر أخرى ›› النجم 38›› [2] فرجحت عائشة رضي الله عنها روح النص القرآني وهو تحقيق العدالة بين الناس في قوله تعالى ‹‹ ولا تزر وازرة وزر أخرى ›› وهذا مقصد كلي راجح على المقصد الشرعي من خبر ابن عمر، وهو أذى السامعين الذين يتأذون بالعويل على الميت أو بقطع الطريق على وساوس النفس بالاحتجاج على قدر الميت.

كما رجح أبو بكر الصديق رضي الله عنه محاربة مانعي الزكاة رغم نطقهم بالشهادتين ، ولذلك استشكل هذا الأمر على عمر رضي الله عنه حتى قال : يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله عليه وسلم :‹‹ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه و حسابه على الله ›› [1]، فرد أبو بكر و قال :‹‹ والله لأقاتلنَّمن فرق بين الصلاة و الزكاة فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤذونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها ...›› [2] لأن أداة الزكاة مصلحة ضرورية تخدم مقصد حفظ الدين والمال و النطق بالشهادتين مكمل لمصلحة حفظ الدين، فإذا تعارض ضروري الدين مع مكمله يرجح ضروري الدين ، ومن ترجيحات عمر رضي الله عنه المقاصدية ترجيحه لمقصد حفظ النفس و صون الدماء على ظاهر النص في قوله تعالى :« و كتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس » المائدة 47 فأمر عمر رضي الله عنه بقتل نفر اشتركوا في قتل واحد وقال :« لو تما لأعليه أهل صنعاء لقتلهم جميعا » [3] ،فرجح عمر المقصد من القصاص وهو حفظ النفوس وهي تتحقق بقتل القاتل كان واحدا أو جماعة، بل أن قتل الجماعة المشتركة في القتل أبلغ في الزجر ، فلو لم يرجح عمر رضي الله عنه هذا المقصد و توقف عند حرفية النص لأدى «إلى ضياع الدماء و الحياة التي جعلها الله في القصاص حيث لا يعدم كل عدو أن يجمع لعدوه العدد الكثير ليقتلوا مجتمعين إذا علموا أنهم ناجون من القتل » [4]، فهو لم يهدر دلالات هذا النص ولم يعطله، و إنما نظر إلى روح التشريع ومقصده ، بل هذه الآية لا يفهم منها «عدم قتل الجماعة بالواحد لأنها سيقت لإنكار ما كان

عليه العرب في جاهليتهم من قتل الأبرياء إمعانا في التشفي و التعاظم » [1] ، وعلى هذا المنهج منع عمر رضي الله عنه إعطاء سهم المؤلفة قلوبهم من الزكاة، رغم وجود النص القرآني قال تعالى «إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها و المؤلفة قلوبهم ...» التوبة الآية 60 – فقد نظر عمر إلى :« علة النص لا إلى ظاهره ، إذا العلة من إعطائهم هو تأليف قلوبهم واتقاء شرورهم عندما يكون الإسلام ضعيفا و يكون في حاجة إليهم » [2] وإذا عز الدين و قويت شوكة المسلمين فلم تعد هناك حاجة إلى تأليف قلوبهم ،كان هذا علة في منع عمر سهم المؤلفة قلوبهم ، ومن ثم رجح عمر مقصد النص على ظاهره وهو « اجتهاد قائم على التعليل المصلحي مع عدم الوقوف عند التعبد الظاهري »[3]

ومن ترجيحات عثمان رضي الله عنه المقاصدية ترجيحه للمصلحة العامة على المصلحة الخاصة فقد روى عبيد الله بن عدي بن خيار ، أنه دخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو محصور فقال :« إنك إمام عامة ، ونزل بك ما نرى ، ويصلي لنا إمام فتنة و نتحرج ؟ فقال : الصلاة أحسن ما يعمل الناس ، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم » [4] فهذا التابعي الجليل يسأل عثمان رضي الله عنه في أمر تعارضت فيه مصلحتان ، مصلحة زجر البغاة و الإنكار عليهم ، ومصلحة وحدة الصف في أحد معالمها صلاة الجماعة ، فرجح عثمان بن عفان أهم المصلحتين كما يدل عليه استعماله صيغة اسم التفضيل «أحسن » وبذلك ضحى عثمان رضي الله عنه .

بحياته من أجل المصلحة العامة ، ولم يأمر أنصاره من أجل الدفاع عنه حرصا على دماء المسلمين أن تراق بانضمام المسلمين إلى كل من الفريقين و يتوسع القتال ، فصبر حتى استشهد رضي الله عنه ومن ترجيحات ابن مسعود رضي الله عنه المقاصدية ، ترك المستحب إذا كان في فعله فسادا راجحا على مصلحته ، ومن أمثلة ذلك إنكاره على عثمان رضي الله عنه إتمام الصلاة في السفر حتى استرجع لما قيل ذلك لابن مسعود رضي الله عنه ثم قال :« صليت مع رسول الله عليه وسلم بمنى ركعتين ،وصليت مع أبي بكر رضي الله عنه بمنى ركعتين ، وصليت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ركعتين فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقابلتان »[1] ونلاحظ أنه لما صلي خلفه أتم الصلاة ، قال ابن حجر :« خشي ابن مسعود أن لا يجزئ الأربع فاعلها وتبع عثمان كراهة لخلافه »[2] رغم ما وقع «عنده من مخالفة الأولى »[3] فرجح ابن مسعود رضي الله عنه ترك مصلحة المستحب وهو التقصير بمنى إذ أن في فعل هذا المستحب مخالفة الإمام وهي مفسدة .

المراجع

1) البخاري – كتاب الحج ، باب : فضل مكة و بنيانها رقم الحديث 1585 و طرفه 126، ج1/387 ، ومسلم في كتاب الحج ، باب نقض الكعبة و بنيانها ج4/97

1) ابن حجر العسقلاني – فتح الباري شرح صحيح البخاري – ضبطه و صححه محمد عبد السلام شاهين الطبعة الأولى 2003م – دار الكتب العلمية بيروت – ج1/315

2) صحيح البخاري – كتاب البيوع – باب هل يبيع حاضر لبلادي بغير أجل وهل يعينه أو ينصحه رقم الحديث 2158- ج2/28

3) مرجع سابق – الاعتصام – ج2/357

4)صحيح البخاري – كتاب النكاح – باب ما يكره من التبتل و الخصاء رقم الحديث 5073- ج3/358

5) مرجع سابق – الاعتصام ج2/300-301

6) مرجع سابق – مفتاح دار السعادة ج2/18

7) صحيح البخاري – كتاب الوضوء باب صب الماء على البول في المسجد رقم الحديث 220ج1/67

الإحالات

1)- البخاري – كتاب استتابة المرتدين و المعاندين و قتالهم – باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الرد رقم الحديث 6924

2) البخاري – كتاب استتابة المرتدين و المعاندين و قتالهم – باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الرد رقم الحديث 6925

3)- مالك – الموطأ – كتاب العقول باب ما جاء في الغيلة و السحر ص 461

4) مرجع سابق – تعليل الأحكام ص 68

---

1) النووي – شرح صحيح مسلم – دار إحياء التراث العربي بيروت ج3/191

2) البخاري – كتاب الجنائز – باب قول النبي صلي الله عليه وسلم ‹‹ يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه›› إذا كان النوح من سننه رقم الحديث 1288.

1) مرجع سابق – ضوابط المصلحة ص133-134

2) مرجع سابق – المدخل للفقه الإسلامي – دار الكتاب الحديث ص75

3) مرجع سابق – نظرية المقاصد – ص298

4) البخاري – كتاب الأذان – باب إمام المفتون و المبتدع برقم 695.

1) البخاري- كتاب تقصير الصلاة – باب الصلاة بمنى رقم الحديث 1084

2) مرجع سابق – فتح الباري ج1/ 917

3) المرجع نفسه - ص699

1) ابن حجر العسقلاني – فتح الباري شرح صحيح البخاري – ضبطه و صححه محمد عبد السلام شاهين الطبعة الأولى 2003م – دار الكتب العلمية بيروت – ج1/315

2) صحيح البخاري – كتاب البيوع – باب هل يبيع حاضر لبلادي بغير أجل وهل يعينه أو ينصحه رقم الحديث 2158- ج2/28

3) الشاطبي – الاعتصام – ج2/357

4) إبن القيم – مفتاح دار السعادة ج2/18

5) النووي – شرح صحيح مسلم – دار إحياء التراث العربي بيروت ج3/191

6) محمد سعيد البوطي – ضوابط المصلحة - دار الرحاب الجزائر

7) محمد سلام مدكور – المدخل للفقه الإسلامي – دار الكتاب الحديث

8) أحمد الريسوني – نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي –دار الكلم القاهرة مصر
9)- مالك – الموطأ – كتاب العقول باب ما جاء في الغيلة و السحر
10) محمد شلبي – تعليل الأحكام

[i]- نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط 09، 1996، ص 276 .

[ii]-عز الدين السيد، **التكرير بين المثير والتأثير**، عالم الكتب، بيروت، ط 02، 1996، ص 42.

[iii]-ينظر : عبد الرحمن السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ضبط وتصحيح : محمد أحمد جاد المولى، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ج02، ص 332 .

[iv]-ينظر : ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقدِهِ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط03، 1964، ص 74 .

[v]-فهد ناصر عاشور، التكرار في شعر محمود درويش، دار الفارس، الأردن، ط 01، 2004، ص 11 .

[vi]-نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، ص 263 .

[vii]-محمد بن أحمد وآخرون، البنية الإيقاعية في شعر المناصرة، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، 1998، ص 83 .

[viii]-ينظر : الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق : عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 03، 1968، ص314 . وينظر : جمال الدين الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط4، 1975، ص 304.

[ix]-محمد عبد المطلب، بناء الأسلوب في شعر الحداثة-التكوين البديعي-، دار الفكر، بيروت، 1988، ص 390 .

[x]-حمدان حجاجي، حياة وآثار ابن زمرك شاعر الحمراء، طبع مشترك بين ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 28 .

[xi]-نفسه، ص 57 .

[xii]-نفسه، ص 58 .

[xiii]-فايز الداية، جماليات الأسلوب (علم المعاني)، منشورات جامعة حلب، سورية، 1989، ص 55 .

[xiv]-أبو الحجاج يوسف الأول المؤيد بالله االملك النصري السابع من أسرة بني نصر، يعد من أعظم ملوك بني نصر وأبعدهم همة وأرفعهم مكانة، ارتقى العرش سنة 733هـ/1333م، عرف بالعلم والإحاطة بالفنون والعلوم وحفظ الشعر (ينظر : لسان الدين ابن الخطيب، اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النّصرية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1347هـ، ص 89. والإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 2003، ص 52.

[xv]-محمد ابن زمرك، الديوان، تحقيق : محمد النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 01، 1997، ص 327 .

[xvi]-ينظر: بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ج2، ص 106.

[xvii]-هو محمد الخامس الملقب بالغني بالله أحد الأبناء الثلاثة لأبي الحجاج، خلفه في العرش، يعد من أعظم الملوك آنذاك، تميز بالخبرة والحنكة والذكاء، وامتلك ثقافة واسعة، واصل طريق والده في الحكم .(ينظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ص 2-59).

[xviii]-ابن زمرك، الديوان ، ص 96 .

[xix]-نفسه، ص 56 .

[xx]- حسام الخطيب وآخرون، اللغة العربية، منشورات جامعة حلب، سورية، ط02، 1985، ص 77.

[xxi]-ينظر : عبد الله بوخلخال، التعبير الزمني عند النحاة العرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987، ج 02 ، ص 159.

[xxii]- ابن زمرك، الديوان ، ص 440

[xxiii]-ينظر جمال الدين الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص183 .

[xxiv]- ابن زمرك، الديوان، ص 48 .

[xxv]-نفسه، ص 103.

[xxvi]-عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت، ط3، 1980، ص 96.

[xxvii]-ينظر: حفيظة أرسلان شاسبوغ، الجملة الخبرية والجملة الطلبية، عالم الكتب، أربد، الأردن، ط1، 2004، ص 211.

[xxviii]- فايز الداية، جماليات الأسلوب، ص97 .

[xxix]-صلاح فضل، نبرات الخطاب الشعري، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط، 1989، ص 148.

[xxx]-ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق : مازن المبارك وآخرون، دمشق، 1972، ص 24.

[xxxi]- ابن زمرك، الديوان، ص 99 -100 .

[xxxii]-نفسه، ص 82 .

[xxxiii]- حمدان حجاجي، حياة وآثار ابن زمرك شاعر الحمراء، ص 84.

[xxxiv]- ابن زمرك، الديوان، ص 121.

[xxxv]-نفسه، ص 54.

[xxxvi]- نفسه، ص 143.

[xxxvii]- نفسه، ص 75 .

[xxxviii] بروش زين الدين وقاسمي كمال، **ادارة التغيير وعلاقته بثقافة المؤسسة، مداخلة ضمن الملتقى الدولي حول التسيير الفعال للمؤسسات الاقتصادية**، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير والعلوم التجارية، جامعة المسيلة، المسيلة يومي: 03-04 ماي، ص06

[xxxix] عبد الله البريدي، **نحو فهم بنية الثقافة التنظيمية في التعليم التقني في السعودية كمدخل التطور-دراسة استطلاعية- مداخلة مقدمة ضمن المؤتمر التقني الثالث، المؤسسة العامة للتعليم التقني و التدريب المهني**، الرياض ايام 11-2004/12/14،ص 01.

[xl] file:// culture d'entreprise.htm

[xli] gilles bressy et christian kankoyt, **Economie D'entreprise**, 4 éditions dalloz.paris,1998.p513

[xlii] Héléne dénis, **Strategie D'entreprise Et Incertitude Environnementales**, **Design Organisationnel**, **Culture Et Technologie**, ed economica,1990, p112.

[xliii] A.A Kennedy & T.E.Deal , **Corporate Culture in enterprise**, 1982.

[xliv] احمد بوشنافة و احمد بوسهمين، **أهمية البعد الثقافي و اثره على فعالية التسيير، مداخلة ضمن الملتقى الدولي حول التسيير الفعال في المؤسسات الاقتصادية**، كلية العلوم الاقتصادية و التسيير، جامعة المسيلة، ص 06.

[xlv]m. thevenet,J-L-vachette,**Culture Et Comportements**,vuibert,paris,1992,p:217

[xlvi] محمود سلمان العميان،**السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال**، دار وائل عمان، الأردن، 2003.ص312.

[xlvii] احمد بوشنافة واحمد بوسهمين، **مرجع سابق** ، ص 06.

[xlviii] محمود سلمان العميان،ص 313.

[xlix] philipe schewbig, **Les Communications De L'entreprise**,mc graw – hill,paris 1991.P44

[l] **Dictionnaire de la langue français**: institute pédagogique national,alger p52.

[li] john p.kotter,et james l.heskett,**Op**.**Cit**,p 23

[lii] loc.it.

[liii] علي عبد الله، **التحولات و ثقافة المؤسسة، مداخلة حول الملتقى الوطني الأول حول الاقتصاد الجزائري في الألفية الثالثة** ،كلية العلوم الاقتصادية، جامعة البليدة، ايام 20-21 ماي2002، ص 225.

[liv] تشارلز وقاريت جونز،**الادارة الاستراتيجية، الجزء الأول**، ترجمة و مراجعة، رفاعي محمد رفاعي و محمد سيد احمد عبد المتعال، دار المريخ للنشر، الرياض، المماكة العربية السعودية، 2001، ص 658-659.

[lv] مصطفى محمد ابو بكر،**دليل التفكير الاستراتيجي واعادة الخطة الاستراتيجية**،ص145.

[lvi] Tom peters ET r.waterman, **Op**.**Cit**, **p**: **121**.

[lvii] NADINE Farrugia,**Manager Sur La Vague**. **Les Presses Du Management France**,1992,p18.

[lviii] ليلى بوطمين ، **الاتصال و ثقافة المؤسسة،تسيير الكفاءات- الاتصال و القيادة في المؤسسة،** دفاتر المركز الوطني للبحث في الانتربولوجيا الاجتماعية و الثقافية العدد 12 ، منشورات CRASC- 2005 ، ص 27.

[lix] العياشي عنصر، تمثلات **التمايز الاجتماعي لدى عمال الصناعة، في كتاب : ثقافات المؤسسة** ، المركز الوطني للبحث في الانتربولوجيا الاجتماعية و الثقافية، وهران crasc، 1998، ص 28.

[lx] بن يمينة السعيد، **ثقافة المؤسسة الجزائرية، منتدى الأستاذ** ، دورية اكاديمية محكمة، تعنى بالدراسات في مجال التعليميات و العلوم الانسانية، المرسة العليا للأساتذة، قسنطينة- الجزائر, العدد الخامس، ماي 2005،ص86.

[lxi] عبد الله البريدي، **لماذا نشخص الثقافة التنظيمية؟، مجلة التدريب و التقنية**، المؤسسة العامة للتعليم الفني، و التدريب المهني، العدد 73،مارس 2005، الرياض، السعودية، ص 53.

[lxii] بن يمينة السعيد، **مرجع سبق ذكره**،ص89.

[lxiii] ختيم محمد العيد، **ادارة الجودة الشاملة و استراتيجية المؤسسة** ،دراسة ميدانية لمؤسسة سونلغاز، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الاستراتيجية ، جامعة المسيلة، 2009،ص71.

[lxiv] علي عبد الله: **التحولات وثقافة المؤسسة**، بحوث اقتصادية، ص 13-14.من موقع : www.sarambite.com

[lxv] مسعودة شريفي،ادارة **التغيير من خلال مدخل ادارة الجودة الشاملة مع الاشارة الى الفرع الولائي للجزائر اتصالات موبيليس بشار** . رسالة ماجستير علوم لتسيير، جامعة بشار 2007، ص29,

[lxvi] ختيم محمد العيد، **مرجع سابق**، ص72.

[lxvii] سليمة سلام، **ثقافة المؤسسة و التغيير، مذكرة ماجستير في العلوم التجارية، تخصص علوم التسيير، قسم العلوم التجارية، كلية العلوم الادارية و العلوم التجارية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم** - الجزائر، 2006- 2007.ص 101-102.

[lxviii] بوحنية قوي، **ثقافة المؤسسة كمدخل اساسي للتنمية الشاملة: دراسة في طبيعة العلاقة بين المحددات الثقافية و كفاءة الأداء، مجلة الباحث**، العدد ،02، 2003، ص73.

[lxix] عبد الرحمن بن ابراهيم المديرس، **بناء و تعزيز ثقافة الجودة في المدرسة، ورقة عمل مقدمة في المؤتمر الأول للجودة في التعليم** ، مركز الأمير محمد بن فهد بن عبد العزيز للجودة، السعودية،15-01-2007، ص 36.

[lxx] عبد الرحمن توفيق،**استراتيجيات الاستثمار البشري بالمؤسسات العربي، ورقة عمل مقدمة في المؤتمر السنوي الثالث للتدريب** ، القاهرة-مصر،24-26 اكتوبر 1995،ص113.

[lxxi] شريفي مسعودة،**مرجع سبق ذكره**، ص 105.